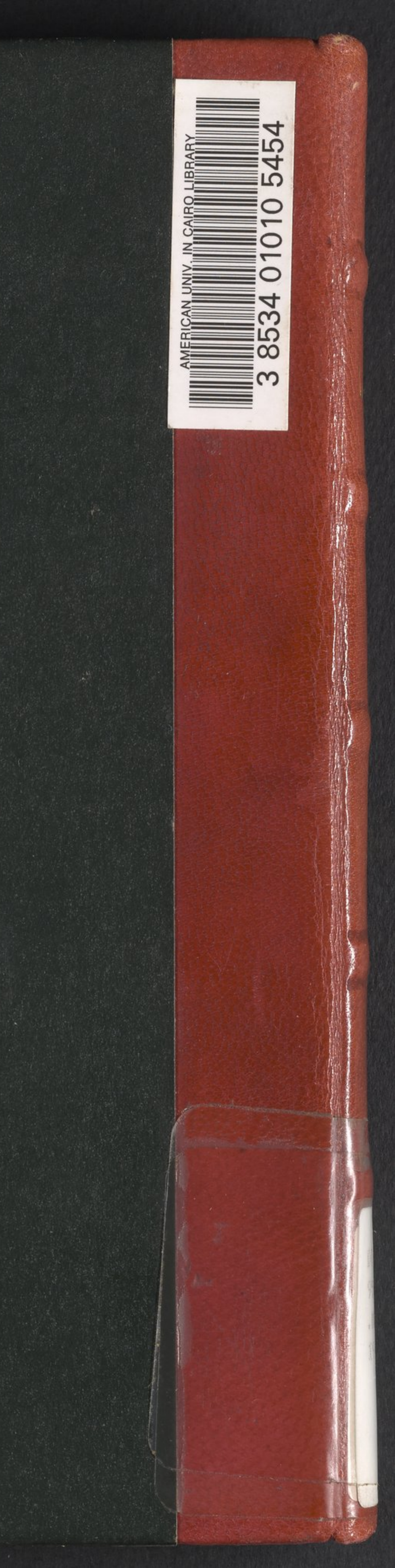

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01010 5454

مكتبة المقريزى الصغيرة : ٢

اتعاظ الحنفا
بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

لتقى الدين أحمد بن على المقريزى

نشره وحققه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه

الدكتور

جمال الدين الشيال

مدرس التاريخ الإسلامى بجامعة فاروق الأول

دار الفكر العربى

١٣٦٧ – ١٩٤٨

الإهداء

إلى أستاذى الجليل المؤرخ الكبير

الأستاذ عبد الحميد العبادى بك

أستاذى الجليل :

منذ خمسة عشر عاما بدأت أتتلمذ عليكم بالاستماع إلى دروسكم فى تاريخ الدولة العباسية وأنا تلميذ بكلية الآداب بالقاهرة ، وقد أعجبتنى منذ ذلك الحين طريقتكم الفذة فى تناول التاريخ العربى و إحيائه ، وأسلوبكم الممتاز فى عرض الأحداث وتحليل الشخصيات ؛ ثم تقربت إليكم فكنت أزوركم فى الفينة بعد الفينة فبهرتنى روحكم العالية ونفسكم الصافية ، وحببنى هذا كله فى دراسة التاريخ الإسلامى ، فأقبلت على قراءة كتبه إقبال الشغف .

وتخرجت فى كلية الاداب سنة ١٩٣٦ فلم تنقطع الصلة بينى و بينكم ، بل زادت توثقاً ، فكنتم تحبوننى دائما بعطفكم وتشجيعكم ، وكان خير دليل على ذلك تفضلكم بترشيحى للنقل من وزارة المعارف فى سنة ١٩٤٣ لأعاونكم فى تدريس التاريخ الإسلامى بكلية الاداب بجامعة فاروق الأول باسكندرية ؛ و إنى لأعتبر هذا النقل أهم حادث فى حياتى فقد أتاح لى الجو الملائم لإشباع هوايتى والإقبال على الدرس والبحث والإنتاج ، ثم أتاح لى

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

— ١ —

قدم المقريزى لكتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) تقدمة ممتازة رائعة ، لم يشبهه أو يدانيه فيها مؤرخ آخر من المؤرخين الإسلاميين المعاصرين أو السابقين ، فهى تدل على أصالة فى الرأى ، وتجديد فى الفكرة ، وتحديد للغرض الذى يهدف إليه من تأليف الكتاب ، وشعور مبكر بالوطنية المصرية ، و إحساس منه عميق بحبه لوطنه مصر . فهو لم يؤلف كتابه هذا — كما كان يفعل المؤلفون الآخرون — ليخدم به خزانة ملك من الملوك ، أو ليجعله قربى يتقرب بها إلى أمير من الأمراء أو ثرى من الأثرياء ؛ وإنما هو قد ألفه ليشبع عاطفته الوطنية ، فهو يقول فى مقدمته :

« . . . وكانت مصر هى مسقط رأسى ، وملعب أترابى ومجمع ناسى ، ومغنى عشيرتى وحامتى ، وموطن خاصتى وعامتى ، وجؤجؤى الذى رُبى جناحى فى وكره ، وعش مأربى فلا تهوى الأنفس غير ذكره ؛ ولا زلت مذ شذوت العلم ، وأتانى ربى الفطانة والفهم ، أرغب فى معرفة أخبارها ، وأحب الإشراف على الاغتراف من آبارها ، وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ، فقيدت بخطى فى الأعوام الكثيرة ، وجمعت فى ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب ، أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب ، إلا أنها ليست

أيضاً القرب منكم والعمل تحت إشرافكم حتى حصلت على درجتى الماچستير والدكتوراه .

واليوم أتقدم إلى عزتكم أى أستاذى الجليل — اعترافا ببعض جميلكم علىّ — بهذا الجهد الذى بذلتُ فى نشر وتحقيق « اتعاظ الحنفا » ، فهو فيض من توجيهكم العلمى الممتاز ، ووحى من عطفكم الأبوى الكريم .

تلميذكم المخلص

جمال الدين الشيال

أما العصر الأول فكانت مصر فيه ولاية تابعة للخلافة ، وإن كانت قد بدأت المحاولات الأولى للانفصال والاستقلال فى عهدى الطولونيين والأخشيديين ، وقد أرخ له المقريزى فى كتابه (عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط) ، وأما العصر الثانى فقد استقلت فيه بمصر دولة شيعية ، وقامت فيه خلافة فاطمية تنافس الخلافتين السنيتين القائمتين حينذاك فى المشرق والأندلس (العباسية والأموية) ، وقد أرخ له المقريزى فى كتابه هذا (اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا) ، وأما العصر الثالث فقد قضى فيه على دولة الفاطميين وعلى نفوذ المذهب الشعبى معا ، وقامت فيه دولة الأيوبيين التى دانت بالولاء ثانية للخلافة العباسية ، ثم دولة المماليك التى احتضنت هذه الخلافة بعد استيلاء التتار على بغداد ، وقد أرخ المقريزى لهذا العصر فى موسوعته الكبيرة (السلوك لمعرفة دول الملوك) .

أما الكتاب الأول فمفقود أو فى حكم المفقود ، فقد كان المعروف حتى قبل الحرب العالمية الثانية أنه توجد منه نسخة وحيدة فريدة فى مكتبة الدولة ببرلين ضمن مجموعة خطية تحت رقم ٩٨٤٥ ، ولسنا نعرف ما ذا كان أثر الحرب المدمرة فى مكتبة الدولة وفيما كان بها من مخطوطات ، والاتصال ببرلين فى هذه الأيام — وهى نهب مقسم بين دول أربع — أمر مستحيل .

وأما الكتاب الثالث فيعمل على نشره نشرا علميا دقيقاً منذ نيف وعشر سنوات أستاذى الجليل الدكتور محمد مصطفى زيادة ، وقد أخرج منه حتى الآن ٥ مجلدات تنتهى بنهاية عصر الناصر محمد بن قلاوون .

وأما الكتاب الثانى فهو هـذا الذى نقدمه اليوم للقارئ العربى

بمرتبة على مثال ، ولا مهذبة بطريقة ما نسج على منوال ، فأردت أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية ، عن الأمم الماضية والقرون الخالية . . . إلخ » .

هذا الشعور الوطنى القوى الممتاز كان شعورا مبكرا سبق به المقريزى عصره ، فنحن لا نجد له شبيها حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى حين يبدأ الشيخ رفاعة الطهطاوى يشيد بذكر الوطن والوطنية فى كتابه (مناهج الألباب المصرية) وفى أناشيده الشعرية الكثيرة .

وقد أرضى مؤرخنا المقريزى شعوره الوطنى حين أرخ فى كتابه (المواعظ والاعتبار) للمدن المصرية الهامة ، وما كان يكتنفها من خطط وحارات وشوارع وأزقة وأسواق ، وما كان يتناثر فيها من دواوين ودور وقصور ، وما كان يزينها من مساجد وكنائس وبيع ، وما كان يتخللها من مدارس ومكتبات ودود للحكمة والعلم ؛ وقد تعرض وهو يؤرخ لهذا كله لبعض الشخصيات التى ساهمت فى عمران هذه المدن أو إقامة هذه المنشآت ، فترجم لها ترجمات مفصلة حينا ، وموجزة فى معظم الأحيان .
ويبدو أن هذا التأريخ العمرانى لمصر لم يشبع عاطفة مؤرخنا ، فأراد أن يؤرخ لمصر تاريخا سياسيا كاملا منذ الفتح العربى إلى عصره الذى عاش فيه (القرن التاسع الهجرى = الخامس عشر الميلادى) .

وقد اتخذ المقريزى لنفسه منهجا علميا سليما حين أراد أن يكتب هذا التاريخ السياسى ، فقسم تاريخ مصر الإسلامى عصورا ثلاثة ، وخص كل عصر منها بكتاب .

الـكتاب : (اتعاظ[1] الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) ، ولعل المقريزى أضاف لفظ « الفاطميين » بعـد تأليفه الـكتاب للإيضاح ، ولهذا آثرنا اختيار هذا العنوان الأخير لطبعه على غلاف الـكتاب لأنه أوضح العناوين جميعا وأدلها على محتويات الـكتاب ؛ أما العنوان الذى ذكره حاجى خليفة فواضح فيه التحريف . وهذا التحريف صـدى للـكره الشديد الذى أشاعته الدول السنية اللاحقة للعصر الفاطمى ، ومن الغريب أن هذا الـكره ظل يتداول فى النفوس حتى العصر العثمانى .

— ٣ —

وتوجد من هذا الـكتاب نسخة خطية وحيدة بخط المؤلف فى مكتبة جوتا بألمانيا تحت رقم ١٦٥٢ ، وقد نشره للمرة الأولى عن هذه النسخة ، ومنذ أربعين سنة (١٩٠٩) الأستاذ المستشرق « Hugo Bunz » ، وطبع النص العربى فى « مطبعة دار الأيتام السورية فى القدس الشريف » ، وقدم له بمقدمة ألمانية طبعها فى « Leipzig » ؛ وفى هذه المقـدمة وصف للمخطوطة ملخصه :

أنها تتكون من ٥٠ ورقة ، أى مائة صفحة ، وطول كل صفحة ٢٤٫٥ سم ، وعرضها ١٦ سم ، وعدد سطور الصفحة الواحدة ٢٧ سطرا ، ويتخلل النسـخه ثمانى ورقات أخرى أقل حجما من سابقتها ، وقد وضعت فى غير مواضعها الصحيحة ، وهى الصفحات : (٤ ، ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ٣٢ ، ٤١ ، ٥٠) .

(١) قرأ هـذا اللفظ ناشر الضوء اللامع : « إيقاظ » وهذه فى رأيى قراءة خاطئة ، فالـكل يجمعون على أنها « اتعاظ » ، ولعلها خطأ مطبعى .

بعد نشره نشرا علميا دقيقا ومقارنته بأصوله وشرح غريبه ومصطلحاته والتعليق عليها .

— ٢ —

وعنوان الكتاب فيه خلاف ، فهو عند جمال الدين أبى المحاسن ابن تغرى بردى[١] : (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا) ؛ وهو عند السخاوى[٢] ، وعند السيوطى[٣] : (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) ؛ وهو عند حاجى خليفة[٤] : (اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلقا) ، ثم فسر اللفظ الأخير من العنوان بقوله : « الخلقا — بالقاف — من خلق الإفك » .

أما المقريزى نفسه فقد عنون كتابه : (اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا) ، وكذا سماه فى مقدمته للسلوك ، ولكنه عاد فسماه فى مقدمته للاتعاظ نفسه : (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا) . من هذا يتبين أن المقريزى سمى كتابه حين بدأ تأليفه : (اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا) ، ثم عاد وأضاف لفظ « الأئمة » قبل لفظ « الخلفا » تأكيدا للمعنى الذى كان يهدف الفاطميون إلى إيضاحه من أنهم أئمة وورثة للإمامة عن جدهم الأعلى الإمام على بن أبى طالب ؛ ولكن السخاوى — وهو معاصر للمقريزى — يسمى

---

(١) فى ترجمته لأستاذه المقريزى فى المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ؛ وقد نقل هذه الترجمة على مبارك فى خططه ، ج ٩ ، ص ٧٠ .

(٢) الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ، ص ٢٣٩ .

(٤) كشف الظنون .

النسخة وخطوط المقريزى على كتب أخرى مختلفة[1] .

— ٤ —

وهذه النسخة الوحيدة غير كاملة للأسف الشديد ، فهى تؤرخ الأسرة العلوية ولنشأة الدولة الفاطمية فى المغرب ، وللخلفاء الأربعة الأول : المهدى والقائم ، والمنصور ، والمعز ، وتصل فى تاريخها المعز عند حوادث سنة ٣٦٣ أى عنـد الحديث عن النزاع الذى قام بين المعز والقرامطة ، فآخر نص أوردته النسخة هو الخطاب الذى أرسله المعز للحسن الأعصم ، ومع أن هذا الخطاب لم يرد كاملا ، فإن ما جاء منه فى اتعاظ الحنفا هو أطول نص نعرفه لهذا الخطاب حتى الآن ، لأن المراجع الأخرى — كالنويرى مثلا — قد أوردت منه فقرات قصيرة فقط .

وفى رأيى أن المؤلف كان قد أتم تأليف كتابه ، وإنما عوادى الزمن وتداول النسخة بين الأيدى هما اللذان أضاعا بقيته ، وشاء الحظ السيئ أن لا تصلنا أيضاً نسخة كامله منه غير هذه ، ولدينا أدلة كثيرة للبرهنة على هذا الرأى ، منها : أن المقريزى نفسه ذكر فى مقدمته لكتابه (السلوك) أنه لم يبدأ تأليفه إلا بعـد أن انتهى من تأليف هذا الكتاب (اتعاظ الحنفا) ، فقد قال : « أما بعد . فانه لما يسر الله وله الحمـد باكمال كتاب عقـد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط ، وكتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا ، وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء وما كان فى أيامهم من الحوادث والأنباء ، منذ فتحت إلى أن زالت الدولة

---

(١) أنظر مقدمة Bunz الألمانية ، ص ٤ ، ٥ ؛ واللوحة الملحقة بنشرته .

والصفحة الأولى من المخطوطة (١ ا) وهى التى تحمل عنوان الكتاب قد أصابها تلف كبير، ومع هذا فقد ملأ المؤلف كل فراغها بهوامش كثيرة دقيقة الخط، فهى تحتوى — عدا عنوان الكتاب واسم المؤلف — على نصوص كثيرة لا صلة لها بموضوع الكتاب، منها نص يتضمن أسماء حكام بغداد البويهيين ومدد حكمهم، ونص آخر عنوانه (فصل فى قوانين دولة الترك السلاجقة)، وفى أعلى الصفحة هامش ثالث يشتمل على قائمة ببعض ولاة الاسكندرية، وتحت عنوان الكتاب سطران يفيدان ملكية من يدعى «محمد المظفرى» لهذه النسخة ونصهما:

«ملكه محمد المظفرى وطالعه أجمع

عفا الله عنه آمين»

وعناوين الفصول مكتوبة بالحبر الأحمر، وكذلك وضعت على بدايات بعض الفقرات وعلى بعض أسماء الأعلام علامات حمراء، أما النص كله فقد كتب بالحبر الأسود، وهو خال من النقط فى معظمه.

و بعض صفحات الكتاب تحمل هوامش وتعليقات، غير أن الكتاب عند جمع ورقاته قد قصت أطرافه، فأضاع هذا القص أجزاء من هذه الهوامش حتى غدت عسيرة القراءة؛ وهناك ثلاث صفحات قد أصابها التلف والمحو الشديدان حتى أصبح من العسير قراءة محتوياتها، وهى: (١ ا، ٤٧ ب، ٥٣ ب).

وقد برهن Bunz فى مقدمته على أن هذه النسخة كانت نسخة المؤلف الخاصة وقد كتبت بخط يده، وذلك بعد المقارنة بين خط هذه

المطبعيـة التى أثبت بعضهـا فى نهية الـكتاب وترك البعض الآخر دون إشارة .

وقد كان من واجبى الحصول على مخطوطة جوتا نفسها ، والاعتماد عليها عند إخراج هذه النشرة ، غير أن الاتصال بألمانيا فى هذه الأيام عسير بل هو مستحيل ، ولهـذا اعتمدت على طبعة Bunz مضطراً ؛ إلا أننى حاولت ما استطعت تفادى نتائج الاعتماد على هذه الطبعة ، فرجعت إلى كل الأصول التى أخذ عنها المقريزى ، واتخـذت منها نسخة أخرى ، وقارنت بين نصه ونصوص هذه الأصول مقارنة بطيئة دقيقة ، وأثبت فى الهوامش نتائج هـذه المقارنة ؛ وبعض المراجع التى أخذ عنها المقريزى موجوده كتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، والفهرست لابن النديم ، والكامل لابن الأثير ، والعبر وديوان المبتدا والخبر ومقدمته لابن خلدون ، والمواعظ والاعتبار للمقريزى نفسه ؛ والبعض الآخر مفقود ، كسيرة المعز لدين الله للحسن بن زولاق ، والطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين لأخى محسن ، وتاريخ افريقية والمغرب لعبد العزيز بن شداد ، والخطط لابن عبد الظاهر إلخ . وقد كان المقريزى يصرح أحيانا بأخذه عن هذه المراجع ، وينقل عنها — دون الإشارة إليها — فى معظم الأحايين ، ولـكننى تتبعته فى المراجع الموجودة ، وأثبت نقوله عنها ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، ثم تتبعته مرة

= ٥ ، ٦ ؛ ص ١٠٧ ، هوامش ٢ ، ٣ ، ٤ ؛ ص ١٢٨ ، هوامش ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ؛ ص ٣٠ ، هامش ٢ ؛ ص ١٥٠ ، هامشا ٢ ، ٣ ؛ ص ١٥٦ ، هامش ٢ ؛ إلخ . . إلخ) وفى ص ١٠٦ أبيات شعرية أخطأ Bunz فأثبتها فى سطور متصلة كأنها نثر لا شعر كما أنه لم يحقق أو يضبط ما ورد فى الـكتاب من شعر أو آيات قرآنية ، وقد ضبطنا نحن هذا كله .

الفاطمية وانقرضت ، أحببت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية ، والسلاطين[1] المماليك التركية والجركسية ، فى كتاب يحصر أخبارهم الشائعة . إلخ » .

ومنها أيضاً أن إحدى ورقات مخطوطتنا الثمان الصغيرة المضطربة الوضع وهى الورقة (٥٠) تشتمل على بعض محتويات الأجزاء المفقودة من الكتاب ، ففيها قطعة صغيرة عن الحوادث التى حدثت فى عام ٣٩٤ (إحدى سنوات عصر الخليفة الحاكم بأمر الله : ٣٨٦ — ٤١١) ، وفيها أيضاً ثبت بأسماء بعض القضاة والوزراء فى عصر الخليفة الفاطمى الثامن المستنصر بالله (٤٢٧ — ٤٨٧) ، ولهذا آثر Bunz فى طبعته الأولى أن يضع هذه الورقة فى نهاية الكتاب ، وكذا فعلنا نحن أيضاً فى طبعتنا هذه .

— ٥ —

وطبعة Bunz هذه قد نفدت من السوق ، فلا يكاد القارىء أو الباحث يستطيع الحصول على نسخة منها اليوم إلا بشق النفس ، وهى إلى هذا أيضاً قد غدت ناقصة لا يحسن الاعتماد عليها — إذا قورنت بالطبعات الحديثة للمخطوطات القديمة — لأن Bunz لم يفعل أكثر من أن نسخ النص وقدمه للمطبعة ، دون أن يرجع إلى الأصول التى أخذ عنها المؤلف للمقارنة بين النصين ، وضبط نص المقريزى وتحقيقه ، ومع هذا فإن الناشر لم يحسن قراءة النص فى كثير من مواضعه[2] ، كما أن نشرته خرجت مليئة بالأخطاء

(١) السلوك ، ج ١ ، ص ٩ .

(٢) أنظر تصحيحاتنا لهذه الأخطاء فى طبعتنا هذه : (ص ١٠٦ ، هوامش ٤ =

من زوجاته المختلفات ، مع بيان من أعقب منهم ومن لم يعقب ، وأثبت فى الثانى أسماء بنات على ؛ وهذه الجداول الأربعة تمتاز — مع أهميتها — بجدتها ، فهى غير موجودة فى أى مرجع آخر .

وعرض المقريزى بعد هذا لمشكلة النسب الفاطمى ، ولهـذا الفصل أهميته لأن المقريزى من المؤرخين السنيين القلائل الذين أيدوا النسب الفاطمى ، وإن كان بعض المؤرخين الآخرين يتهمون المقريزى فى تأييده للنسب قائلين بأنه فعل هـذا لانتسابه إليهم[1] ، كما اتهم هذا البعض ابن خلدون[2] فى نفس الموضوع ، فقالوا بأنه لم يؤيد النسب الفاطمى تمجيداً للفاطميين ، وإنما تجريحاً لهم وحطاً من قيمتهم .

وطريقة المقريزى فى الحديث عن هذا الموضوع طريقة علمية صحيحة ، فقد نقل إقوال الطاعنين فى النسب ، كأخى محسن وابن النديم ، وأثبت أنهما ينقلان عن ابن رزام[3] وأنه أول من أشاع قصة انتمائهم إلى عبد الله ابن ميمون بن ديصان الثنوى ، ثم فنّد أقوال هؤلاء الطاعنين مستعيناً بأقوال المؤرخين الآخرين المؤيدين للنسب ، مضيفاً إليها براهينه الخاصة .

ومشكلة النسب مشكلة قديمة حديثة ، شغلت كل من تعرضوا للتأريخ للفاطميين من عرب ومستعربين من قديم حتى اليوم ، ولهذا عرضت وأنا أحقق النص لآراء هؤلاء المؤرخين جميعا فلخصتها وقارنت بينها فى الهوامش ، وخاصة الآراء والمذاهب الحديثة التى عرضها Mamour ،

---

(١) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٢٣ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٧ — ١٤٨ .
(٣) أنظر طبعتنا هذه ، ص ٢٥ ، هامش ٥ .

أخرى فى المراجع المفقودة بطريق غير مباشر ، فإن الكثير من نصوص هذه المراجع قد نقله المؤرخون اللاحقون فى كتبهم ، فكنت أقارن بين ما جاء فى اتعاظ الحنفا من هذه النصوص و بين ما جاء منها فى كتب هؤلاء المؤرخين المتأخرين كلما عثرت على شىء منها ؛ وقد لاحظت أن المقريزى — فى هذا الجزء الذى وصلنا من اتعاظ الحنفا — قد اعتمد اعتماداً كبيراً على الكامل لابن الأثير ، مما يرجع أنه كان ينقل عنه مع تصرف يسير أو أن المؤرخيْن كانا ينقلان عن أصل واحد لا نعرفه ، كما لاحظت أنه ينقل عن ابن الأثير بشىء من التصرف ، فيوجز أو يقدم أو يؤخر حيناً ، و يحذف بعض الفقرات أو العناوين حيناً آخر ، وقد أثبت هذه الفروق فى الهوامش كما أثبتت العناوين المحذوفة لأنها توضح المعنى وتنظم الموضوع ؛ ثم لاحظت أخيراً أنه عند نقله عن أستاذه ابن خلدون كان يلتزم النص بكلماته وحروفه فلا يغير فيه شيئاً .

— ٦ —

وكتاب (اتعاظ الحنفا) يؤرخ للدولة الفاطمية ، فيبدأ بذكر ثبت كامل وافٍ لأولاد على بن أبى طالب من نسل الحسن والحسين ، وتتبع الأسماء فى هذا الفصل أمر شاق عسير ، ولهذا طبعت أسماء الآباء من أولاد على فى هذا الفصل بحروف كبيرة ، وأسماء أولادهم بحروف فى الحجم العادى لحروف الكتاب ؛ كما فرّغتُ هذه الأسماء فى جدولين ألحقتهما بآخر الكتاب ، أحدهما يتضمن أولاد على من نسل الحسن ، والآخر يتضمن نسل الحسين ، وأضفت إليهما جدولين آخرين أثبت فى أحدهما أولاد على

أن الرجل ينقل عن أحد مؤلفيه إلى الآخر ، فالذى أورده فى (المواعظ والاعتبار) ماهو إلا مختصر لما أورده فى (اتعاظ الحنفا) ، والتشابه كبير جداً بين النصين فى معظم الحالات ، مما جعلنى أرجح أن المقريزى قد دأب على النقل عن (اتعاظ الحنفا) باختصار كلما عرض لذكر الفاطميين فى (المواعظ والاعتبار) ، ولهذا رأيت أن أكمل كتاب (اتعاظ الحنفا) بالنص المختصر ما دام النص المطول قد فقد ، فألحقت بهذه الطبعة عدداً من الملاحق نقلت فيها تراجم بقية الخلفاء الفاطميين كما وردت فى (المواعظ والاعتبار) ، وقصدت بهـذا أن أضع بين يدى طلاب ودارسى العصر الفاطمى نصاً كاملا للتأريخ للفاطميين جميعاً بقلم المقريزى نفسه ؛ ثم أضفت إلى هذه الملاحق ثلاثة جداول قدمت فى أولها أسماء الخلفاء الفاطميين لبيان ترتيب وتاريخ توليهم الخلافة ، وفى ثانيها أسماء هؤلاء الخلفاء لبيان صلة القربى بين كل خليفة والآخر ، وفى ثالثها ثبتاً كاملاً بأسماء الوزراء فى عهد كل خليفة ، وتواريخ ومدد توليهم الوزارة ، واستعنت فى هذه الجداول بكتابى : Zambaur; St. Lane-Poole.

— ٨ —

هذا هو موضوع الـكتاب ، وهذا هو منهجى فى نشره ؛ وأحب قبل أن أنتهى من الحديث عنهما أن أشير إلى أننى قد قدمت فى الهوامش تعريفاً بأسماء الأعلام والأماكن والألفاظ الاصطلاحية الواردة فى متن الـكتاب ، مع الإشارة إلى المراجع التى استعنت بها ليرجع إليها من أراد التأكد أو الاستزادة ، ثم قدمت فى صدر الـكتاب قائمة كاملة بهـذه

Bernard Lewis ، Ivanow فى كتبهم[1] .

وأرخ المقريزى بعد هـذا لقيام الدولة الفاطمية فى المغرب ، فتحدث عن جهود الدعاة الأوائل كأبى سفيان والحلوانى ، وعن رحلة أبى عبد الله الشيعى من اليمن إلى المغرب وجهوده فى إقامة الدولة ، ثم انتقال عبيد الله المهدى من سلمية بالشام إلى المغرب .

وفى فصل تالٍ أرخ المقريزى للخلفاء الفاطميين الأربعة الذين حكموا فى المغرب ، وفصّل الحديث عن الصعوبات التى اعترضتهم — وخاصة ثورة أبى يزيد — ، وعن الجهود التى بذلوها لتدعيم أسس الدولة الجديدة ، كإنشاء المهدية عاصمتهم الجديدة ، ومد فتوحهم غربا إلى المحيط الأطلسى .

وتحدث بعد هذا عن الفتح الفاطمى لمصر وتأسيس مدينة القاهرة ، وعرض للخطر القرمطى الذى كان يهدد مصر وقتذاك ، فعقد فصلا خاصا أرخ فيه للقرامطة ، وكان ختامه نص الخطاب الذى أرسله المعز لدين الله للحسن الأعصم .

— ٧ —

وهنا تنتهى المخطوطة قبل أن ينتهى الخطاب ، وقبل أن يكمل الكتاب ، وقد لاحظت — وأنا أقارن بين نص المقريزى فى الفصول الأولى من اتعاظ الحنفا (التى تؤرخ للنسب الفاطمى ولقيام الدولة وللخلفاء الأربعة الأول) ، وبين نصه فى المواعظ والاعتبار عن هذه الموضوعات —

(١) أنظر طبعتنا هذه (ص ٢٥ ، هامش ٥ ؛ ص ٢٦ ، هامش ١ ؛ ص ٢٧ هامش ١ ؛ ص ٤١ ، هامش ٦ ؛ ص ٤٨ ، هامش ٤ ؛ ص ٥١ ، هامش ١ ؛ ص٥٥ هامش ٧ ... إلخ)

بأخلص آيات شكرى ، فقد أفدت الكثير من نقدهم وتحليلهم ، وأخص بالذكر منهم أصدقائى الأساتذة : الدكتور عبد اللطيف حمزه ، ومحمد سعيد العريان ، والشيخ أحمد محمد شاكر ، واحمد عبد الغفار بمصر ، والأستاذ Tritton بجامعة لندن ، والأستاذ فيليب حتى بجامعة برنستون بأمريكا ، والأستاذ Mayer بالجامعة العبرية بالقدس ، والأستاذ عارف النكدى بدمشق والأستاذ كوركيس عواد ببغداد .

وأرى من واجبى أيضاً أن أتقدم بالشكر الجزيل لصديقى وزميلى الدكتور عبد المنعم أبو بكر أستاذ التاريخ المصرى القديم بجامعة فاروق الأول باسكندرية ، فقد تفضل وقرأ معى المقدمة الألمانية — التى قدم بها Bunz الطبعة الأولى من اتعاظ الحنفا — وأعاننى على فهمها .

وأحمد الله سبحانه وتعالى حمداً كثيراً أن وفقنى لهذا ، فمنه التوفيق وبه العون ، وأبتهل إليه أن يشملنى بعين رعايته وأن يوفقنى للعمل الصالح إنه على كل شىء قدير .

الاسكندرية فى { ٢٥ رمضان ١٣٦٧ / أول أغسطس ١٩٤٨ }

جمال الدين الشيال

المراجع [١] — عربية وغير عربية — مرتبة ترتيباً أبجديا ، كما أننى عارضت الشعر الوارد فى الكتاب على أصوله فى الدواوين الموجودة ، وضبطت الآيات القرآنية المستشهد بها وأثبتت فى الهوامش أرقامها وأرقام السور الواردة بها ، وأضفت كذلك إلى الكتاب فى نهايته مجموعة من الفهارس التفصيلية تنتظم موضوعات الكتاب وأسماء الجماعات والأعلام والأماكن والأديان والمصطلحات التاريخية والمراجع التى أخذ عنها المقريزى ، مما يسهل على القارئ أو الباحث الرجوع إلى الموضوع الذى يريده فى أسرع وقت وأيسر جهد .

— ٩ —

وبعد ، فهذا هو الكتاب الثانى من مكتبة المقريزى الصغيرة ، أقدمه للقارئ العربى راجياً أن أكون قد وفيته حقه من الخدمة العلمية ، وقد سبقه إلى الظهور الكتاب الأول (نحل عبر النّحل) فوجد من أفاضل القراء والباحثين — فى مصر والخارج — عناية مشكورة ؛ وتفضل الكثيرون منهم فتناولوه بالنقد والتحليل فى المجلات العلمية ، أو فى رسائل خاصة تفضلوا بإرسالها إلىّ ، وإنى أنتهز هذه الفرصة لأتقدم إليهم جميعاً

---

(١) ظهرت بعد طبع الكتاب كتب أخرى قيمة — غير ما أثبتت فى قائمة المراجع — تلقى أضواء كثيرة على التاريخ الفاطمى ، نذكر منها : (عبيد الله المهدى) و (المعز لدين الله) للدكتورين حسن إبراهيم حسن وطه محمد شرف ؛ و (كتاب الهمة فى آداب أتباع الأئمة) للقاضى النعمان بن محمد المغربي ، نشره الدكتور محمد كامل حسين و (دراسات فى العصور العباسية المتأخرة) للدكتور عبد العزيز الدورى ؛ Ivanow (The alleged founder of Ismailism) ؛ ونظم الحكم فى عصر الفاطميين للدكتور عطية مصطفى مشرفة .

—— المعارف ، القاهرة ، ١٩٣٥ .
ابن القفطى (جمال الدين أبو الحسن على)
—— أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، القاهرة ، ١٣٢٦ .
ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة)
—— ذيل تاريخ دمشق ، نشره مع مقدمة انجليزية آمدروز ، بيروت ، ١٩٠٨ .
ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر)
—— البداية والنهاية ، ١٤ جزءا ، القاهرة ، ١٣٥٨ .
ابن مالك (محمد بن أبى الفضائل الحمادى اليمنى)
—— كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
ابن مماتى (الأسعد بن مليح)
—— قوانين الدواوين ، مطبعة الوطن بالقاهرة ، ١٢٩٩ ، ونشره الدكتور عزيز سوريال عطية مطبعة مصر بالقاهرة ، ١٩٤٣
ابن منظور الإفريقى المصرى (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى الخزرجى)
—— لسان العرب ، ٢٠ جزءا ، بولاق ، ١٣٠٢ — ١٣٠٧ .
ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحق)
—— الفهرست ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٣٤٨ .
أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصبهانى)
—— حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٥١ — ١٣٥٧
أحمد (محمود باشا)
—— جامع عمرو بن العاص ، بولاق ، ١٩٣٨ .
الأزدى (على بن ظافر)
—— الدول المنقطعة ، صور شمسية بدار الكتب بالقاهرة ، رقم ٨٩٠ .
الأسفراييني (شاهفور بن طاهر بن محمد أبو المظفر)
—— التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، القاهرة ، ١٣٥٩ . (١٩٤٠)
الأصفهانى (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد بن أحمد)
—— مقاتل الطالبيين ، المطبعة الحيدرية بالنجف ، ١٣٥٣ .
أمارى (ميشيل)
—— المكتبة العربية الصقلية ، ليبسيا ، ١٨٥٧ — ١٨٨٧ .
البتانونى (محمد لبيب)

مراجع التحقيق

١ — المراجع العربية

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسين على الشيبانى)
—— الـكامل فى التاريخ ، ١٢ جزءا ، المطبعة الأزهرية بالقاهرة ، ١٣٠١ .
ابن الأكفانى (محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري)
—— نخب الذخائر فى أحوال الجواهر ، نشره الأب أنستاس مارى الـكرملى ، القاهرة ، ١٩٣٩ (ونشره قبل ذلك الأب لويس شيخو فى مجلة المشرق ، السنة ١١) .
ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) .
—— النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ظهر منه ٩ أجزاء ، مطبعة دار الـكتب المصرية القاهرة ، ١٩٢٩ — ١٩٤٣ .
ابن الجيعان (شرف الدين يحى)
—— التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، نشره المستشرق مورتز ، القاهرة ١٣١٦ (١٨٩٨) .
ابن خلدوف (عبد الرحمن)
—— كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ أجزاء ، بولاق ، ١٢٨٤ .
ابن خلـكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد)
—— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٢٩٩ .
ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيد مر العلائى)
—— الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، الجزءان ٤ ، ٥ ؛ بولاق ، ١٣٠٩ .
ابن شهرا شوب .
—— معالم العلماء ، نشره إقبال ، طهران ، ١٩٣٤ .
ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي)
—— شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ١٢ جزءا ، القاهره ، ١٣٥٠ — ١٣٥٣ .
ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى)

الخفاجى (شهاب الدين أحمد)
—— شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، بولاق ، ١٢٨٢ .
—— دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية حتى أوائل حرف الحاء)
دونلدسن
—— عقيدة الشيعة ؛ ترجمه إلى العربية ع . م ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
الرازى (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين ، فخر الدين)
—— اعتقادات فرق المسلمين ، نشره على النشار ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
الرفاعى (سراج الدين عبد الله محمد بن عبد الله المخزومى)
—— صحاح الأخبار فى نسب السادة الفاطميه الأخيار ، القاهرة ، ١٣٠٦ .
الزبيدى (السيد المرتضى)
—— تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٠٦ — ١٣٠٧ .
زيدان (جورجى)
—— تاريخ آداب اللغة العربية ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٣٠ — ١٩٣١ .
السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)
—— الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، القاهرة ، ١٣٤٩ .
—— الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٣٥٣ — ١٣٥٤ .
سركيس (يوسف إليان)
—— معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، ١٣٤٦ (١٩٢٨) .
السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر)
—— تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، القاهرة ، ١٣٥١ .
—— حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٢٧ .
الشريف الرضى
—— ديوانه ، مطبعة نخبة الأخيار ، عباى ، ١٣٠٦ .
الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)
—— الملل والنحل ، القاهرة (بدون تاريخ)
الشيال (الدكتور جمال الدين)
—— معجم السفن العربية (مخطوطة لم تطبع بعد)
الصيرفى (أمين الدين أبو القاسم على بن منجب)
—— الإشارة إلى من نال الوزارة ، القاهرة ، ١٩٢٤ .
الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير)

—— رحلة الأندلس ، الطبعة الثانية ، القاهرة (بدون تاريخ)
البغدادى (أبو منصور عبد القاهر)
—— الفرق بين الفرق ، نشره محمد بدر ، القاهرة ، ١٩١٠ .
البغدادى (عبد اللطيف)
—— الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض الصر ، مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة (بدون تاريخ)
البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)
—— المغرب فى كر بلاد إفريقية والمغرب ، نشره البارون دى سلان ، لجزائر ، ١٩١١ .
البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى)
—— سيرة أحمد بن طولون ، نشره محمد كرد على بك ، دمشق ، ١٣٥٨ (١٩٣٩)
بهجت (على بك)
—— قاموس الأمكنة والبقاع ، القاهرة ، ١٣٢٤ (١٩٠٦) .
ثابت (نعمان)
—— الجندية فى الدولة العباسية ، بغداد ١٣٥٨ (١٩٣٩) .
ثقة الإمام علم الإسلام (الداعى)
—— المجالس المستنصرية ، نشره الدكتور محمد كامل حسين ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
الجواليقى (أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر) .
—— المعرّب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٦١ .
الحسن بن عبد الله
—— آثار الأول فى ترتيب الدول ، بولاق ، ١٢٩٥ .
حسن (الدكتررر حسن إبراهيم)
—— الفاطميون فى مصر ، القاهرة ، ١٩٣٢ .
الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله عبد المنعم)
—— صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار) ، نشرء ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ .
الخضرى (محمد بك)
—— محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ، القاهرة ، ١٣٤٩ (١٩٣٠)

——— الولاة والقضاة ، طبعة جست ، بيروت ، ١٩٠٨ .

لويس (برنار)

——— أصول الإسماعيلية ، ترجمه إلى العربية خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب وقدم له تقدمة تحليلية وافية الدكتور عبد العزيز الدورى ، القاهرة ، ١٩٤٨ . (أنظر الأصل بقائمة المراجع الأجنبيه) .

ماسينيون (لويس)

——— سلمان الفارسى والبواكير الروحية للاسلام فى إيران (بحث نشر فى باريس سنة ١٩٣٤ ، وترجمه إلى العربية الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه : شخصيات قلقة فى الإسلام ، القاهرة ، ١٩٤٦) — أنظر الأصل بقائمة المراجع الأجنبية —

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد)

——— الأحكام السلطانية ، القاهرة، ١٢٩٨ .

مبارك (على باشا)

——— الخطط التوفيقية الحديدة ، ٢٠ جزءاً ، القاهرة ، ١٣٠٤ — ١٣٠٦ .

متز (آدم)

——— الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ، ترجمة الدكتور محمد عبدالهادى أبوريدة ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٤٠ — ١٩٤١ .

مختار (اللواء محمد باشا)

——— التوفيقات الإلهامية ، بولاق ، ١٣١١ .

مرزوق (الدكتور محمد عبد العزيز)

——— الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية ، القاهرة ، ١٩٤٢ .

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين)

——— التنبية والإشراف ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

——— مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أربع أجزاء ، القاهرة ، ١٣٥٧ (١٩٣٨)

مسكويه (أبو على أحمد بن محمد)

——— تجارب الأمم ، نشره آمدروز ، والذيل عليه للوزير أبى شجاع محمد ، ٣ أجزاء القاهرة ، ١٩١٥ — ١٩١٦ .

مصلحة المساحة المصرية

——— فهرس مواقع الأمكنة ، بولاق ، ١٩٣٢ .

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على)

——— إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر الدكتورين محمد مصطفى زيادة وجمال الدين

—— تاريخ الأمم والملوك ، ١١ جزءا ، القاهرة ، ١٣٢٦ .

الطوسى (أبو جعفر)

—— فهرست كتب الشيعة ، نشره سبرنجر ومولوى عبد الحق ، كلكته ، ١٨٥٣ .

عبد الباقى (محمد فؤاد)

—— المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ .

العرشى (حسين بن أحمد) .

—— بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، نشره الأب أنستاس مارى الكرملى ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

العماد الكاتب الأصفهانى (أبو عبد الله محمد بن محمد)

—— الفتح القسى فى الفتح القدسى ، القاهرة ، ١٣٢١ .

عمارة اليمنى

—— تاريخ اليمن ، نشره كاى ، لندن ، ١٣٠٩ (انظر المراجع الأوربية)

عنان (محمد عبد الله)

—— الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ١٩٣٧ .

—— مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٣١ .

—— ابن خلدون وتراثه الفكرى ، القاهرة ، ١٩٣٣ .

الفيروزبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى)

—— القاموس المحيط ، ٤ أجزاء ، بولاق ، ١٣٠١ — ١٣٠٢ .

القلقشندى (أبو العباس أحمد)

—— صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، ١٤ جزءا ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٣ — ١٩١٩

كرزويل (الكابتن)

—— تأسيس القاهرة ، بحث ترجه إلى العربية السيد محمد رجب ، المقتطف ، نوفبر وديسمبر ، ١٩٣٤ .

الكرملى (الأب أنستاس مارى)

—— النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

الكشي (أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز)

—— معرفة أخبار الرجال ، بمباي ، ١٣١٧ .

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف)

ب — المراجع غير العربية

= Cambridge Mideaval History.

Casanova.

= Ibn Abd El-Zahir. Mémoires publiés par les membres de la mission Archéologique au Caire. t. VI, PP. 493—505.

Demombynes.

= La Syrie a l'Epoque des Mamlouks. Paris, 1923.

Dozy (R.Q.A.).

= Dictionnaire des Noms des Vêtements chez les Arabes, Amesterdam, Müller, 1845.

= Supplément Aux Dictionnaires Arabes. Brill, Leiden, 1881.

Ivanow (w).

= A guide to Ismaili Literature. London, 1933.

= Ismaili Iradition Concerning the Rise of the Fatimids. Calcutta, 1943.

Kay (H. Cassels).

= Yaman, Its Early Mediaeval History. London, 1892.

Lane-Poole (St.).

= Mohammadan Dynasties. Westminster, 1894.

Lewis (B).

= The Origins of Ismā'ilism, Cambridge. 1940.

Mamour (Prince).

= Polemics on the Origin of the Fatimi Caliphs. London, 1934.

الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٠ .

——— الأوزان والأكيال الشرعية ، نشره Tychsen ، روستوك ، ١٧٩٧ .

——— جنى الأزهار من الروض المعطار ، مخطوطة بدار للكتب المصرية ، رقم

——— السلوك لمعرفة دول الملوك ؛ نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة (ظهر منه ٥ مجلدات) ١٩٣٤ — ٩٤٢ .

——— المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٤ أجزاء ، مطبعة النيل بالقاهرة ، ١٣٢٤ — ١٣٢٦ .

——— نحل عبر النحل ، نشره الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

——— النقود العربية ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ، ١٢٩٨ .

النوبختى (أبو محمد الحسن بن موسى)

——— فرق الشيعة ، النجف ، ١٣٥٥ (١٩٣٦) .

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)

——— نهاية الأرب فى فنون الأدب ، (ظهر منه للآن ١٤ جزءا ، والباقى وهو القسم التاريخى مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٢٣ — ١٩٤٣ .

الواسعى (الشيخ عبد الواسع بن يحى اليمانى)

——— فرجة الهموم والحزن فى حوادث تاريخ اليمن ، القاهرة ، ١٣٤٦ .

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى)

——— معجم الأدباء ، طبعة فريد رفاعى ، ٢٠ جزءا ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

——— معجم البلدان ، ليبزج ، ١٨٧٠

اليمانى (محمد بن محمد)

——— سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى من سلمية ووصوله إلى سجلماسة ، (نشرها إيڤانوف فى مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، ديسمبر ١٩٣٦) .

المقــريزى

كتاب

اتعاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

Maqrizi.

= Muqaffa (Quatremère. Mémoires Historiques, J. A. 1836).

Massignon (Louis).

= Salmān Pāk et les prèmices spirituelles de l'Islam iranien (Publications de la Société des Etudes Iraniennes. N. 7, Paris, 1934).

O'Leary (De Lacy).

= A Short History of the Fatimid Khalifate. London, 1923.

Tusi.

List of Shi'a Books. Ed. Sprenger and Mawlawy abdul-Haqq. Calcutta, 1853.

Zambaur (E. de).

= Manuel de Genealogie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam. Hanovre, 1927.

(١ ب) بسم الله الرحمن الرحيم

رب زدنى علماً

الحمد لله الذى برأ سمـاوات طباقا رفيعات ، و بنى [١] دونها محيطات ، وجعلهـا فى الأقدار متفاوتات ، وبالحركة متباينات ، وفى التراكيب مختلفات ؛ ذات بروج معدودة ، وأقسام مقدرة محدودة ، وكواكب نيّرة موّارة ، فى أفلاك بها دوّارة ، تتحرك لأنفسها تارة فتردها أفلاكها بقدرته تعالى مقسورة . كل ذلك يجرى على ما قدر له من إسراع وتأثير ، وإبطاء وتدبير ، وإنماء وتغيير ، بأمر الحكيم القدير ، وتقدير العليم الخبير . ودحا [٢] الأرض فسطحها مهادا ، وأرسى عليها الجبال فصارت أوتادا ؛ ثم خلق الإنسان من طين ، وأنشأ منه البشر من سلالة من ماء مهين ، واستعمرهم فى الأرض لينظر كيف يعملون ، وسَخَّر لهم ما فى السموات وما فى الأرض لعلهم يشكرون ، ومكّنهم من الاقتـدار على إظهار العجائب ، فأبدوا ما شاءوا من البدائع والغرائب ، وتخولوا فيما اشتهوا من النعماء ، وتبسطوا فى فنون الأفضال والآلاء ؛ وأثاروا الأرض وعمروها ، واتخذوا المدائن واستوطنوها ؛ وقهروا الأعداء ممن ناوأهم ، وخضدوا بالقهر شوكة من عاندهم أو شانأهم ؛ حتى إذا كفروا النعم ، ولم يخشوا العقوبة والنقم ، أبادهم الله الذى أيّدهم ، وأهلكهم القادر الذى مكّنهم ؛ جزاءً بما اكتسبوا

(١) فى الأصل : « بنا » .
(٢) فى الأصل : « دحى » ، ويقال : دحى يدحو أو يدحى أى بسط يبسط .

(١ ب) بسم الله الرحمن الرحيم

رب زدنى علماً

الحمد لله الذى برأ سماوات طباقا رفيعات ، وبنى[1] دونها محيطات ، وجعلها فى الأقدار متفاوتات ، وبالحركة متباينات ، وفى التراكيب مختلفات ؛ ذات بروج معدودة ، وأقسام مقدرة محدودة ، وكواكب نيّرة موّارة ، فى أفلاك بها دوّارة ، تتحرك لأنفسها تارة فتردها أفلاكها بقدرته تعالى مقسورة . كل ذلك يجرى على ما قدر له من إسراع وتأثير ، وإبطاء وتدبير ، وإنماء وتغيير ، بأمر الحكيم القدير ، وتقدير العليم الخبير . ودحا[2] الأرض فسطحها مهادا ، وأرسى عليها الجبال فصارت أوتادا ؛ ثم خلق الإنسان من طين ، وأنشأ منه البشر من سلالة من ماء مهين ، واستعمرهم فى الأرض لينظر كيف يعملون ، وسَخّر لهم ما فى السموات وما فى الأرض لعلهم يشكرون ، ومكّنهم من الاقتدار على إظهار العجائب فأبدوا ما شاءوا من البدائع والغرائب ، وتخولوا فيما اشتهوا من النعماء ، وتبسطوا فى فنون الأفضال والآلاء ؛ وأثاروا الأرض وعمروها ، واتخذوا المدائن واستوطنوها ؛ وقهروا الأعداء ممن ناوأهم ، وخضدوا بالقهر شوكة من عاندهم أو شانأهم ؛ حتى إذا كفروا النعم ، ولم يخشوا العقوبة والنقم ، أبادهم الله الذى أيّدهم ، وأهلكهم القادر الذى مكّنهم ؛ جزاءً بما اكتسبوا

(١) فى الأصل : « بنا » .

(٢) فى الأصل : « دحى » ، ويقال : دحى يدحو أو يدحى أى بسط يبسط .

من السيئات ، وعقوبة لهم على اجتراح الخطيئات ؛ وسيعيدهم أجمعين إليه ، ويوقفهم كلهم للحساب بين يديه .

أحمده حمداً يليق بجلاله ، وينبغى لعظمته وكماله ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ظهير ، ولا معاون له فيما يريده ولا وزير ، شهادة تعبر عن قلب قد غُمر بالإخلاص ، وتجيره للنجاة من النار والخلاص ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ونبيه وخليله ، الذى أنقذ الله به العباد من الهلاك ، وخلّصهم به من أشراك الإشراك ، حتى قاموا (٢ ا) لله سبحانه بما شرع له من طاعته ، وأنزله عليه من أحكام عبادته ، صلى الله عليه ؛ وعلى آله وأصحابه ، وأوليائه ومتبعيه وأحبابه ، وسلم ، وشرف وكرم .

وبعد ، فإنى لما أعاننى الله جلّت قدرته ، وتعالت عظمته ، على إكمال كتاب « عِقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط[1] » ، وضمنته ما وقعت عليه ، وأرشدنى الله — سبحانه — إليه ، من أحوال مدينة الفسطاط ، منذ افتتح أرض مصر أصحاب رسول الله — صلى الله عليه

(١) وضع المقريزى لنفسه خطة واضحة عند ما أراد التأريخ لمصر فى العصر الإسلامى ، فبدأ بكتاب « عقد جواهر الأسفاط » وأرّخ فيه لمصر من الفتح العربى إلى الفتح الفاطمى (٢١ — ٣٥٨) ، ثم ثنى بهذا الكتاب « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا » مؤرخا لها فى العصر الفاطمى ، ثم ثلّث بكتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » مؤرخا لها فى العهدين الأيوبى والمملوكى إلى سنة ٨٤٥ وهى سنة وفاته ، وتوجد من الكتاب الأول نسخة خطية فريدة فى مكتبة الدولة ببرلين ضمن مجموعة خطية تحت رقم ٩٨٤٥ ، ويعمل أستاذى المؤرخ المدقق الدكتور محمد مصطفى زيادة منذ سنوات على نشر الكتاب الثالث ، وقد ظهر منه حتى الآن ٥ مجلدات ، وقد أشار المقريزى إلى تتابع هذه المؤلفات الثلاث فى مقدمته للسلوك . انظر : (السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص (ى) ، ٩) .

وسلم ﷺ ، وصارت دار إسلام إلى أن قدمت جيوش الإمام المعز لدين الله أبى تميم معدّ من بلاد المغرب ، مع عبده وقائده وكاتبه أبى الحسين جوهر ، القائد الصقلبى ، فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، ونزلت فى شمالى الفسطاط بالمناخ ، وأسس مدينة القاهرة ، وحلّ بها ، أحببت أن أضع لمن ملك القاهرة من الخلفاء ديوانا يشتمل على جمل خبرهم ، ويعرب عن أكثر سِيَرهم ، فجمعت هذا الكتاب ، وسميته : « كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا » . والله تعالى أسأل أن يحفظنى فيه ، وفيما خولنى من دنيا ودين ، ويجعلنى يوم الفزع الأكبر من الآمنين ، بمنه وكرمه .

ذكر أولاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب

كرم الله وجهه

اعلم أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب — رضى الله عنه — قتل ليلة الجمعة لإحدى عشرة ، وقيل لثلاث عشرة ، وقيل لثمانى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة أربعين (١) من سنى الهجرة بالكوفة ؛ وولد له من الأولاد الذكور : الحسن والحسين . أمهما فاطمة (٢) بنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

---

(١) ذكر هذه الروايات المختلفة أيضا : (ابن الأثير ، ج ٣ ، ص ١٩٦) ، فقال : قُتل على فى شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه ، وقيل لإحدى عشرة ، وقيل لثلاث عشرة بقيت منه ، وقيل فى شهر ربيع الآخر سنة أربعين ، والأول أصح » ؛ وقال (أبو الفرج الأصفهانى ، مقاتل الطالبيين ، ص ٢٧) إنه توفى « سنة أربعين فى ليلة الأحد لإحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان » ؛ وذكر (ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٣٣٠) أنه « ضرب يوم الجمعة ، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت ، وتوفى ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة » ، وبالرجوع إلى كتب التقاويم يتضح أن التاريخ الصحيح لوفاته هو ما ذكره ابن كثير ، فاليوم الثامن عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ يوافق يوم الأحد (٢٥ يناير ٦٦١) ، انظر : (التوفيقات الإلهامية) .

(٢) توفى أولاد الرسول جميعا قبله إلا السيدة فاطمة الزهراء فقد ماتت بعده بستة أشهر ، وهى أول زوجة تزوجها على ، ولم يتزوج عليها حتى توفيت عنده ؛ ويقال إنها أنجبت له — غير الحسن والحسين — ابنا ثالثا يدعى محسنا ، وأنه مات صغيرا ، وبنتين هما : زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى . انظر : (الكامل لابن الأثير ، ج ٣ ، ص ٢٠١ ؛ المخزومى صحاح الأخبار ، ص ٩ ؛ أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ٢ ، ص ٤٢ — ٤٣) .

ومحمد الأكبر — المعروف بابن الحنفية (١) — ؛ أمه خولة (٢) بنت قيس بن جعفر الحنفي .

والعباس الأكبر (٣) ، وعبد الله (٤) وعثمان الأكبر (٥) وجعفر الأكبر (٦) ؛ أمهم أم البنين بنت المحل بن الديان بن حرام الكلابى ؛

---

(١) أبو القاسم محمد — المعروف بابن الحنفية — كان كثير العلم والورع ، شديد القوة ، حمل راية أبيه يوم الجمل ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ؛ وقد اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ ومكان وفاته : فيقال إنه توفى أول المحرم سنة ٨١ أو سنة ٨٣ ، وقيل سنة ٧٢ أو ٧٣ ؛ وروى أنه توفى بالمدينة وصلى عليه أبان بن عثمان ابن عفان — وكان والى المدينة يومئذ — ودفن بالبقيع ، وقيل إنه خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات هناك ، وقيل إنه مات ببلاد أيلة . والفرقة الكيسانية تعتقد إمامته ، وأنه مقيم بجبل رضوى فى شعب منه ولم يمت ، دخل إليه ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر وهم أحياء يرزقون . انظر : (ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ٢١٨ — ٢٢١) .

(٢) هناك اختلاف فى اسمها ، فقد جاء فى : (المخزومى ، صحاح الأخبار ، ص ٩) أنها : خولة بنت قيس بن سلمة بن عبد الله بن ثعلبة الوائلى ؛ وحكى الكلبى أنها خولة بنت قيس بن جعفر بن قيس بن سلمة » وروى (ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ٢١٨) أنها كانت من سبى اليمامة وصارت إلى علىّ ، وقيل بل كانت سندية سوداء ، وكانت آمة لبنى حنيفة ولم تكن منهم وإنما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ولم يصالحهم على أنفسهم . انظر أيضا : (ابن الأثير ، ج ٣ ، ص ٢٠١ ؛ وابن قتيبة ، المعارف ، ص ٩١) .

(٣) كان يقال للعباس هذا « قمر بنى هاشم » ، وكان يحمل لواء الحسين يوم قتل ، وهو آخر من قُتل من أخوته ، قتله زيد بن رقاد الجهنى (وفى ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧ : زيد بن دواد الجنبى) وحكيم بن الطفيل الطائى . انظر : (الأصفهانى ، مقاتل الطالبيين ، ص ٥٩ — ٦٠) .

(٤) قُتل عبد الله وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ولا عقب له ، انظر : (المرجع السابق ، ص ٥٧) .

(٥) قُتل عثمان وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، رماه خولى بن يزيد بسهم فقتله ، انظر : (المرجع السابق ، ص ٥٨ ؛ وابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) .

(٦) قُتل جعفر وهو ابن تسع عشرة سنة قتله قاتل أخيه عثمان أى خولى بن يزيد . (مقاتل الطالبيين ، ص ٥٨) .

وقتل هؤلاء الأربعة مع الحسين بن على — عليه السلام — بالطفّ[1] .

وعمر الأصغر[2] ؛ أمه الصهباء أم حبيبة[2] بنت ربيعة التغلبى[2] .

وعبد الرحمن — الذى (٢ ب) يكنى[3] أبا بكر — ، وعبيد الله ؛ أمهما ليلى بنت مسعود بن خالد التميمى .

ويحيى ، وعون ؛ أمهما أسماء[4] ابنة عميس الخثعمية . ومحمد الأصغر[5] ؛ أمه أمامة[6] بنت أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ؛ وأمها زينب بنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

---

(١) ذكر (ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) هؤلاء الأربعة ضمن من قتلوا مع الحسين بالطف ، والطّفّ فى اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق — من أطفّ على الشىء بمعنى أطلّ — والطفّ أرض بضاحية الكوفة فى طريق البرية ، فيها كان مقتل الحسين بن على . انظر : (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) فى الأصل : « الأكبر » والتصحيح عن (صحاح الأخبار ص ١٠) ، وفيه أيضا أنه كان « يقال له الأطرف وأمه الصهباء أم حبيب بنت عباد بن ربيعة العلقمى ، اشتراها أمير المؤمنين . . . من سبى خالد بن الوليد . . . ثم أعتقها وتزوجها ، وولدها أحد المعقبين من بنى الإمام ... » . وفى (ابن الأثير ، ج ٢ ، ص٢٠١) أنها كانت من سبي خالد بعين التمر ... وولدت له عمر بن على ورقية بنت على ؛ فعمّر عمر حتى بلغ خمسا وثمانين سنة ، فحاز نصف ميراث على ، ومات بينبع . . » .

(٣) فى الأصل . « يكنا » ، وهناك من يرى أن أبا بكر هذا قد قُتل مع أخيه الحسين بالطف ، انظر : (ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) .

(٤) رواية (ابن الأثير ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٠١) عن أولاد على من أسماء تختلف عن رواية المقريزى ؛ وهى « . . وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية ، فولدت له محمداً الأصغر ، ويحيى ، ولا عقب لهما ، وقيل إن محمدا لأم ولد ، وقتل مع الحسين وقيل إنها ولدت له عونا . . » .

(٥) فى : (ابن الأثير) : « الأوسط » .

(٦) جاء فى (صحاح الأخبار ، ص ٩) : أن عليا تزوج أمامة بعد السيدة فاطمة ، وبوصية منها .

وجعفر الأصغر ؛ من أم ولد .

ومحمد[١] الأوسط ، وعباس الأصغر ؛ أمهما أم ولد .

وعمر الأصغر ، وعثمان الأصغر .

فهؤلاء [هم] الذكور[٢] من ولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب — رضى الله عنه — ، ومنهم من مات فى حياة أبيه وهو طفل صغير ، ومنهم من قتل ولا عقب له .

ووُلد له أيضا إناث[٣] .

ولم يُعقب من أولاده الذكور سوى خمسة هم : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس ، وعمر ؛ وسائرهم لم يعقب .

فوُلد للحسن بن على بن أبى طالب — عليه السلام — زيدٌ ؛

---

(١) فى (مقاتل الطالبيين ، ص ٦٠) أنه محمد الأصغر ، وقد قُتل محمد هذا مع أخيه الحسين فى وقعة الطف ، قتله رجل من بنى دارم . انظر : (ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) .

(٢) عدة الأولاد السابقين ١٨ ولدا ، وإن كان (ابن الأثير ، ج ٣ ،ص ٢٠٢) يذكر أن « جميع ولده أربعة عشر ذكرا ، وسبع عشرة امرأة » ورواية المقريزى تتفق مع رواية (صحاح الأخبار ، ص ٩) حيث يذكر أنه كان لعلى خمسة وثلاثون ولدا منهم ثمانية عشر ذكورا .

(٣) ذكر (ابن الأثير ، المرجع السابق) ، أسماء من ولد لعلى من الإناث فقال : « . . وتزوج على أيضا أم سعد ابنة عروة بن مسعود الثقفية ، فولدت له أم الحسن ، ورملة الكبرى ، وأم كلثوم ؛ وكان له بنات من أمهات شتى ، لم يذكرن لنا ، منهن : أم هانئ ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأم كلثوم الصغرى ، وفاطمة وأمامة ، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجمانة ، ونفيسة ؛ كلهن من أمهات أولاد ؛ وتزوج أيضا مخبئة بنت امرئ القيس بن عدى الكلبية فولدت له جارية هلكت صغيرة ، كانت تخرج إلى المسجد فيقال لها : « من أخوالك ؟ » ، فتقول : « وه .. وه .. » تعنى كلبا » . انظر أيضا : (ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٩١ — ٩٢) .

من أم ولد ؛ والحسن بن الحسن ؛ من أم ولد ؛ والقاسم (١) ، وأبو بكر (٢) ، وعبد الله ، لا عقب لهم ، قُتلوا مع عمهم الإمام الحسين بن على — عليه السلام — بالطف ؛ وعمرو بن الحسن ، وعبد الرحمن بن الحسن ، والحسين ، ومحمد ، ويعقوب ، وإسماعيل ، بنو الحسن ؛ هؤلاء [هم] الذكور (٣) من ولد الحسن بن على بن أبى طالب — عليه السلام — .

ولم يُعقب — من ولد الحسن بن على — سوى رجلين ، هما : الحسن بن الحسن ، وزيد بن الحسن . وسائر ولد الحسن بن على لا عقب لهم .

فولد الحسن (٤) بن الحسن بن على بن أبى طالب محمداً — وبه يكنى — ، وعبدَ الله (٥) — أعقب — ، وحسناً (٦) ، وإبراهيم (٧) ، وجعفر وداود . — وهذه الخمسة قد أعقبوا — ؛ ولم يعقب محمد بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب ولداً ذكرا :

فولد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب محمدا — وهو الذى قتل بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم — ، وإبراهيم

---

(١) ذكر (ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) أن الذى قتله هو سعد بن عمرو بن نفيل الأزدى ، وفى (مقاتل الطالبيين ، ص ٦٢) أن اسمه : عمرو بن سعد بن نفيل .

(٢) أمه أم ولد ، وقد رماه حرملة بن الكاهن بسهم فقتله . انظر المرجع السابق .

(٣) عدة هؤلاء ١١ ولدا ، وقد جاء فى (المخزومى ، صحاح الأخبار ، ص ١١) أن الحسن أعقب تسعة عشر ولدا ، الذكور منهم سبعة عشر .

(٤) ويسمى : « الحسن المثنى » ، انظر : (المخزومى ، صحاح الأخبار ، ص ١٢) .

(٥) ويسمى : « عبد الله المحض » ، وكنيته « أبو محمد » وكان شيخ بنى هاشم فى زمنه انظر (المرجع السابق ، ص ١٢ — ١٣) .

(٦) ويسمى : « الحسن المثلث » ، انظر المرجع السابق .

(٧) ويسمى : « ابراهيم الغمر » ، انظر المرجع السابق .

— المقتول بالبصرة — قُتلا [١] فى الحرب أيام الخليفة أبى جعفر المنصور سنة خمس وأربعين ومائة ؛ وموسى بن عبد الله ، ويحى [٢] بن عبد الله — وهو الذى كان بالديلم ، ونزل بالأمان على يد الفضل بن يحى بن خالد ابن برمك ، ثم حبسه الخليفة هارون الرشيد ، ومات فى حبسه ، ويقال إنه قُتل عند سندى بن شاهك [٣] — ، وسليمان — الذى قتل فى وقعة فخ [٤] — ،

---

(١) محمد هذا هو الملقب « بالنفس الزكية » ، وقد خرج فى المدينة يطالب بالخلافة لنفسه ، كما خرج أخوه فى البصرة ، وقد قتل محمد فى المدينة — لأربع عشرة خلت من رمضان سنة ١٤٥ — أثناء حربه مع جيش العباسيين بقيادة عيسى بن موسى ؛ وقتل إبراهيم عند باخمرى فى حربه مع نفس القائد العباسى ، وذلك لخمس بقين من ذى القعدة من نفس السنة ؛ انظر تفاصيل نضالهما واضطهاد ومطاردة المنصور لبنى الحسن عامة فى : (مقاتل الطالبيين ، ص ١٦٠ — ٢٠٦ ؛ الخضرى ، الدولة العباسية ، ص ٨٢ — ٩٦) .

(٢) نجا يحى بن عبد الله مع من نجا من وقعة فخ — التى كانت فى عهد الهادى — ثم سار إلى بلاد الديلم ، وزاد بها سلطانه ، وكثر أنصاره ، فندب الرشيد لقتاله الفضل ابن يحى بن خالد البرمكى فى خمسين ألفا ، غير أن الفضل صانعه ولاطفه حتى أجاب إلى الصلح على أن يكتب له الرشيد أمانا ، فكتبه وأشهد عليه الفقهاء والقضاة ومشايخ بنى هاشم ، ثم أتى إلى بغداد فأقام بمنزل يحى بن خالد أياما ، ثم دفعه إلى جعفر فحبسه ، وأكرمه فى حبسه ، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن السبب فى نكبة الرشيد للبرامكة هو إطلاق جعفر سراح يحى بن عبد الله ، انظر : (الخضرى ، الدولة العباسية ، ص ١٤٠ ، ١٦٥) .

(٣) السندى بن شاهك مولى المنصور ، وخدم الرشيد والأمين ، انظر أخباره فى : (الطبرى ، طبعة دى غويه ، القسم الثالث ، ص : ١٤٥ ، ١٥١ ، ٥٨٠ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٧١٢ ، ٧٣٤ ، ٧٦٤ ، ٩١٢ ، ٩١٤ ، ٩٧٩ ، ١٠١٦ ، ٢٥٠٩) .

(٤) خرج الحسين بن على بن الحسن المثلث فى عهد الهادى فى سنة ١٦٩ ، فسار لقتاله القائد العباسى محمد بن سليمان ، وتقابل الجيشان فى وقعة فخ ، فانتصر محمد بن سليمان وقتل الحسين وجماعة ممن معه . انظر : (مقاتل الطالبين ، ص ٢٨٨ — ٢٨٩ ؛ الخضرى ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ — ١٣٥) . وفخ واد بمكة دُفن فيه عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة ، انظر : (معجم البلدان) .

وإدريس الأصغر(١) — الذى سار إلى بلاد المغرب ، وبه عقبُه ، وعقبُ أخيه (١٣) سليمان — :

فولد محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب — المقتول بالمدينة — عبدَ الله الأشتر(٢) — وهو المعقبُ من ولده ؛ قتل بكابل — ، وعلىّ — أُخذ بمصر ، وحُبس فى سجن المهدى حتى مات — ، والحسين بن محمد — قُتل بفخ — ؛ وطاهر ، وإبراهيم(٣) — ابنا محمد ، لا عقب لهما — .

وولد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على — وهو وهو المقتول بالبصرة — حسناً . فولد حسن بن إبراهيم : عبدَ الله — ومات متغيبا — ، ومحمداً ، وإبراهيم .

وولد يحى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على محمداً .

وولد سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على — المقتول بفخ — محمداً ، فرّ إلى المغرب ، وولده هناك .

---

(١) ويُقال له أيضا : « إدريس الأول » ، شهد وقعة فخ ، فلما هُزم ابن أخيه الحسن بن على بن الحسن ، اختفى هو مدة ، ثم فر إلى مصر ومنها إلى المغرب حيث استطاع أن ينشئ أول دولة علوية ، وذلك فى سنة ١٧٢ هـ ، وقد ظلت هذه الدولة تحكم المغرب الأقصى قرابة قرنين من الزمن ، انظر : (دائرة المعارف الإسلامية ، مادة : إدريس والإدريسية ، وما بها من المراجع) .

(٢) انظر أخبار قتله فى : (مقاتل الطالبيين ، ص ٢١١ — ٢١٣) حيث يروى أن مؤدبه عبد الله بن محمد بن مسعدة كان قد أخرجه — بعد قتل أبيه — إلى السند فقُتل بها ، ووُجه برأسه إلى أبى جعفر المنصور .

(٣) جاء فى (صحاح الأخبار ، ص ١٣) أنه أنجب ولداً آخر غير هؤلاء يسمى محمدا .

وولد إدريس الأصغر بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على — وهو الذى صار إلى المغرب ، وغلب على موضع منه فى أيام المنصور ، فدسّ إليه المنصور بمتطبب ، فسقاه فقتله — إدريسَ بن إدريس — وُلد بالمغرب ، وأمه بربرية ، وعقبه بالمغرب — .

وولد الحسن بن الحسن بن الحسن بن على : أبا جعفر عبد الله ، وعلياً — مات فى حبس المنصور مع أبيه — ، وحسناً — درج ولا عقب له — ؛ والعباس ، وطلحة — ابنا الحسن بن الحسن بن على ، انقرضا — .

وولد إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على إسماعيل — أعقب — ، وإسحق — أعقب ثم انقرض — ، ويعقوب — لا عقب له — ، ومحمداً — الذى يدعى الديباج الأصغر ، لا عقب له — ، وعليا — أعقب الحسن ، وولد الحسن محمداً ، وإبراهيم — .

وولد إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على حسناً ، وإبراهيم — أعقبا — .

وولد جعفرُ بن الحسن بن الحسن بن على الحسنَ — فولد الحسنُ ابنُ جعفر عبدَ الله ؛ وولد عَبدُ الله عُبَيْدَ الله ، ولاه المأمون الكوفة ثم مكة ، وإبراهيم بن جعفر ؛ فولد ابراهيم ُعبدَ الله ، كانت له بنات — .

وولد داودُ بن الحسن بن الحسن بن على سليمانَ ، وعبد الله — كان عبد الله من أهل الفضل والورع ، وقد أعقب سليمانُ وعبدُ الله ابنا داود — .

وولد زيدُ بن الحسن بن على الحسنَ — لا عقب له إلا منه ، وكان فاضلاً ، ولاه المنصور المدينة — .

فولد الحسن بن زيد بن الحسن بن على إسماعيلَ ، والقاسمَ ، وعبدَ الله ، وإبراهيمَ ، وزيداً ، وعلياً ، وإسحاقَ — فمن بيوت بنى الحسن ابن على بن أبى طالب : بنو طباطبا(١) ، والرسيّون(٢) ، وبنو المطوّق ، وبنو تج — واسمه الحسن — ، وَوَلَدُ الهادى(٣) باليمن الذى له الإمارة ،

---

(١) نسبة إلى إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى ، وكان ابنه محمد بن طباطبا أحد أئمة اليمن ، ولد سنة ٧٣ ، وتوفى سنة ١٩٩ ، وله من العمر ١٢٦ سنة . انظر : (الواسعى ، فرجة الهموم والحزن ، ص ١٨ ؛ Kay, Yaman, its early medieaval History, p. 302, 303.)

(٢) نسبة إلى الإمام القاسم الرسى" ترجمان الدين ، أحد أئمة اليمن ، وُلد سنة ١٦٩ ، وتوفى سنة ٢٤٦ ، وله من العمر ٧٧ سنة ، تولى الإمامة بعد موت أخيه محمد بن طباطبا (انظر الهامش السابق) ، وسُمى الرسى" لأنه مات فى الرّس" ، وهو جبل أسود بالقرب من ذى الحليفة — وهى قرية على بعد ستة أو سبعة أميال من المدينة — انظر أخبارهم المفصلة فى : (الواسعى ، المرجع السابق ، ص ١٨ — ١٩ ؛ Kay, Op. Cit. pp. 314—316) . ثم انظر أسماء من تولى منهم الحكم فى صعدة وصنعاء فى : (Zambaur, Manuel de Genealogie et de Chronologie pour L'Histoire de l' Islam pp. 122—123.)

(٣) هو الإمام الهادى إلى الحق يحى بن الحسين بن القاسم الرسى" ، ولد سنة ٢٤٥ ، وتوفى سنة ٢٩٨ ، خرج فى عهد المأمون الخليفة العباسى وملك ما بين صنعاء وصعدة ووقعت بينه وبين عمال بنى العباس باليمن وقائع ، وخُطب له بمكة سبع سنين ، وكان عالما جليلا وله مؤلفات كثيرة ؛ انظر أخباره بالتفصيل فى : (الواسعى ، فرجة الهموم والحزن ، ص ٢١ — ٢٣ ؛ العرشى ، بلوغ المرام ، ص ٣١ ، ٣٢ — ٣٤ ، ٣٨ ؛ Kay, Op. Cit. pp. 142, 143, 185, 186, 226, 375—316, 322, 326.) ؛ وراجع أيضا (Lane-Pool, Mohammadan Dynasties pp. 102—103) ففيه بيان كامل بأسماء الأئمة الرسيين الذين حكموا فى صعدة وصنعاء .

وبنو الأذرع ، وَوَلَدُ الداعى إلى الحق[1] بطبرستان[2] ، وَوَلَدُ الحسن ابن زيد[1] الذى له الإمارة بالديلم ، وَوَلَدُ الناصر الحسنى[3] الذى كان باليمن ، وغير ذلك من بيوتات ولد الحسن بن على بن أبى طالب ، — رضى الله عنهم — .

(٣ ب) وأما ولد الحسين بن على بن أبى طالب :

فإن الحسين ولد عليا الأكبر[4] — وقُتل بالطف ، ولاعقب له — ،

---

(١) لمعرفة من تولى الإمامة بطبرستان والديلم من أولادهما انظر .Lane-Poole) (Op. Cit. p. 127; Kay. Op. Cit. pp. 302—303. وقائمة النسب بين الصفحتين .

(٢) « الطَبَر » فى الفارسية ما يشقق به الأحطاب ، و « استان » الموضع أو الناحية فمعنى « طبرستان » ناحية الطبر ، والنسبة إليها طَبَرى ، قال (ياقوت فى معجم البلدان) : « والذى يظهر لى — وهو الحق ويعضده ما شاهدناه منهم — أن أهل تلك الجبال كثيرو الحروب ، وأكثر أسلحتهم بل كلها الأطبار ، حتى إنك قلّ أن ترى صعلوكا أو غنيا إلا وبيده الطَبَر — صغيرهم وكبيرهم — فكأنها لكثرتها فيهم سميت بذلك » ؛ وقصبة طبرستان آمل ، وقد كانت تحت حكم الفرس . ثم فتحها سعيد بن العاصى (وقد ولى الكوفة من قبل عثمان سنة ٢٩) ؛ وفى ولاية سليمان ابن عبد الله بن طاهر على طبرستان خرج عليه الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل ابن حسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب فى سنة ٢٤٩ فأخرجه عنها ، وغلب عليها إلى أن مات ، فخلفه أخوه محمد بن زيد (٢٧٠ — ٢٨٧) ؛ انظر : (Zambaur. Op. Cit. p. 192) . ولمعرفة حدود هذه الولاية فى العهد الإسلامى أنظر : (ياقوت ، معجم البلدان) وتبين موقعها فى : (خريطة العالم الإسلامى لأمين بك واصف).

(٣) ويقال له « الناصر الديلمى » وهو أبو الفتح الإمام الناصر بن الحسين بن محمد ابن عيسى بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن على بن الحسن بن زيد ، قام باليمن بعد عودته من ناحية الديلم سنة ٤٢٠ ، وكان غزير العلم ، وله مؤلفات منها تفسير فى أربع مجلدات كبار ، قتله الصليحى سنة ٤٤٧ . انظر (الواسعى ، المرجع السابق ، ص ٢٧ ؛ Kay, Op. Cit. pp. 302—303 وقائمة النسب التى بين الصفحتين ؛ (Zambaur. Op. Cit. p. 123 .

(٤) انظر بعض أخباره فى : (مقاتل الطالبيين ، ص ٥٥ — ٥٦) .

وعلياً الأصغر — وفيه البقية —، وجعفراً — لاعقب له — ، وعبدَ الله[(١)]
— قُتل صغيرا بالطف ، ولا عقب له — . هؤلاء الذكور من ولد الحسين
ابن على ، وهم لأمهات شتى .

فولد علىّ الأصغر[(٢)] بن الحسين حسناً ، وحسيناً — لاعقب لهما —
وأبا جعفر محمداً ، وعبدَ الله — أمهما أم ولد — وزيداً ، وعمرَ ، وعلياً ،
ومحمداً الأوسط — ولا عقب له — وعبدَ الرحمن ، وحسيناً الأصغر ،
وسليمان ، والقاسمَ — ولا عقب له — وهؤلاء الذكور من ولد على بن
الحسين بن على ، وعدتهم ثلاثة عشر[(٣)] ذكراً . أعقب منهم ستة ، وهم :
محمد — المكنى بأبى جعفر — ، وعبد الله ، وزيد ، وعمر ، وعلى ،
والحسين الأصغر .

فولد أبو جعفر محمد[(٤)] بن على بن الحسين بن على جعفراً الصادق ،

---

(١) قتل عبد الله صغيرا ، جاءته نشابة وهو فى حجر أبيه فذبحته ؛ انظر : (مقاتل الطالبيين ، ص ٦٣ — ٦٤) .

(٢) هو أبو الحسن على بن الحسين — المعروف بزين العابدين — ، وليس للحسين عقب إلا من ولده هذا ، وعلى زين العابدين أحد الأئمة الإثنى عشر ، وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس ، ولد سنة ٣٨ وتوفى سنة ٩٤ ، وقيل سنة ٩٢ ، ودفن فى البقيع فى قبر عمه الحسن بن على . انظر : (ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٧) .

(٣) الأسماء المذكورة عددها اثنا عشر لا ثلاثة عشر .

(٤) أبو جعفر محمد بن على زين العابدين — الملقب بالباقر — أحد الأئمة الاثنى عشر فى اعتقاد الإمامية ، كان عالما كبيرا ، وقيل له الباقر لأنه تبقر فى العلم أى توسع فيه ، أمه أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، ولد بالمدينة يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة ٥٧ ، والأقوال مختلفة فى سنة وفاته ، فهى سنة ١١٣ أو ١١٤ ، أو ١١٧ ، أو ١١٨ ، وكانت وفاته فى الحميمة ثم نقل إلى المدينة فدفن فى البقيع فى قبر أبيه وعم أبيه الحسن بن على . انظر : (ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ٢٢١) .

وعبد الله — أمهما أم ولد — ، و إبراهيم ، وعبيد الله — لا بقية لهما ، درجا ، وأمهما أم ولد — ، وعليًّا — لا عقب له ، وأمه أم ولد — .

فولد جعفر — ابن محمد — الصادقُ[(١)] إسماعيلَ — أعقب — ، وعبدَ الله — لا عقب له ، أمهما فاطمة ابنة الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب — وموسى[(٢)] ، و إسحاقَ ، ومحمداً — لأم ولد — ، والعباسَ — لا عقب له ، وأمه أم ولد — ، وعلياً — المعروف بالعريضى ، أمه أم ولد — .

وحيث انتهينا إلى ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب فإنه الغرض ، وإليه ينتسب الخلفاء الفاطميون بناة القاهرة ، فنقول :

---

(١) أبو عبد الله جعفر الصادق أحد الأئمة الاثنى عشر ، لقب بالصادق لصدقه فى مقالته ، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، اشتغل بالكيمياء والزجر والفأل ، ويقال إن من تلاميذه أبو موسى جابر بن حيان ، وأنه ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل أستاذه جعفر الصادق وهى خمسمائة رسالة . وُلد جعفر سنة ٨٠ — وقيل سنة ٨٣ — ، وتوفى فى شوال سنة ١٤٨ بالمدينة ، ودفن بالبقيع . انظر : (ابن خلكان ، ج ١ ، ص ١٨٥) .

(٢) هو أبو الحسن موسى الكاظم ، الإمام السابع — فى رأى الاثنى عشرية — كان كثير الورع والتقوى ، وُلد بالمدينة سنة ١٢٩ — أو ١٢٨ — وأقام بها حتى أقدمه المهدى بغداد وحبسه ، ثم ردّه إلى المدينة إلى أن ولى هارون الرشيد فحمله إلى بغداد سنة ١٧٩ وحبسه بها إلى أن توفى فى محبسه ، وكانت وفاته سنة ١٨٣ — أو ١٨٦ — وكان الموكل به مدة حبسه السندى بن شاهك جد كشاجم الشاعر المعروف . انظر : (ابن خلكان ، الوفيات ، ج ٣ ، ص ١٣ — ١٥ ؛ Mamour, the Origin of the Fatimi Caliphs, pp. 93—100)

ابن إسماعيل بن جعفر الصادق مات فى حياة أبيه جعفر سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وخلّف من الأولاد : محمداً ، وعلياً ، وفاطمة .

فأما محمد بن إسماعيل فإنه الذى إليه الدعوى ؛ وكان له من الولد : جعفر ، وإسماعيل فقط — أمهما أم ولد — :

فولد جعفر بن محمد بن إسماعيل محمداً ، وأحمد ؛ أما أحمد فلا عقب له .

وأما محمد فولد جعفراً ، وإسماعيل ، والحسن .

وقال أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم (١) : « وولدُ إسماعيل ابن جعفر علىٌّ ، ومحمدٌ فقط ؛ وإمامةَ محمدٍ هذا تدّعى القرامطة والغلاة بعد أبيه إسماعيل . فولدُ محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد جعفرٌ وإسماعيل ، منهم بنو جعفر البغيض بن الحسن بن محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق . وادعى عبيد الله القائم بالمغرب أنه أخو حسن بن محمد

---

(١) هو أبو محمد على بن محمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الظاهرى الأندلسى . وُلد فى قرطبة يوم الأربعاء سلخ رمضان سنة ٣٨٤ (٧ نوفمبر ٩٩٤) ، كان أبوه وزيراً للحاجب المنصور محمد بن أبى عامر ، وقد ثقف ابن حزم ثقافة عالية ، وحصل علوما كثيرة ، وألف فيها ، روى ابنه أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، ويقال إنه كان كثير الوقوع فى العلماء المتقدمين ، لا يكاد يسلم أحد من لسانه ، فاستهدف لفقهاء وقته ، وأقصته الملوك ، فانتهى إلى البادية حيث مات فى سنة ٤٥٦ . وأهم مؤلفات ابن حزم كتاب « الفِصَل فى الملل والنحل » ، طبع فى المطبعة الأدبية بالقاهرة سنة ١٣١٧ ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستانى ؛ أنظر ترجمته بالتفصيل وبيان مؤلفاته فى : (وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢١ — ٢٤ ؛ القفطى ، أخبار العلماء ، ص ١٥٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مادة ابن حزم ، وما بها من مراجع) .

هذا ، وشهد له بذلك رجل من بنى البغيض ، وشهد له أيضا بذلك جعفر ابن محمد بن الحسين بن أبى الجن على بن محمد الشاعر بن على بن إسماعيل ابن جعفر ، ومرةً ادعى أنه ولدُ الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ؛ وكل هذه دعوى مفتضحة ، لأن محمد بن إسماعيل بن جعفر لم يكن له قط ولدٌ اسمه الحسين ، وهذا كذب فاحش ، ولأن مثل هذا النسب لا يخفى على من له أقل علم بالنسب ، ولا يجهل أهله إلا جاهل (١) » .

قلتُ : ما ذكره أبو محمد [بن حزم] من انتسابهم إلى الحسين ابن محمد بن إسماعيل قولٌ افتعله معاديهم ، فقد كان أبو محمد بقرطبة ، وملوكها بنو أمية ، وهم أعدى أعادى القوم ، فنقل ما أشاعه هناك ملوك بلده حتى اشتهر ، كما هى عادة الأعداء .

والذى يقوله أهل هـذا البيت ويذهبون إليه أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعده ، وأن الإمام بعد إسماعيل بن جعفر [هو] ابنه محمد ، ويلقبونه « بالمكتوم (٢) » ، وبعد المكتوم ابنه جعفر

---

(١) أردت أن أراجع ما ورد هنا على نص ابن حزم ، غير أنه من العجيب أن ابن حزم لم يورد فى كتابه « الفصل فى الملل والنحل » شيئاً عن الإسماعيلية ، لهذا ترجح أن يكون هذا النص قد ذُكر فى كتابه « جمهرة الأنساب » ، أو « الجماهير فى أنساب المشاهير » كما يسميه المقريزى هنا ، أنظر ما يلى ، ص ١٩ — وهو كتاب لا يزال مخطوطا ، وتوجد منه نسخة فى مسجد الزيتونة بتونس رقم ٥٠١٤ ، وأخرى بمجريط ، انظر : (دائرة المعارف الإسلامية ، مادة ابن حزم ، وما بها من مراجع) .

(٢) أمام اضطهاد العباسيين ، وسعيا لإنجاح الدعوة ، اضطر الأئمة من أبناء اسماعيل إلى التكتم وإخفاء شخصياتهم ، فلقبوا بالأئمة المكتومين ، وأولهم محمد بن اسماعيل ، (Mamour, Op. Cit. P. P. 43 - 92.) ويرى أن محمداً المكتوم هو ميمون القداح نفسه ، وأنه فى تكتمه انتحل هذا الاسم ، وامتهن مهنة القداحة ليختفى وراءها ، وليكون أكثر اتصالا بأكبر عدد ممكن من الناس ، ويخالفه فى هـذا الأستاذان : H. A. R. Gibb ; B. Lewis ; انظر : (Bernard Lewis. The Origins of Ismailism, P. P. 21-22)

ابن محمد بن إسماعيل ، و يلقبون جعفراً هذا «بالمصدق » ، و بعد جعفر المصدق ابنـه محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المـكتوم بن إسمـاعيل الإمام ابن جعفر الصادق .

قالوا : فولد محمدٌ الحبيب عبيدَ الله بن محمد بن جعفر المصدق بن محمد المـكتوم بن الإمام إسماعيل ، وعبيدُ الله هـذا هو القائم بالمغرب ، الملقب بالمهدى ، المنسوب إليه سائر الخلفاء الفاطميين بالمغرب و بمصر . هذا هو الثابت عندهم فى درج نسبهم .

(١٤) وقال الشريف محمد بن أسـعد بن على الحسينى الجوانى (١) النقيب : « وأما إسماعيل بن جعفر — يعنى الصادق — فَعَقِبُه من ابنيْه : محمد وعلى ؛ فأما على فمن ولده أبو الجن بن الحسين بن على بن محمد بن على ابن إسمـاعيل بن جعفر ، وهم بدمشق ، ويقال لهم : « بنو أبى الجن » — بجيم ونون — وأما محمد بن إسماعيل فيُنسب إليه الذين تغلبوا على أفريقية الغرب ، ثم تغلبوا على مصر والشام .

ففى النسّابين من أثبتهم ، وفيهم من نفاهم ، وفيهم من أمسك ؛ سألت الشريف النسابة جمـال الدين أبا جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم

---

(١) هو محمد بن أسعد بن على بن معمر أبو على الجـوّانى ، صـاحب كتاب : « النُّـقَـط بِعجم ما أشْكل من الخطط » ، ولم يظهر للآن ما يثبت وجود هـذا الـكتاب ، غير أن المؤلفين المتأخرين قد نقلوا عنه كثيرا ، وخاصة المقريزى فى خططه ، حيث يقول عنه إنه : « نبه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت » ، وقد وُلد الشريف سنة ٥٢٥ ، وتوفى سنة ٥٨٨ (١١٣١ — ١١٩٢) ، انظر : (المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٦ — ٧ ؛ أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٤٣ ؛ ج ٦ ، ص ١١٩ ، ٢١٨ ؛ محمد عبد الله عنان ، مصر الإسلامية ، ص ٣٩ ، ٥٥ ، ٨٩) .

الإدريسى الحسنى (١) بمدينة القاهرة عن هؤلاء ، فقال : « المثبتون لأنساب أهل القصر بالقاهرة [هم] شيخ الشرف العبيدلى (١) ، وابن ملقطة العمرى (١) ، وأبو عبد الله البخارى (١) ؛ والنافون لأنسابهم [هم] الشريف ابن العابد (١) ، وابن وكيع (١) — من أصحاب سحنون — ، وابن حزم الأندلسى — صاحب كتاب الجماهير فى أنساب المشاهير (٢) — ؛ والمتوقفون فى أنسابهم [هم] محمدٌ المبرقع (١) ، وأخوه الحسن الزيديان فى جماعة كثيرة من النسابين كابن خداع (١) ، وشبل بن تكين (١) ، وغيرهم .

والذى قاله شيخ الشرف : « و بنو عبيد الله بالمغرب فى نسب القطع (٣) » .
هذا ما أملاه على الإدريسى ، وكان من العلماء بالنسب والتاريخ .

قال : « ووجدت فى كتاب أبى الغنائم عبد الله النسابة (١) الزيدى الحسينى فى ذكره ولدِ محمد بن إسماعيل بن جعفر : العَقَبَةُ من جعفر بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر رجلٌ واحد [هو] محمد ، أمه فاطمة بنت على بن جعفر بن عمر بن على بن الحسين بن على ، وأمها أروى ابنة الهيثم (٤ ب) ابن العريان بن الهيثم بن الأسود الجشمى ؛ والعقبُ من محمد بن جعفر بن محمد ابن إسماعيل رجلٌ واحد ، وهو الحسن الحبيب — لأم ولد — وكان له : جعفر و إسماعيل ، وأحمد ، وعبيد الله ، وعلى ؛ اغتربوا فلم يُعلم كيف جرى أمرهم ، وهل أعقبوا أم لا ؟

---

(١) لم أجد فى كتب التراجم التى بين يدىّ تعريفا بهؤلاء النسابة .

(٢) انظر ما سبق ، ص ١٧ .

(٣) يوجد فى الأصل بعد كلمة « القطع » لفظتا : « فى صح » ولعلها إشارة إلى أن حرف الجر السابق للفظ « نسب » صحيح ، ومع هذا يبدو أن النص هنا ينقصه ما يكمله ليتم المعنى ويتضح .

ويُقال إن ولدَ عبد الله بالمغرب ؛ وآخر من ذكره من عقب محمد ابن إسماعيل : الحسين بن أبى طالب ، على بن الحسين ، أبى القاسم بن الحسين ابن الحسن بن محمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (؟)

(١٥) وأما غيرهم فيقول : إن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق وَلَدَ جعفراً ، وإسماعيل ، وأحمد ، والحسن .

فوَلَدَ الحسن جعفراً — توفى بمصر سنة ثلاث وتسعين ومائتين — .

فوَلَدَ جعفر بن الحسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق أبا جعفر محمداً .

فولدَ محمدٌ أبا عبد الله جعفراً ، وعليا ، وأحمد ، والحسن ، ويحى . هؤلاء الذكور من وَلَدِ الحسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق — وكانوا بمصر — .

وولدَ إسماعيلُ بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد ابن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب أحمدَ ، ويحى ، ومحمداً ، وعليا — درج ولا عقب له — .

فولدَ أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إسماعيلَ — توفى بمصر فى ذى القعدة سنة أربع وسبعين ومائتين — ، ومحمداً — لا عقب له — ، وزيداً ، وعلياً ، والحسين — لأم ولد — .

فولدَ إسماعيلُ بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر

الصادق أبا عبد الله أحمد — توفى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة بمصر — ، وأبا جعفر محمداً — توفى سنة اثنتين وثلاثمائة بمصر — ، وأبا القاسم جعفراً — توفى سنة أربع وسبعين ومائتين بمصر — ، وحمزة — درج فى سنة خمس وسبعين ومائتين ، ولا عقب له — ، وأبا عبد الله الحسين — توفى سنة أربع وتسعين ومائتين — ، وأبا الحسن علياً — توفى فى طريق مكة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — .

فوَلَدَ أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق أبا محمد إسماعيل ، وأبا الحسن علياً ، وأبا القاسم جعفراً وتوفى سنة ثلاثين وثلاثمائة — ، وموسى — ولا عقب له — .

فوَلَدَ إسماعيلُ بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا الحسن علياً ، وأبا عبد الله الحسين ، والحسن .

ووَلَدَ على بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر [الصادق] بنتاً — لم يلد غيرها — .

ووَلَدَ جعفرُ بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا عبد الحسين ، وأبا إبراهيم إسماعيل ، وأبا جعفر محمداً ، وأبا الحسين محمداً . هؤلاء [هم] بنو أحمد بن إسماعيل ابن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق — وهم بمصر — .

ووَلَدَ محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل

ابن جعفر [الصادق] علياً ، والحسين ، وموسى .

وَوَلَدَ عليٌّ بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر [الصادق] الحسنَ — وتوفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة — ولا عقب له — .

وَوَلَدَ الحسينُ بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر [الصادق] زيداً — ولا عقب له — ، ومحمداً ، وجعفراً ، وأحمدَ ، و إسماعيلَ — وُلد بالمغرب وله عقب به — .

(٥ ب) وَوَلَدَ موسى بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر يحيى ، وجعفراً ، وعلياً ، و إبراهيم ، و إسماعيل — ولا عقب له — . فهؤلاء بنو محمد بن إسماعيل بن أحمد ابن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وهم بمصر .

وَوَلَدَ الحسين بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر [الصادق] محمداً أبا الحسين ، ومحمداً أبا عبد الله — وهم بمصر — .

وَوَلَدَ جعفر بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر زينبَ — لم يلد غيرها — .

وَوَلَدَ عليٌّ بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر [الصادق] إسماعيلَ ، ومحمداً ، والحسين ، والحسن ، وجعفراً .

وَوَلَدَ إسماعيلُ بن علي بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد

ابن إسماعيل بن جعفر [الصادق] محمداً — ولا عقب له — ، وعبدَ الله .

وَوَلَدَ محمدُ بن على بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر [الصادق] إبراهيمَ ، وزيداً ، وعبدالله ، ومحسناً ، وعلياً .

وَوَلَدَ الحسينُ بن على بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر [الصادق] حمزةَ ، وجعفراً — وهم بمصر — .

وَوَلَدَ زيدُ بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر [الصادق] موسى — ولا عقب له — .

وَوَلَدَ علىّ بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر [الصادق] فاطمةَ — ماتت بدمشق — .

وَوَلَدَ الحسينُ بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر [الصادق] زيداً — مات ببغداد — ، ومحمداً ، وإسماعيل النقيب — بدمشق — ، وأحمدَ ، والحسنَ ، وعلياً ، وجعفراً — ولا عقب له — .

فولدَ زيدُ بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الحسينَ — ولا عقب له — ، وأم سلمة ، وخديجة — وكان لها ولد ببغداد — ، وموسى — لا عقب له — .

وَوَلَدَ محمدُ بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل

ابن جعفر [الصادق] فاطمةَ — لم يخلف غيرها — .

وولدَ إسماعيلُ بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر [الصادق] محمداً ، وموسى ، و إبراهيمَ ، والحسين ، وطاهراً .

فوَلَدَ محمدُ بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر [الصادق] أحمدَ .

وولدَ أحمدُ بن الحسين حمزةَ ، ومحمداً — وقد انقرضا ولا عقب لهما من الذكور — .

وولدَ الحسنُ بن الحسين بن أحمد محمداً ، وعقيلاً ، و إبراهيم — ولا عقب له — ، وعبيدَ الله ، ومحسناً — ولا بقية لهما — .

وولدَ عليُّ بن الحسين بن أحمد المحسنَ ، وأحمدَ ، ومحمداً — المعروف بأخي محسن ، كان سكن دمشق ، ولا عقب لأحمد ومحمد هذين — .

وولدَ يحيى بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر [الصادق] أحمدَ ، وفاطمةً — درجا — .

وولدَ محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر [الصادق] محمداً .

فولدَ محمدٌ [هذا] الحسنَ ، والحسينَ ، ومحمداً .

فولدَ الحسنُ بن محمد الحسينَ ، وأحمدَ — وهم بالكوفة — .

فهؤلاء جميعُ ولَدِ محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وأما بقية أولاد إسماعيل بن جعفر [الصادق] فلا حاجة بنا إلى ذكرهم هنا .

(١٦) ذكر ما قيل فى أنساب الخلفاء الفاطميين

قال كاتبه : « قد وقفت على مجلدة تشتمل على بضع وعشرين كراسة فى الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف الشريف العابد المعروف « بأخى محسن [(١)] » وهو محمد بن على بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويكنى بأبى الحسين ؛ وهو كتاب مفيد » .

وقد غبرت [(٢)] زمانا أظن أنه قائل ما أنا حاكيه حتى رأيت محمد ابن إسحاق النديم [(٣)] فى كتاب « الفهرست » ذكر هذا الكلام بنصّه [(٤)] ، وعزاه إلى أبى عبد الله بن رزام [(٥)] . وأنه ذكر [ه] فى كتابه الذى ردّ

---

(١) علوىّ عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع ، ويُرجح أنه كان معاصرا للمعز لدين الله ، انظر : (B. Lewis, Op. Cit P. 7.) . انظر الهامش التالى .

(٢) فى الأصل : « غيرت » .

(٣) انظر ترجمته فى : (ابن خلكان ، الوفيات ؛ ومعجم الأدباء لياقوت ؛ ومقدمة الفهرست) .

(٤) ورد فى : (الفهرست لابن النديم ، ص ٢٦٤ — ٢٦٥) نصّ — تحت عنوان : « الكلام على مذهب الإسماعيلية » — يشبه نص المقريزى فى المعنى ، ولكنه يختلف عنه كثيرا فى اللفظ ؛ كذلك أورد المقريزى فى : (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٨ — ١٥٩) فصلا عنوانه : « ذكر ما قيل فى نسب الخلفاء الفاطميين بناة القاهرة » يتفق مع النص المذكور هنا فى المعنى ، ويختلف عنه — فى اللفظ اختلافا يسيرا جدا ، والأصل الذى ينقل عنه المؤرخان هو ابن رزام .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن على بن رزام الطائى الكوفى ، عاش — على الأرجح — فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (انظر : المسعودى ، التنبيه والإشراف ، ص ٣٤٣) حيث يذكره ضمن المؤرخين الذين كتبوا قبله عن القرامطة — والمسعودى توفى ٣٤٥ — ، وابن رزام أقدم كاتب — فيما نعلم حتى الآن — أشاع قصة انتماء الفاطميين إلى ميمون القداح ، ووصل بينهم وبين القرامطة ؛ وكتاب =

فيه على الإسماعيلية ، قال — وأنا برىء من قوله — : هؤلاء القوم من ولد دَيْصان (١) الثنوى الذى تُنسب إليه الثنوية (٢) ، وهو مذهب يعتقدون فيه خالقين : أحدهما يخلق النور، والآخر يخلق الظلمة . فوَلَدَ ديصان هذا

= ابن رزام مفقود — حتى الآن — ولكن هذه الأجزاء التى تشكك فى نسب الفاطميين قد نقلها عنه مؤرخون لاحقون كثيرون ، أشار المقريزى هنا إلى أن أخا محسن واحد منهم ؛ ومنهم المقريزى نفسه ، فقد نقل جزءاً من هذا النص : هنا ، وفى : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ — ٢٣٤) وفى : المقفى — انظر : Quatrèmere, Mémoires Hístoriques, J. A. 1836) ؛ وفى نهاية الأرب للنويرى (فى الجزء الخاص بتاريخ الفاطميين ولا يزال مخطوطا) قسم كبير من هذا الكتاب ؛ وكذلك نقل (ابن النديم فى الفهرست ، ص ٢٦٤ — ٢٦٦) كلام ابن رزام — بلفظه — .

وعلى أساس الشكوك الشائعة فى هذا النص كُتب المحضر العباسى الأول (٤٠٢ = ١٠١١) بإنكار النسب الفاطمى الذى ظل المرجع الموثوق به لكثير من المؤرخين المتأخرين الطاعنين فى النسب الفاطمى ؛ وقد ناقش نص ابن رزام هذا وفنّده : (B. Lewis, Op. Cit, P. P. 69, 55) .

(١) من البراهين القوية التى يتذرع بها مؤيدو النسب الفاطمى أن ديصانا هذا عاش ومات قبل ظهور الدعوة الإسماعيلية بنحو أربعة قرون ، يقول البغدادى مثلا (الفرق بين الفرق ، ص ٣٣٣) عند كلامه عن الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة : « وقالوا بتكفير كل متنبئ سواء كان قبل الإسلام كزرادشت ويوداسف ومانى وديصان ومزفيور ومزدك أو بعده كمسيلمة وسجاح ... الخ » ؛ انظر أيضاً : (الرازى ، اعتقادات فرق المسلمين ، ص ٨٨) و (Mamour O.p. Cit P. P. 30-42) وما به من مراجع ؛ (O'Leary, A Short History of the Fatimid Khalifate, P. 18)

(٢) الثنوية مذهب قديم كان أتباعه يعتقدون أن للعالم أصلين هما النور والظلمة ؛ والثنوية أربع فرق : ١ — المانوية أتباع مانى ، وكانوا يقولون إن النور والظلمة حيان ؛ ٢ — والديصانية أتباع ديصان ويقولون إن النور حى والظلمة ميتة ؛ ٣ — والمرتونية ، وهم يثبتون متوسطا بين النور والظلمة ويسمونه — المعدل ؛ ٤ — والمزدكية أتباع مزدك بن نامدان ؛ انظر تفصيل الكلام عن هذه الفرق فى : (الشهرستانى ، الملل والنحل ، ص ١٤٣ ؛ ١٤٧ ؛ الرازى ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ؛ ص ٨٨ — ٨٩) .

ابناً يقال له : « ميمون القدّاح[١] » ، وإليه يُنسب الميمونية[٢] . وكان له مذهب فى الغلو . فوُلد لميمون هذا ابن يقال له : « عبد الله » كان أخبث

(١) اختلفت الآراء اختلافا كبيراً عند بيان حقيقة ميمون القداح ، فكُتّاب السنة — من مؤرخين وفقهاء — ينكرون انتساب الدولة الفاطمية إلى على وفاطمة ، ويؤكدون نسبتها إلى ميمون القداح ، ويقولون إنه كان فارسياً مجوسياً من الأهواز وأنه تظاهر بالإسلام والتشيع والدعوة لآل البيت ، فقبض عليه وأودع سجن الكوفة فى أواخر عهد المنصور ، وبعد خروجه من السجن أدعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق إلى أن نجحت دعوته فى عهد أولاده الخلفاء الفاطميين انظر مثلا : (الحمادى اليمانى ، كشف أسرار الباطنية ، ص ١٦ — ٢٠ ، عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ؛ محمد عبد الله عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ٣٣ ، ١٧٣ الخ) . أما المراجع الإسماعيلية فترى أنه : « لما آن لإسماعيل الأجل ... أوصى والده الصادق الأمين أن يقيم لولده حجباً ومستودعا كما أوصى هارون موسى أن يقيم لولده كفيلا ، فأقام له يوشع بن النون سترا عليه وحجابا له ؛ فسلمه — أعنى مولانا محمد بن اسماعيل — إلى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران ابن سلمان الفارسى — قدس الله روحه — فرباه وأخفى شخصه وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح — وهو كفيل له ومستودع أمره ، وميمون من أولاد سلمان ، وسلمان من أولاد إسحق بن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والإبلاغ » ، أى أن ميمونا وابنه عبد الله من بعده كانا حاجبين ومستودعين لأسرار أولاد اسماعيل بن جعفر الصادق ؛ انظر : (ص ٤٧ ، ٤٩ من كتاب زهر المعانى) الذى نشره أخيراً المستشرق « إيڤانوف » فى كتابه : (W. Ivanow, Ismaili Tradition concering the Riseof the Fatimids.)

وقد ناقش « إيڤانوف فى كتابه هذا (ص ١٣٣ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦) جميع الآراء والأقوال المتصلة بحقيقة شخصية ميمون القداح ، وخرج منها برأى يدافع عنه ، خلاصته : أن قصة انتساب الفاطميين إلى ميمون خرافة لا يؤيدها المنطق أوالمراجع الإسماعيلية أوالحوادث التاريخية . ويرى (Mamour. Op. Cit. pp. 43,92) أن ميمونا هو محمد بن اسماعيل نفسه ، أما (B. Lewis. Op. Cit P. P. 44-65) فيرى أن عهد التكتم شهد نوعين من الأئمة : الأئمة المستودعون وينتسبون لميمون القداح والأئمة المستقرون وينتسبون لمحمد بن اسماعيل .

(٢) يفهم من النص هنا أن « الميمونية » فرقة تنتسب لميمون القداح ، غير أن الشهرستانى ذكر فى : (الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٧٣) أن « الميمونية » هم « أصحاب ميمون بن خالد ، كان من العجاردة إلا أنه تفرد عنهم بإثبات القدر خيره وشره من =

من أبيه ، وأعلم بالحيل ؛ فعمل أبوابا عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام ، وكان عارفاً عالما بجميع الشرائع والسنن ، وجميع علوم المذاهب كلها ؛ فرتّب ماجعله من المكر فى سبع دعوات يتدرج الإنسان من واحدة إلى أخرى حتى ينتهى إلى الأخيرة ، فيبقى معرى من جميع الأديان ، لا يعتقد غير التعطيل والإباحة ، ولا يرجو ثوابا ، ولا يخشى عقابا ، ويقول إنه على هدى هو وأهل مذهبه ، وغيرهم ضال مغفل .

وكان عبد الله بن ميمون يريد بهذا — فى الباطن — أن يجعل المخدوعين أمةً له ، يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة . وأما فى الظاهر فإنه [كان] يدعو إلى الإمام من آل البيت : محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ليجمع الناس بهذه الحيلة .

وكان عبد الله بن ميمون هذا أراد أن يتنبأ فلم يتم له . وأصله من موضع بالأهواز[(١)] يُعرف « بقورج العباس[(٢)] » ، ثم نزل « عسكر

= العبد ... والقول بأن الله تعالى يريد الخيردون الشر وليس له مشيئة فى معاصى العباد ، ... وأن الميمونية يجيزون نكاح بنات البنات وبنات أولاد الأخوة والأخوات إلخ » ، انظر أيضاً : (الرازى ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٤٨) .

(١) يقال إن الأهواز جمع « هَوْز » ، وأصله « حَوْز » ، والحَوْز فى الأرضين أن يتخذها رجل ويبيّن حدودها فيستحقها فلا يكون لأحد فيها حق ، ولما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها لأنه ليس فى كلامهم حاء مهملة ، فإذا تكلموا بكلمة فيها حاء قلبوها هاء ، وقد كان اسمها فى أيام الفرس خُوزستان ؛ ويقال — فى رأى آخر — إنما كان اسمها بالفارسية : « الأخواز » ، فعُربت إلى « الأهواز » ؛ والأهواز — كما قال ياقوت فى معجمه — سبع كور بين البصرة وفارس ، وذكر أنها فتحت على يد حُرْقوص بن زهير بتأمير عتبة بن غزوان إياه ، سيّره إليها فى أيام تمصيره البصرة وولايته عليها ، وقال البلاذرى : غزا المغيرة بن شعبة سوق الأهواز فى ولايته بعد أن شخص عتبة بن غزوان من البصرة فى آخر سنة ١٥ أو أول سنة ١٦ فقاتله البيرُوان دهقانها ، ثم صالحه على مال ، ثم نكث فغزاها أبو موسى الأشعرى حين ولاه عمر البصرة بعد المغيرة ، ففتح سوق الأهواز عنوة . انظر : (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٢) لم أجد فى المراجع التى بين يدىّ تعريفا لموضع هذا البلد .

مُكْرَم[١] »، وسكن « ساباط أبى نوح[٢] »، فنال بدعوته مالاً . وكان يتستر بالتشيع والعلم، وصار له دعاة، وظهر ماهو عليه من التعطيل والإباحة، والمكر والخديعة، فثارت به الشيعة، والمعتزلة[٣]، وكبسوا داره، ففر إلى البصرة، ومعه رجل من أصحابه يُعرف « بالحسين الأهوازى »، فادعى أنه من ولد عقيل[٤] بن أبى طالب، وأنه يدعو إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق؛ ثم اشتهر خبره، فطلبه العسكريون، فهرب هو والحسين الأهوازى إلى سلمية [من أرض الشام[٥]]، ليخفى أمره بها، فوُلد له بها ابنٌ يقال له : « أحمد ».

---

(١) عسكر مُكرَم بلد من نواحى خوزستان، منسوب إلى مكرم بن معزاء الحارث صاحب الحجاج بن يوسف، وقد نسب إليها قوم من أهل العلم، منهم العسكريان : أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم اللغوى، أخذ عن ابن دريد وأقرانه، والحسن بن عبد الله أبو هلال العسكرى؛ انظر (معجم البلدان لياقوت).

(٢) صيغة ابن النديم : « — فنزل عسكر مكرم فكبس بها، فهرب منها، فنقُضت له داران فى موضع يُعرف بساباط أبى نوح، فبنيت إحداهما مسجدا والأخرى خراب إلى الآن — ».

(٣) للتعريف بالمعتزلة وفرقها انظر مثلا : (الشهرستانى، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٢ — ٢٤؛ الرازى، اعتقادات ص ٣٨ — ٤٥).

(٤) لاحظ هذا النص حيث يقول إن عبد الله بن ميمون « ادعى أنه من ولد عقيل »، والمقريزى هنا ينقل عن ابن رزام، وعن نفس المرجع ينقل ابن النديم فى الفهرست، ولكن صيغة الفهرست (ص ٢٦٤) « .. وصار إلى البصرة فنزل على قوم من أولاد عقيل بن أبى طالب » وهى أوثق لأن أبى النديم ينقل نص ابن رزام بلفظه —، وقال النويرى — نقلا عن أخى محسن — إن عبد الله بن ميمون فر إلى البصرة عند قبيلة باهلة من أتباع عقيل بن أبى طالب؛ وعن عقيل وأخباره انظر : (ابن قتيبة، المعارف، ص ٨٨).

(٥) الزيادات عن : (المقريزى الخطط، ج، ٢ ص ١٥٨).

ومات عبد الله بن ميمون ، فقام من بعده ابنه أحمد هـذا فى ترتيب الدعوة ، و بعث بالحسين الأهوازى — داعيه — إلى العراق ، فلقى حمدان ابن الأشعث [المعروف بـ] قرمط[١] بسواد الـكوفة . [ودعاه إلى مذهبه فأجابه ، وقام هناك بالأمر ، و إلى قرمط هذا تُنسب القرامطة[٢]] ووُلد (٦ ب) لأحمد بن عبد الله بن ميمون القداح ولدان ، هما : الحسين ، ومحمد — المعروف بأبى الشلعلع[٣] — ؛ ثم هلك أحمد فخلفه ابنه الحسين فى الدعوة .

---

(١) فى المراجع تفسيرات كثيرة لهذا اللفظ ، منها : أن حمدان سُمِّى بهذا الاسم لأنه كان يقرمط فى سيره إذا مشى — أى يقارب بين خطواته — ومنها أنه لقب بهذا اللقب لأنه كان أحمر البشرة تشبيهاً له بالقرمد وهو الطوب الأحمر (الآجر) وأصل هذا اللفظ يونانى Keramidi — انظر : (ابن مالك ، المرجع السابق ، ص ١٨ ؛ متز ، الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٨٥ — من الترجمة العربية — ؛ الجواليقى ، المعرَّب ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥) ، ويرى البعض أن هذا اللفظ مأخوذ من « اقـرَمّـط » أى غضب أو عبس (انظر القاموس) وممن يأخذ بهذا الرأى : De Lacy ، (B. Lewis. Op. Cit. P.P. 82—83.) وعندهما أسباب للبرهنة على هذا الرأى . ويرى الأب أنستاس مارى الـكرملى (عند شرحه لهـذا اللفظ فى : العرشى ، بلوغ المرام ، ص ٣٤٠ — ٣٤١) : أن هذه اللفظة « أرمية (نبطية) من : « قـرْمطونا » أى المدلِّس أو الخبيث أو المـكار أو المحتال ؛ أو من « قـرْمطا » وهو التدليس أو الخبث أو المـكر أو الاحتيال ، لما اشتهر عنهم من هذه الأمور ، ولا جرم أن هذه التسمية لم يتخذها الباطنية أو القرامطة أنفسهم ، بل نبذهم بها من لم يكن من نحلتهم » . ولاحظ أن ابن النديم (الفهرست ، ص ٢٦٥) يثبت اعتناق حمدان للمذهب فى عهد عبد الله بن ميمون ، أما نص المقريزى هنـا فيفيد اعتناقه إياه فى عهد أحمد بن عبد الله ابن ميمون .

(٢) الزيادات عن : (المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٨) .

(٣) رُسم هـذا اللفظ فى بعض المراجع بالغين المعجمة هكذا : « الشلغلغ » ، كذلك اختلف المؤرخون عند ذكر من خـلَـف ميمونا من أولاده ، انظر قوائم النسب الميمونى كما رواها المؤرخون المختلفون فى : (Mamour, Op. Cit. P.P. 40—41. B. Lewis. Op. Cit. P.P. 72—73.)

فلما هلك الحسين بن أحمد خلفه أخوه محمد بن أحمد — المعروف بأبي الشلعلع — ؛ وكان للحسين[1] ابنٌ اسمه سعيد ، فبقيت الدعوة له حتى كبر .

وكان قد بعث محمدٌ هذا داعيين إلى المغرب ، وهما : أبو عبد الله — الحسين بن أحمد بن محمد — ، وأخوه أبو العباس — محمد بن أحمد ابن محمد — ، فنزلا فى قبيلتين من البربر ، وأخذا على أهلها ، وقد كان اشتهر أمرهم بسلمية ، وأيسروا ، وصار لهم أملاك كثيرة ، فبلغ خبرهم السلطان ، فبعث فى طلبهم ، ففر سعيد من سلمية يريد المغرب ، وكان على مصر يومئذ عيسى النوشرى[2] ، فدخل سعيد على النوشرى ونادمه ، فبلغ السلطانَ خبرُه ، وكان يتقصى عنه ، فبعث إلى النوشرى بالقبض عليه ،

---

(١) فى (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٨) : « وكان لأحمد بن عبد الله ولد اسمه سعيد » .

(٢) عيسى النوشرى أول والٍ ولى على مصر بعد زوال دولة بنى طولون ، دخلها بعد ولايته من قبل الخليفة المكتفى فى جمادى الآخرة سنة ٢٩٢ ، ولما توفى المكتفى (ذو القعدة ٢٩٥) وتولى الخلافة المقتدر بالله أقر النوشرى على ولاية مصر ، وفى عهد عيسى قدم على مصر زيادة الله بن الأغلب أمير افريقية مهزوماً من أبى عبد الله الشيعى فى شهر رمضان سنة ٢٩٦ ، ونزل بالجيزة وأراد الدخول إلى مصر فمنعه ، ووقعت بينهما مناوشات إلى أن وقع الصلح بينهما على أن يعبر زيادة الله إلى مصر وحده من غير جند ، فدخلها وأقام بها ، وقد مات عيسى بعد قليل فى شعبان سنة ٢٩٧ وهو على إمرة مصر ، ودُفن بها (ويقول أبو المحاسن إنه نقل إلى دمشق فدفن بها) وكانت مدة ولايته على مصر خمس سنين وشهرين ونصف شهر (٢٩٢ — ٢٩٥ = ٩٠٥ — ٩١٠) ؛ انظر : (الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٢٥٨ — ٢٦٧ ؛ أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٤٥ — ١٥٦ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٢٤ — ١٢٥) .

فقرئ الكتاب وفى المجلس ابن المدبّر[1] — وكان مؤاخيا لسعيد . فبعث إليه يحذره ، فهرب سعيد ، وكبس النوشرى داره ، فلم يوجد ، وسار إلى الإسكندرية ، فبعث النوشرى إلى والى الإسكندرية بالقبض على سعيد — وكان رجلا ديلميا يقال له على بن وهسودان — .

وكان سعيد خداعا ، فلما قبض عليه ابن وهسودان قال : « إنى رجل من آل رسول الله » ، فرقّ له ، وأخذ بعض ما كان معه وخلّاه ، فسار حتى نزل سجلماسة[2] — وهو فى زىّ التجار — فتقرب إلى واليها ، وخدمه ، وأقام عنده مدة ، فبلغ المعتضد[3] خبره ، فبعث فى طلبه ، فلم

(١) هذا القول يبعث على الشك ، لأن ابن المدبر كان واليا على خراج مصر عند ما قدم إليها أحمد بن طولون ، وذلك فى سنة ٢٥٤ ، وقد كان بين الرجلين منافسات ومؤامرات كثيرة انتهت بعزل ابن المدبر عن خراج مصر وتولية ابن طولون على خراجها وصلاتها ، وقد كان فرار عبيد الله المهدى إلى المغرب ومروره بمصر فى سنة ٢٩٥ ، فليس من المعقول أن يكون أحمد بن محمد بن المدبر هذا حيا حتى تلك السنة ؛ ولا يؤيد رواية المقريزى هنا إلا أن يكون هناك فى مصر فى تلك السنة ابن مدبر آخر ؛ انظر أخبار ابن المدبر التفصيلية فى : (البلوى ، سيرة أحمد بن طولون ، الصفحات المذكورة فى فهرس الأعلام ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٥ — ١٠٦ ، ١١٣ ؛ أبو المحاسن ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٤٣ ؛ الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٢١٤) .

(٢) سِجِلْمَاسَة مدينة فى جنوب المغرب فى طرف بلاد السودان ، بينها وبين فاس عشرة أيام . (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٣) المعروف أن عبد الله الداعى وصل إلى المغرب فى سنة ٢٨٨ (انظر ما يلى) ، فلما تغلب على إفريقية أرسل يستدعى عبيد الله الذى وصل إلى المغرب فى سنة ٢٩٥ — ٢٩٦ ، فلا يُعقل إذن أن يكون الخليفة العباسى الذى أرسل فى طلبه هو المعتضد ، لأنه حكم بين سنتى (٢٧٩ — ٢٨٩ = ٨٩٢ — ٩٠٢) ؛ انظر : (zambaur, Op. Cit. P.4 ; Lane Poole. Op. Cit. P, 12.) ؛ والأرجح أن يكون من أرسل فى طلبه هو الخليفة المكتفى (٢٨٩ — ٢٩٥ = ٩٠٢ — ٩٠٨) أو الخليفة المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠ = ٩٠٨ — ٩٣٢) .

يقبض عليه والى سجلماسة ؛ فورد عليه كتابٌ آخر ، فقبض عليه وحبسه ، وكان خبره قد اتصل بأبى عبد الله الداعى — الذى تقدم ذكر خروجه هو وأخوه إلى البربر — فسار حينئذ بالبربر إلى سجلماسة ، وقتل واليها ، وأخذ سعيداً ، وصار صاحب الأمر ، وتسمى بعبيد الله ، وتكنى بأبى محمد ، وتلقب بالمهدى ، وصار إماما علوياً من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ؛ ولم يلبث الأمير حتى قتل أبا عبد الله الداعى ، وتملك البربر ، وقلع بنى الأغلب (١) ولاة المغرب .

قال : « فعبيد الله — الملقب بالمهدى — هو [سعيد (٢)] بن الحسين ابن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوى الأهوازى ؛ وأصلهم من المجوس (٣) » .

---

(١) فى سنة ١٨٤ (٨٠٠) وَلِى إبراهيم بن الأغلب على أفريقية من قبل هارون الرشيد ، وقد خلف هذا الوالى دولة من أسرته استقلت بالحكم وكان لها شأن عظيم ، فقد أنشأت لنفسها أسطولا كبيرا نشر نفوذها فى شواطىء البحر الأبيض المتوسط الأوروبية ، وخاصة شواطىء إيطاليا وفرنسا وقورسيقا وسردينيا ، وافتتح هذا الأسطول جزيرة صقلية سنة (٢١٢ — ٨٢٧) وضمها إلى ملك الأغالبة ، وظل الأغالبة يحكمون إفريقية نيفا وقرناً (١٨٤ — ٢٩٦ = ٨٠٠ — ٩٠٩) ، حتى ضعف أمرهم وحتى مهد ملك الأدارسة فى المغرب الأقصى وانتشار المذهب الشيعى لنجاح الدعوة الفاطمية فى سنة ٢٩٦ — ٢٩٧ . انظر : (Lane—Poole. Op. Cit. P.P. 36—37; Zambaur, Op. Cit. P. 67 ؛ ودائرة المعارف الإسلامية ، مادة أغالبة ، وما بها من مراجع) .

(٢) الزيادة عن : (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٨) .

(٣) وردت فى : (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٩) بعد هذا اللفظ فقرة تكميلية ، فيها رواية أخرى عن نسب الفاطميين ، آثرنا نقلها هنا زيادة فى الإيضاح ؛ قال بعد لفظ : « المجوس » : « فهذا قول من ينكر نسبهم ، وبعض منكرى نسبهم فى العلوية يقول : إن عبيد الله من اليهود ، وإن الحسين بن أحمد المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء سلمية كان لها ابن يهودى حداد ، مات وتركه لها ، فربّاه الحسين وأدّبه وعلّمه ، ثم مات عن غير ولد ، فعهد إلى ابن امرأته هذا ، فكان هو عبيد الله المهدى » .

قال : « وأما سعيد هذا الذى استولى على المغرب ، وتسمى بعبيد الله فإنه كان بعد أبيه يتيما فى حِجْر عمه — الملقب بأبى الشلعلع — ، وكان على ترتيب الدعوة بعد أخيه ترتب أمرها لسعيد ، فلما هلك ، وكبر سعيد ، وصار على الدعوة وترتيب الدعاة والرياسة ، ظهر أمره ، وطلبه المعتضد ، فهرب إلى المغرب — من سلمية — » .

ويُقال (١٧) إنه ترسم بالتعليم كى يخفى أمره ، وكان يقول عن محمد إنه ربيب فى حِجْره ، وأنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وذلك لضعف أمره فى مبدئه ، ولذلك يُقال عن محمد بن عبيد الله : « يتيم المعلم » .

وزعم آخر أن عبيد الله كان ربيبا فى حِجْر بعض الأشراف ، وكان يطلب الإمامة ، فلما مات ادعى عبيد الله أنه ابنه ؛ وقيل بل كان عبيد الله من أبناء السوقة ، صاحب علم » . انتهى ما ذكره الشريف .

قال : « ولم يدَّعِ سعيدٌ هذا — المسمى عبيد الله — نسباً إلى على ابن أبى طالب إلا من بعد هربه من سلمية ، وآباؤه — مِنْ قَبْله — لم يدّعوا هذا النسب ؛ وإنما كانوا يظهرون التشيع والعلم ، وأنهم يدعون إلى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وأنه حىٌّ لم يمت .

وهذا القول باطل ، وباطنهم غير ظاهرهم ؛ وليس يُعرف هذا القول إلا لهم ؛ وهم أهل تعطيل وإباحة ، وإنما جعلوا علقهم بآل رسول الله باباً للخديعة والمكر .

ولم يتم لسعيد أمره بالمغرب إلا أن قال : « أنا من آل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — » . فتم له بذلك الحيلة والخديعة ، وشاع بين الناس

أنه علوى فاطمى، من ولد إسماعيل بن جعفر، فاستعبدهم بهذا القول، وخفى أمر مذهبه عليهم، إلا من كشف له من خاصته ودعاته فى تعطيل البارىء، والطعن على جميع الأنبياء، و إباحة أنفس أممهم وأموالهم وحريمهم، ومع ما كانوا يظهرون لم يكن لهم جسارة أن يذكروا لهم نسباً على منبر، ولا فى مجمع بين الناس، سوى ما يشيعون أنهم من آل رسول الله بغير نسب ينتسبون نه تمويهاً على العامة.

ولم يكن أحدٌ من السلاطين المتقدمين كاشفهم فى أمر نسبهم احتقاراً منه بهم و ببلدهم، ولبعد ما بينهم من المسافة، فجرى أمرهم على ما ذكرنا — منذ ملك سعيد المسمى بعبيد الله المغربَ إلى أن جلس نزار بن معد، يعنى العزيز بمصر —.

ثم ملك فَنَّاخُسْرو [1] بن الحسن الديلمى بغداد، فقرب ما بينهما من

---

(١) فى الأصل: « فناخسر »، وهو عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى، كانت مدة حكمه (٣٦٧ — ٣٧٢ = ٩٧٧ — ٩٨٢)، اتسع ملكه حتى شمل ملك سابقيه من البويهيين وضم إلى ذلك الموصل وبلاد الجزيرة، وهو أول من خوطب بالملك فى الإسلام، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة، وكان من ألقابه « تاج الملة » فلما صنف له أبو اسحق الصابى « كتاب التاجى » فى أخبار بنى بويه أضافه إلى هذا اللقب؛ وكان عضد الدولة محبا للفنون، مكرما لأهلها، فقصده فحول الشعراء ومدحوه، وخاصة المتنبي الذى وفد عليه وهو بشيراز فى جمادى الأولى سنة ٣٥٤، ومدحه بقصائد كثيرة كان آخرها قصيدته الكافية التى ودّعه فيها، وهى آخر شعر المتنبي؛ وقد أنشأ فناخسرو البيمارستان العضدى ببغداد، فرغ من بنائه سنة ٣٦٨، وتوفى سنة ٣٧٢ ببغداد، ودفن بدار الملك، ثم نقل إلى الكوفة ودفن بمشهد على بن أبى طالب. انظر: (ابن خلكان، الوفيات، ج ٢، ص ١٥٩ — ١٦٢؛ Lane—Poole, op. Cit. P.P. 139 — 142؛ Zambaur, Op. Cit. P. 212؛ والمقريزى، نحل عبر النحل ص ٨٣، ٩٣، ٩٤).

المسافة ، فجمع العلويين ببغداد ، وقال لهم : « هذا الذى بمصر يقول إنه علوى منكم » ، فقالوا : « ليس هو منا » ، فقال لهم : « ضعوا خطوطكم » ، فوضعوا خطوطهم بأنه ليس بعلوى ، ولا من ولد أبى طالب . ثم أنفذ إلى نزار بن معد رسولا يقول له : « نريد أن نعرف ممن أنت ؟ » فعظم ذلك عليه ، فذكر أن قاضيه ابن النعمان [١] ساس الأمر لأنه كان يلى أمر الدعوة والمكاتبة فى أمرها ، فنسب نزاراً إلى آبائه ، وكتب نسبه ، وأمر به أن يقرأ على المنابر ، فقرئ على منبر جامع دمشق صدرُ الكتاب ، ثم قال : نزار العزيز بالله بن معد بن المعز لدين الله بن إسماعيل المنصور بالله بن محمد القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدى بالله بن الأئمة المتحنين — أو قال المستضعفين — ، وقطع .

ثم إن رسول فناخسرو سار راجعا ، فقُتل بالسم فى طرابلس ، ولم يأتهم من بعده رسول ؛ وهلك فناخسرو .

(١٨) ذكر أبو الحسين [٢] هلال بن المحسّن بن إبراهيم بن هلال

---

(١) هو القاضى على بن النُّعْمان بن حَيُّون ، ولد فى رجب سنة ٣٢٨ بالمغرب وقدم مع المعز إلى مصر ، فأمره بالنظر فى الحكم فكان يحكم هو وأبو الطاهر (القاضى السابق) إلى أن أصابه الفالج ، ففوض العزيز لابن النعمان الانفراد بالقضاء ، وكان ذلك فى سنة ٣٦٦ ، فاتبع — فى أحكامه — المذهب الإسماعيلى — لا المذهب الشافعى — وهو أول من لقب بقاضى القضاة فى مصر ، توفى فى رجب سنة ٣٧٤ ، وقد تولى عدد كبير من أسرته القضاء فى العصر الفاطمى ، انظر : (الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٤٩٥ — ٤٩٧ ، ٥٨٩ — ٥٩١ ، ٥٩٢ — ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٦٠٣ ، ٦١٣) .

(٢) فى الأصل : « أبو الحسن » ، والتصحيح عن تاريخه المطبوع ، وقد وُلد هلال سنة ٣٥٩ وتوفى سنة ٤٤٨ ؛ جده — أبو أبيه — إبراهيم صاحب الرسائل انظر ترجمته فى : (ابن خلكان ، الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٠ — ٢١) ، كان صابئاً =

الصابى ، وابنه غرس الدولة محمد — فى تاريخهما — أن القادر بالله(١) عقد مجلسا أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الحسين(٢) بن موسى بن محمد(٣) ابن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ، وابنه أبا القاسم على المرتضى(٤) ،

= وكان أبوه المحسّن صابئا أيضا ، أما هلال فقد أسلم متأخرا (انظر قصة إسلامه سنة ٤٠٣ — كما ذكرها سبط بن الجوزى فى مرآة الزمان — فى أول كتابه المطبوع فى تاريخ الوزراء) . ولهلال : التاريخ الذى ذيّل به على تاريخ ثابت بن سنان ، وفيه يؤرخ للسنوات من ٣٦١ إلى ٤٤٧ ، وذيّل عليه ابنه غرس النعمة ؛ وكتاب الدولة البويهية ؛ وكتاب رسوم دار الخلافة ؛ وكتاب أخبار بغداد ؛ وكتاب الوزراء — ذيّله على كتاب الجهشيارى — الخ (انظر القفطى فى ترجمة ثابت بن سنان) ؛ وقد طبع لهلال كتاب « تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء » بدأه بالكلام عن : (أبى الحسن على بن محمد بن موسى بن الفرات) وانتهى فيه بالكلام عن (أبي الحسن على بن عيسى المتوفى سنة ٣٣٤) ، وطُبع معه فى مجلد واحد الجزء الثامن من كتابه « التواريخ » ، وهو الجزء الوحيد الذى وجد من تاريخه (وحوادثه من ٢٩٩ إلى ٣٩٩) وقد نشر الكتابين معا وقدم لهما المستشرق «آمدروز» ، هذا ولم أعثر فى هذا الجزء من تاريخه على أثر لهذا الحادث المروى هنا لمقارنة النصين أحدهما بالآخر .

(١) هو الخامس والعشرون من خلفاء العباسيين حكم من ٣٨١ إلى ٤٢٢ (٩٩١ — ١٠٣١) وعاصر الخلفاء الفاطميين : العزيز بالله ، والحاكم بأمر الله ، والظاهر لإعزاز دين الله .

(٢) ذكر اسمه فى : (ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٤٢) باختلاف يسير هكذا : « أبو أحمد الحسن بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى ابن جعفر » . وقد وُلد الشريف أبو أحمد سنة ٣٠٤ وتوفى فى بغداد سنة ٤٠٠ عن ٩٧ سنة ، وكان قد تقلد فى حياته — نقابة الطالبيين والنظر فى المظالم وإمرة الحاج نحوا من خمس مرات ، يعزل ويعاد ، ولكنه أبعد عنها فى آخر أيامه — انظر : (ابن خلكان ، الوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ٢٢٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٤٢) .

(٣) فى الأصل : « . . بن محمد بن موسى بن ابراهيم . . » والتصحيح عن المراجع السابقة .

(٤) أبو القاسم على الشريف المرتضى ، ولد سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ ، تولى نقابة الطالبيين نيابة عن أبيه — مدة حياته ، ثم وليها وحده فى سنة ٤٠٦ بعد وفاة أخيه الشريف الرضى ، كان شاعرا مجيدا كأخيه ، وله ديوان ومؤلفات فى المذهب الشيعى ، =

وجماعةً من القضاة والشهود والفقهاء ، وأبرز إليهم أبيات الشريف الرضى"(١) أبى الحسن محمد بن أبى أحمد الحسين التى أولها :

ما مُقامى على الهوان وعندى مِقْوَلٌ صارِمٌ ، وأَنْفٌ حَمِىٌّ(٢)

وإباءٌ مُحلِّقٌ بى(٣) عن الضَّيْمِ كما راغَ طائِرٌ وَحْشِىٌّ

أىُّ عُذْرٍ له إلى المجدِ إن ذلّ(٤) غُلامٌ فى غِمْدِهِ المشْرَفىّ

= ويقول ابن خلكان : « وقد اختلف الناس فى كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام على بن أبى طالب ، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضى ، وقد قيل إنه ليس من كلام على وإنما الذى جمعه ونسبه إليه هو الذى وضعه » ؛ انظر : (ابن خلكان ، الوفيات ، ج ٢ ، ص ١٤ — ١٧ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ٤ ، الصفحات المذكورة بالفهرس ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٥٣) . انظر أيضا بيان مؤلفاته التى طبعت فى : (معجم سركيس) .

(١) أبو الحسن محمد الشريف الرضى ولد سنة ٣٥٩ وتوفى سنة ٤٠٦ ببغداد ، ولى نقابة الطالبيين والنظر فى المظالم والحج بالناس نيابة عن أبيه ، ثم وليها وحده سنة ٣٨٨ — وأبوه حى — وكان شاعرا ممتازا ، وله ديوان كبير طبع مرتين : الأولى فى جزئين فى بيروت سنة ١٣٠٧ — ١٣١٠ وشرحها الشيخ أحمد عباس الأزهرى ومحمد أفندى اللبابيدى ، والثانية فى جزء واحد فى مطبعة نخبة الأخيار فى بمباى سنة ١٣٠٦ . وقد راجعنا شعره الوارد هنا على الطبعة الثانية . انظر ترجمته بالتفصيل فى : (ابن خلكان ، الوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ — ٣٦٧ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ٤ ، الصفحات المذكورة بالفهرس ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ٣ ، ٤) .

(٢) ذكرت هذه الأبيات فى الصفحة الأخيرة من ديوانه (طبعة بومباى) ، وقدّم لها الناشر بقوله : « وقال قدس الله روحه ونور ضريحه هذه الأبيات ، وقد ناله أمر ضاق به صدره ، فلما ظهرت جرى العتب من القادر بالله على والده لأجله ، فأنكرها ولم يثبتها فى ديوانه إلا أنها مشهورة عنه ، وقد وجدت بخطه الشريف » .

(٣) فى الأصل : « ذا أبا محلق لى » والتصحيح عن : (ديوان الشريف الرضى ، ص ٥٤٦) .

(٤) جُمل هذا اللفظ (فى الأصل) أول الشطر الثانى .

أَلْبَسُ الذلَّ(١) فى ديارِ الأعادى ... وبمصرَ الخليفةُ العلوىُّ
من أبوه أبى ومولاه مولا ... ىَ إذا ضامنى البعيدُ القصىُّ
لفَّ عِرقى بعرقه سيدا النا(٢) ... س جميعاً محمدٌ وعلىُّ
إنّ جوعى بذلك الربع شِبْعٌ ... وأوامى بذلك الظِلِّ رِىُّ(٣)
مِثْلُ مَنْ يركبُ الظلامَ وقد أسـ ... ـرى ومِنْ خَلْفِه هلالٌ مُضىءُ(٤)

وقال الحاجب للنقيب أبى أحمد : « قل لولدك محمد . أىُّ هوان قد أقام عليه عندنا ؟ وأى ضيم لقى من جهتنا ؟ وأى ذل أصابه فى مملكتنا ؟ وما الذى يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه ؟ أكان يصنع إليه أكثر من صنيعنا ؟ (٨ ب) ، ألم نوله النقابة ؟ ألم نوله المظالم ؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز ، وجعلناه أمير الحجيج ؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر من أكثر من هذا ؟ ما يظنه كان يكون — لو حصل عنده — إلا واحداً من

(١) فى الأصل : « أحمل الضيم » ، وما هنا صيغة الديوان .
(٢) جُعل هذا اللفظ (فى الأصل) أول الشطر الثانى .
(٣) ذكر هذا البيت فى الديوان برواية أخرى :

إن ذلى بذلك الجو عز ... وأوامى بذلك النقع رى

(٤) هذا البيت غير موجود فى الديوان ، وإنما ذكر مكانه الابيات الآتية التى لم يوردها المقريزى :

قد يذل العزيز مالم يشمر ... لانطلاق ، وقد يُضام الأبىّ
إن شرا علىّ إسراع عزمى ... فى طلاب العلا وحظى بطى
ارتضى بالأذى ولم يقف العز ... م قصوراً ولم تغز المطى
تاركا أسرتى رجوعاً إلى حيـ ... ـث عذيرى قد ورعى وبى (؟)
كالذى يخبط الظلام وقد أقـ ... ـمر من خلفه النهار المضى

أبناء[١] الطالبيين بمصر » .

فقال النقيب أبو أحمد : « أما هذا الشعر فمما[٢] لم نسمعه منه ، ولا رأيناه بخطه ، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه ، وعزاه إليه » .

فقال القادر : « إن كان كذلك فليُكتب الآن محضر يتضمن القدح فى أنساب ولاة مصر ، ويكتب محمدٌ خطَّه فيه » . فكتب محضر بذلك ، شهد فيه جميع من حضر المجلس ، منهم : النقيب أبو أحمد ، وابنه المرتضى ؛

وحُمل المحضر إلى الرضىّ ليكتب فيه خطه ، حمله أبوه وأخوه ، فامتنع . وقال : « لا أكتب ، وأخاف دعاة مصر » ، وأنكر الشعر ، وكتب خطه أنه ليس بشعره ، ولا يعرفه ، فأجبره أبوه على أن يسطر خطه فى المحضر ، فلم يفعل ؛ وقال : « أخاف دعاة المصريين وغيلتهم ، فإنهم معروفون بذلك » . فقال أبوه : « يا عجبا[٣] ! أتخاف مَنْ بينك و بينه ستمائة فرسخ ، ولا تخاف من بينك و بينه مائة ذراع ؟ » وحلف أن لا يكلمه ، وكذلك المرتضى . فَعَل ذلك تقيةً وخوفا من القادر ، وتسكيتا له . فلما انتهى الأمر إلى القادر سكت على سوء أضمره له ، و بعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة ، وولاها محمد ابن عمر النهرسابسى[٤] .

---

(١) فى الأصل : « افنا » ، وفى (ابن أبى الحديد ، شرح نهج البلاغة) : « افتاء » .

(٢) فى الأصل : « مما » .

(٣) فى الأصل : « يا عجباه » وفى : (ابن أبى الحديد ، شرح نهج البلاغة) : « واعجباه » .

(٤) كذا فى الأصل ، ولم أجد فى المراجع المستعملة هنا ما يساعد على تحقيق هذا الاسم .

(٧ ب) وقال الإمام على بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزرى من كتاب « الكامل فى التاريخ » :

ذكر ابتداء الدولة العلوية بافريقية

هذه الدولة (١) اتسعت أكناف مملكتها ، وطالت مدتها (٢) ، فنحتاج [أن] نستقصى ذكرها ، فنقول : إن أول من ولى منهم أبو محمد عبيد الله ، فقيل هو محمد (٣) بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب [رضى الله عنهم] ؛ ومن ينسبه هذا النسب يجعله : عبد الله بن ميمون القداح الذى ينسب إليه القداحية .

وقيل هو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثانى بن (٤) محمد بن إسماعيل ابن جعفر — يعنى الصادق — [بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب — رضى الله عنهم (٥) —] .

وقد اختلف العلماء فى صحة نسبه (٦) ، فقال — هو وأصحابه القائلون

---

(١) فى : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٩) : « دولة » .

(٢) فى ابن الأثير بعد هذه الكلمة إيضاح هذا نصه : « فإنها ملكت افريقية هذه السنة (٢٩٦) ، وانقرضت دولتهم بمصر سنة سبع وستين وخمسمائة » .

(٣) فى الأصل : « ابن محمد » ، وما هنا صيغة ابن الأثير .

(٤) لفظ « ابن » غير موجود فى : (ابن الأثير).

(٥) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير) .

(٦) مشكلة النسب الفاطمى مشكلة قديمة عرض لها — بالتأييد أو النفى — عدد كبير من أصحاب كتب الفرق والملل والنحل كما ناقشها المؤرخون — السنيون منهم والشيعيون ، والقدامى منهم والمحدثون — ومع هذا لم يصل واحد منهم فيها إلى رأى حاسم مقنع ؛ وقد عنى بهذا المشكلة أيضا عدد كبير من المستشرقين كدى غويه ، وكازانوفا ، وكاترمير ، وماسينيون .. إلخ ، وقد اختلف هؤلاء كما اختلف سابقوهم من المؤرخين =

= الإسلاميين ، فأيد بعضهم صحة انتساب الفاطميين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، ونفى بعضهم هذه النسبة ، ونسبهم إلى ميمون القداح ؛ وقد حاول بعض المؤرخين المحدثين ممن يثبتون صحة النسب التوفيق بين الروايتين ، ومن هؤلاء المؤرخ الهندى (Mamour) الذى يرى أن محمداً بن اسماعيل إنما هو ميمون وأنه فى استتاره انتحل هـذا الاسم ؛ وأحدث من كتب فى هذا الموضوع المستشرق الإنجليزى (B. Lewis.) وقد أفاد هذا الـكاتب من النصوص الإسماعيلية التى ظهرت للنور أخيرا ، ودرسها والمصادرَ السنية دراسة مقارنة دقيقة خرج منها برأى طريف لو صحّ لغيّر معالم التاريخ الفاطمى المعروف حتى الآن ؛ وخلاصة رأيه أن عهد الاستتار شهد نوعين من الأئمة : الأئمة الحقيقيون المنتسبون إلى محمد بن إسماعيل ويسميهم — اعتمادا على « غاية المواليد » وهى مخطوطة اسماعيلية — الأئمة المستقرين ؛ والأئمة الظاهرون وهم دعاة الأئمة الحقيقيين ومقر دعوتهم من أولاد ميمون القداح ويسميهم الأئمة المستودعين ، وكان آخر إمام مستودع من نسل ميمون هو سعيد أو عبيد الله المهدى ، كما كان آخر إمام مستقر من نسل محمد بن اسماعيل هو محمد القائم ، وبذلك يكون القائم — لا المهدى — هو — فى نظره — الخليفة الفاطمى الأول ؛ وشجرتا النسب فى رأيه هما كالآتى :

الأئمة العلويون المستقرون :	الأئمة المستودعون من نسل ميمون :
محمد بن إسماعيل	ميمون
أحمد	عبد الله
على (الموئل)	محمد
محمد (القائم)	الحسين
	أحمد
	سعيد

وهاتان الشجرتان قد تفسران — فى رأيه — شـجرة السماوات السبع التى تتضمنها الوثيقة الدرزية : « لتقسيم العلوم » وهى :

١ — إسماعيل ٢ — محمد ٣ — أحمد ٤ — عبد الله
٥ — محمد ٦ — الحسين ٧ — أحمد (أبو سعيد) .

وإن الاتصال والتلمذة الروحية بين الأئمة من هذين النسبين هو الذى دعا المؤرخين إلى الخلط بينهما حتى وصلتنا آراؤهم وهى تختلف فيما بينها هذا الاختلاف العجيب المريب ؛ والرأى فى الحقيقة جديد وطريف ويستحق الدرس والعناية ، انظر أدلته للبرهنة على صحته فى كتابه : (The Origins of Ismailism, pp. 44—75) .

بإمامته — : إن نسبه صحيح [على ما ذكرناه(١)] ، ولم يرتابوا فيه . وذهب كثير من [العلويين(١)] العلماء بالأنساب إلى موافقتهم أيضا ؛ ويشهد بصحة هذا القول ما قاله الشريف الرضى" :

مَا مُقَامِى على الهَوَانِ وَعِنْدِى مِقْوَلٌ صَارِمٌ وأَنْفٌ حَمِىُّ
أَلْبَسُ الذُّلَّ فى بِلَادِ الأَعَادِى وَبِمِصْرَ الخَلِيفَةُ العَلَوِىُّ
مَنْ أَبوه أَبِى ، وَمَوْلَاه مَوْلَا ىَ إِذَا ضَامَنِى البَعِيدُ القَصِىُّ
لَفَّ عِرْقِى بِعِرْقِهِ سَيِّدَا النَّا سِ جَمِيعاً : مُحَمَّدٌ وَعَلِىُّ
إِنَّ ذُلِّى بِذَلِكَ الحَىِّ عِزٌّ وأُوَامِى بِذَلِكَ الرَّبْعِ رِىُّ

قال (أى ابن الأثير) : وإنما لم يودعها ديوانه خوفاً . ولا حجة بما كتبه فى المحضر المتضمنِ القدحَ فى أنسابهم ، فإن الخوف يحمل على أكثر من هذا ، على أنه قد ورد ما يصدق ما ذكرته ، وهو أن القادر بالله لما بلغته هذه الأبيات أحضر القاضى أبا بكر الباقلانى(٢) ، وأرسله إلى الشريف

---

(١) الزيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٩) .

(٢) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلانى البصرى كان أشعرى المذهب ، ومن أئمة علماء الكلام فى وقته ، وله تصانيف كثيرة (انظر بيانها فى البداية والنهاية وبروكلمان) لم يطبع منها إلا كتاب « إعجاز القرآن » فى القاهرة سنة ١٣١٥ ؛ ومن أهم كتبه التى لم تصلنا كتاب يتصل بموضوع هذا الكتاب وضعه للرد على الباطنية ، وعنوانه : « كشف الأسرار وهتك الأستار » وقد نقل عنه (أبو المحاسن ، النجوم ، ج ٤ ص ٧٥) فقرات تتضمن الطعن فى نسب الفاطميين . وقد كان الباقلانى موفور الذكاء ، ويروى ابن كثير أن عضد الدولة بعثه فى رسالة إلى ملك الروم ، وقد بدرت منه أثناء رسالته بوادر عرف منها ملك الروم وفور همته وعلو عزيمته ، توفى سنة ٤٠٣ . انظر : (ابن خلكان ، الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٥٠ — ٣٥١ ؛ أبو المحاسن ، النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٣٤ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « الباقلانى » وما بها من مراجع) .

أبى أحمد الموسوى ، والد الشريف الرضى ، يقول له : « قد عرفتَ منزلتك[1] منا ، وما لا نزال عليه من [الاعتداد بك بـ][2] صدق الموالاة [منك[2]] ، وما تقدم لك فى الدولة من مواقف محمودة ؛ ولا يجوز أن تكون أنت على خليقة[3] ترضاها ، ويكون ولدك على ما يضادها ؛ وقد بلغنا أنه قال شعرا ، وهو كذا وكذا ؛ فيا ليت شعرى على أى مقام ذل أقام ؟ وهو ناظر فى النقابة والحج — وهما من أشرف الأعمال — ، ولو كان بمصر لكان كبعض الرعايا » . وأطال القول فحلف أبو أحمد أنه ما علم بذلك ؛ وأحضر ولده ، وقال له فى المعنى ، فأنكر الشعر ، فقال له : « اكتب خطك إلى الخليفة بالاعتذار ، واذكر فيه أن نسب المصرى مدخول ، وأنه مدّعٍ فى نسبه » . فقال : « لا أفعل » . فقال أبوه : « أتكذبنى فى قولى ؟ » فقال : « ما أكذبك ، ولكنى أخاف [من] الديلم ، وأخاف من المصرى ، [و] من الدعاة التى له[4] فى البلاد » . فقال أبوه : « أتخاف مَنْ هو بعيد عنك وتراقبه ، وتُسخط من أنت (١٩) بمرأى منه ومسمع ، وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك ؟ » .

وتردد القول بينهما ، ولم يكتب الرضىّ خطه ، فحرد[5] عليه أبوه وغضب ، وحلف [أنه] لا يقيم معه فى بلد ؛ فآل الأمر إلى أن حلف

---

(١) فى الأصل : « منزلك » ، وهذه صيغة ابن الأثير .

(٢) الزيادات عن المرجع السابق .

(٣) فى : « ابن الأثير » : « خليفة ترضاه » .

(٤) صيغة ابن الأثير : « من الدعاة فى البلاد » .

(٥) حَرَدَ بمعنى غضب .

الرضىّ [أنه] ما قال هذا الشعر ، واندرجت القصة على هذا .

ففى[1] امتناع الرضىّ من الاعتذار ، ومن أن يكتب طعنا فى نسبهم — مع الخوف — دليلٌ قوى على صحة نسبهم .

وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين عن نسبه ، فلم يرتابوا فى صحته . وذهب غيرهم إلى أن نسبه مدخول ليس بصحيح ؛ وغلا[2] طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبه يهوديا .

وقد كتب فى الأيام القادرية محضر يتضمن القدح فى نسبه ونسب أولاده ، وكتب فيه جماعة من العلويين وغيرهم : أن نسبه إلى أمير المؤمنين على — كرم الله وجهه — غير صحيح . [فممن كتب فيه من العلويين : المرتضى ، وأخوه الرضى ، وابن البطحاوى ، وابن الأزرق — العلويِّيْن — ، ومن غيرهم ابن الأكفانى[3] ، وابن الجزرى[4] ، وأبو العباس الأَبِيوَرْدِى[5] ،

---

(١) فى الأصل : « فبق » ، وهذه صيغة ابن الأثير ، وهى أصح .

(٢) فى ابن الأثير : « وعدا » .

(٣) عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو محمد المعروف بابن الأكفانى ؛ قاضى قضاة بغداد ، ولد سنة ٣١٦ ، وتوفى سنة ٤٠٥ عن خمس وثمانين سنة ، ولى الحكم منها أربعين سنة نيابة واستقلالا . انظر : (ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٥٤ ؛ أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٣٧) .

(٤) فى الأصل : « ابن الخرزى » ، والتصحيح عن : (النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٢٩ ؛ والبداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٤٦) .

(٥) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد أبو العباس الأبيوردى ، أحد أئمة الشافعية ، من تلاميذ أبى حامد الاسفراييني ، كانت له حلقة فى جامع المنصور للفتيا ، وولى الحكم ببغداد نيابة عن ابن الأكفانى ، وقد سمع الحديث ، وكان يقول الشعر الجيد ، توفى سنة ٤٢٥ ؛ انظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٧٩ ؛ البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٧) .

وأبو حامد (١) ، والكَشْفلى (٢) ، والقدُورى (٣) ، والصَّيْمَرى (٤) ، وأبو الفضل النسوى ، وأبو جعفر النسفى (٥) ، وأبو عبد الله بن النعمان (٦) فقيه الشيعة ، وزعم] (٧) القائلون بصحة نسبه أن العلماء ممن كتب فى المحضر إنما كتبوا

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الإسفراييني إمام الشافعية فى زمانه ، ولد سنة ٣٤٤ ، له مصنفات كثيرة ، وكان يتوسط بين الخليفة القادر وبين السلطان محمود ابن سبكتكين ، توفى سنة ٤٠٦ ؛ انظر : (النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ ؛ البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢ — ٣) .

(٢) الحسن بن محمد بن عبد الله أبو محمد الكَشْفُلى — نسبة إلى كشفل من قرى طبرستان ، انظر : (أنساب السمعانى) — فقيه شافعى ، درّس بعد أبى حامد الاسفرائينى فى مسجده — مسجد عبد الله بن المبارك فى قطيعة الربيع — ، توفى سنة ٤١٤ . انظر : (البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦) .

(٣) أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبو الحسن القدورى الحنفى ، انتهت إليه رياسة أصحاب أبى حنيفة فى بغداد ، وكان ثبتا مناظرا ، وهو الذى تولى مناظرة الشيخ أبى حامد الاسفراييني شيخ الشافعية ، توفى سنة ٤١٨ عن ست وخمسين سنة ؛ انظر : (أنساب السمعانى ، والبداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٤ ؛ والنجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٣٠) .

(٤) الحسين بن على بن محمد بن جعفر أبو عبد الله الصيمرى — نسبة إلى نهر بالبصرة يُقال له صيمر — وُلد سنة ٣٥١ ، انتهت إليه رياسة الحنفية ببغداد ، وولى قضاء المدائن ثم قضاء ربع الكرخ ، توفى فى شوال سنة ٤٣٦ عن خمس وثمانين سنة ؛ انظر : (البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٥٢ ؛ والنجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٨) .

(٥) محمد بن أحمد أبو جعفر النسفى ، عالم الحنفية فى زمانه ، له تصانيف كثيرة أهمها : « التعليقة فى الخلاف » توفى فى شعبان سنة ٤١٤ ؛ انظر : (البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٧ ؛ والنجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٥٩) .

(٦) محمد بن محمد أبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة ، قال ابن كثير : « شيخ الإمامية الروافض والمصنف لهم ، والمحامى عن حوزتهم » كانت له منزلة عند بنى بويه وملوك الأطراف لميلهم إلى المذهب الشيعى ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف ، ومن تلاميذه الشريفان الرضى والمرتضى ، توفى سنة ٤١٣ ؛ انظر : (البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥ — ١٦ ؛ والنجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٥٨) .

(٧) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٠) ؛ وقد ذكر =

خوفا وتقية . ومن لا علم عنده بالأنساب فلا احتجاج بقوله .

وزعم الأمير عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس صاحب تاريخ إفريقية والمغرب[١] أن نسبه معرق[٢] فى اليهودية ؛ ونقل فيه عن جماعة من العلماء ، وقد استقصى ذلك فى ابتداء دولتهم وبالغ ، وأنا أذكر معنى ما قاله مع البراءة من عهدة طعنه فى نسبه ، [وأما][٣] ما عداه فقد أحسن فيما ذكر .

قال : « لما بعث الله [تعالى] محمداً — صلى الله عليه وسلم — عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس ، [وقريش[٤]] ، وسائر العرب ، لأنه سَفَّه أحلامهم ، وعاب أديانهم [وآلهتهم ، وفرّق جمعهم[٤]] ، فاجتمعوا يدا واحدة عليه ، فكفاه الله كيدهم ، [ونصره عليهم[٤]] ، فأسلم منهم من هداه الله [تعالى[٤]] ، فلما قبض صلى الله عليه وسلم نجم النفاق ، وارتدت

= ابن كثير : (البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص٣٤٦) أسماء من وقعوا على المحضر فى صيغة أكثر تفصيلا وتحديدا ، قال : « وقد كتب خطه فى المحضر خلق كثير ، فمن العلويين : المرتضى والرضى ، وابن الأزرق الموسوى ، وأبو طاهر بن أبى الطيب ، ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبى يعلى ؛ ومن القضاة : أبو محمد بن الأكفانى . وأبو القاسم الجزرى ، وأبو العباس بن الشيورى ؛ ومن الفقهاء : أبو حامد الاسفراييني ، وأبو محمد ابن الكشفلى ، وأبو الحسن القدورى ، وأبو عبدالله الصيمرى ، وأبو عبد الله البيضاوى ، وأبو على بن حمكان ؛ ومن الشهود أبو القاسم التنوخى فى كثير منهم ، وكتب فيه خلق كثير » . انظر أيضا : (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ — ٢٣١) .

(١) فى الأصل : « والغرب » ، والتصحيح عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٠) .

(٢) فى ابن الأثير : « معروف » .

(٣) هذا اللفظ غير موجود فى الأصل ولا فى ابن الأثير ، وقد أضفناه ليتضح به المعنى .

(٤) الزيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٠) .

العرب ، وظنوا أن أصحابه[١] يضعفون بعده ، فجاهد أبو بكر — رضى الله عنه — فى سبيل الله ، فقتل مسيلمة وأهل[٢] الردة ، [وأذل الكفر[٣]] ، ووطأ جزيرة العرب ، وغزا فارس والروم . فلما حضرته الوفاة ظنوا أن بوفاته ينتقض الإسلام ؛ فاستخلف عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فأذلّ فارس والروم ، وغلب على ممالكهما ، فدسّ عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتله ، ظناً منهم أن بقتله ينطفئ نور الإسلام . فولى [بعده][٣] عثمان — رضى الله عنه — فزاد فى الفتوح ، [واتسعت مملكة الإسلام][٣] ؛ فلما قتل ، وولى [بعده أمير المؤمنين][٣] على — رضى الله عنه — قام بالأمر أحسن قيام ؛ فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا فى وضع الأحاديث الكاذبة ، وتشكيك ضَعَفة العقول فى دينهم بأمور قد ضبطها المحدثون ، وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه .

وكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبى (٩ ب) زينب — مولى بنى أسد[٤] — ، وأبو شاكر ميمون بن ديصان [صاحب كتاب الميزان فى نصرة الزندقة][٣] ، وغيرهما ، فألقوا إلى من وثقوا به أن لكل شىء من العبادات باطنا ، وأن الله [تعالى[٣]] لم يوجب على أوليائه ومَنْ

---

(١) فى ابن الأثير « الصحابة » .

(٢) فى ابن الأثير : « وردّ » .

(٣) الزيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٠) .

(٤) فى الأصل : « بنى أسيد » والتصحيح عن ابن الأثير ؛ وهو محمد بن مِقْلاص أبو زينب الأسدى الكوفى الأجدع الزرّاد البزّار ، ويكنى تارة أبو الخطاب وأخرى أبو الظبيان وثالثة أبو إسماعيل ، قال الشهرستانى (ج ١ ، ص ١٠٣ — ١٠٤) : =

عُرِفَ [مِنَ(١)] الأئمة والأبواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ، ولا حرّم عليهم شيئاً ، وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات ؛ وقالوا(٢) : « هذه قيود للعامة ، وهى ساقطة عن الخاصة » . وكانوا يظهرون التشيع لآل النبى — صلى الله عليه وسلم — ليستروا أمرهم ، ويستميلوا العامة .

وتفرق أصحابهم فى البلاد ، وأظهروا الزهد والعبادة ، يغرُّون الناس بذلك ، وهم على خلافه ؛ فقُتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة ،

= « وهو الذى عزا نفسه إلى أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق ، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل فى حقه تبرأ منه ولعنه . . فلما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه ، وزعم أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بآلهية جعفر بن محمد وآلهية آبائه ... إلخ » ؛ قتله عيسى بن موسى القائد العباسى بسبخة الكوفة سنة ١٣٨ (٧٥٥) ؛ انظر أخباره بالتفصيل والحديث عن الخطابية والفرق التى تشعبت عنها فى : (الكشى ، معرفة الرجال ، ص ١٨٧ — ١٩٩ ؛ الرازى ، اعتقادات المسلمين ، ص ٥٨ ؛ النوبختى ، فرق الشيعة ، ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٦٩ ؛ Mamour, Op. Cit. ، الصفحات المذكورة فى الكشاف) . وقد ناقش (B. Lewis, Op. Cit, P.P. 32—43) نصوص هذه المراجع جميعا ، وخلص منها برأى خلاصته : أن جعفر الصادق وأبا الخطاب وإسماعيل بن جعفر عاشوا جميعا فى عصر واحد ، وأنهم تعاونوا معا على إقامة مبادئ هى أساس المذهب الإسماعيلى ، وبعد موت هؤلاء الثلاثة انقسم أتباعهم إلى فرق كثيرة التفت حول محمد بن إسماعيل الذى تولى الإمامة بمساعدة كثيرين أخصهم : المبارك وعبد الله بن ميمون القداح ؛ وحَوْل محمد ابن إسماعيل نشأت الفرقة الإسماعيلية . ويرى الإمام المتوكل (أحد الأئمة الزيدية الرسيين باليمن ٥٣٢ — ٥٦٦) فى كتابه « حقائق المعرفة » (مخطوطة بالمكتبة التيمورية) أن « الإسماعيلية هم المباركية والخطابية » ؛ كما يرى (Massignon, Salman, P. 9) أن الكنية « أبو إسماعيل » التى يكنى الكشى (ص ١٨٧ و ٢٠٨) بها أبا الخطاب تعود على إسماعيل بن جعفر ، وأن أبا الخطاب كان الأب الروحى لإسماعيل . انظر أيضا : (الاسفراييني ، التبصير فى الدين ، ص ٧٣ — ٧٤ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ١٧٤ — ١٧٥) .

(١) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير .

(٢) فى ابن الأثير : « وإنما هذه ... » .

وكان أصحابه قالوا له : « إنا نخاف الجند » ، فقال لهم : إن أسلحتهم لا تعمل فيكم » ، فلما ابتدأوا فى ضرب أعناقهم قال له أصحابه : « ألم تقل إن سيوفهم لا تعمل فينا ؟ » قال : « إذا كان قد بدا(١) لله فما حيلتى ؟ » . وتفرقت هذه الطائفة فى البلاد ، وتعلموا الشَعْبَذَة(٢) ، والنارنجيات(٣) ، [والزور(٤)] ، والنجوم ، والكيمياء ؛ فهم يحتالون على كل قوم بما ينفق عليهم وعلى العامة باظهار الزهد .

ونشأ لابن ديصان ابنٌ يقال له : « عبد الله القداح(٥) » ، علمه الحِيَل ، وأطلعه على أسرار هذه النحلة ، فحذق وتقدم .

وكان بنواحى [كَرْخ(٦)] وأَصْبهان(٧) رجلٌ يُعرف بمحمد بن الحسين ،

(١) فى ابن الأثير (ج ٨ ، ص ١١) : « أراد الله » .

(٢) يقال شَعْوذ وشَعْبَذ ؛ والشعوذة أو الشعبذة خفة فى اليد ، وأخذ كالسحر يُرى الشيء بغير ما عليه أصله فى رأى العين ؛ وهو مُشَعْوِذٌ ومُشَعْوَذٌ ، والشَّعْوَذِىّ رسول الأمراء على البريد . (القاموس) .

(٣) النارنجيات أو النيرنجيات ، عرّفها (Dozy. Sup. Dict. Arabe.) بأنها الرقى أو الطلاسم أو السحر «enchantements» ، وجاء فى القاموس أن النِيرَنْج أخْذٌ كالسحر وليس به : انظر الفصل الذى عقده (ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٢٩ — ٤٣٥) عن أخبار المعزمين والمشعبذين والسحرة وأصحاب النارنجيات والحيل والطلسمات .

(٤) ما بين الحاصرتين عن (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١١) .

(٥) فى الأصل : « أبو عبد الله » والتصحيح عن ابن الأثير .

(٦) ما بين الحاصرتين عن (ابن الأثير) ، وهكذا وردت فى معظم المراجع ، غير أن صحتها « الكَرَج » وهى مدينة بين همذان وأصبهان فى نصف الطريق ، وإلى همذان أقرب ، وأول من مصّرها أبو دُلف القاسم بن عيسى ، وإليها قصده الشعراء وذكروه فى شعرهم . انظر : (معجم البلدان لياقوت) .

(٧) جاء فى : (معجم البلدان لياقوت) نقلا عن حمزة بن الحسن أن أصبهان اسم مشتق من الجندية لأنه إذا رُدّ إلى أصله بالفارسية كان « اسباهان » وهى جمع =

وُيلقب بدندان[١]، يتولى تلك المواضع ، [وله نيابة عظيمة] وكان يبغض العرب ، ويجمع مساوئهم ، فسار إليه القدّاح ، وعرفه من ذلك ما زاد به محله ؛ وأشار إليه[٢] أن لا يظهر ما فى نفسه[٣] ويكتمه ، ويُظهر التشيع ، [ولا يطعن على الصحابة ، فإن الطعن فيهم طعنٌ فى الشريعة ، فإن بِطَريقهم وصلت إلى مَنْ بعدهم[٤]] فاستحسن قوله ، وأعطاه مالاً [عظيما]

= « اسباه » أى الجند . ويُقال لها أيضا « أصفهان » ، وقد اختلفت الروايات عند ذكر السنة التى فتحها فيها المسلمون ، فهى سنة ١٩ أو ٢١ أو ٢٣ . انظر أخبارها بالتفصيل فى : (أبو نعيم ، أخبار أصفهان ، جزءان ؛ ودائرة المعارف الإسلامية ، مادة « أصفهان » وما بها من مراجع) .

(١) فى الأصل : « ديدان » ، وقد اختلفت المراجع فى رسم هذا الاسم ، فهو : « زيدان » و « زندان » و « ذيذان » ... إلخ ؛ كذلك اختلفت المراجع السنية والشيعية عند التعريف به ، فهو فى المراجع السنية : محمد بن الحسين الملقب بدندان أو (ذيذان) ، كان رجلا ثريا يعيش بنواحى كرخ وأصفهان ، كما كان فارسيا شعوبيا كارها للعرب ، اجتمع وعبد الله بن ميمون فى سجن والى العراق حيث أسسا مذاهب الباطنية ، ثم قدّم دندان لعبد الله ألفا ألف دينار ليصرف منها على نشر الدعوة ، ثم بدأ دندان ينشر دعوته فى منطقة الجبل فتبعه جماعة من الأكراد . انظر : (الفهرست لابن النديم ، ص ٢٦٧ ؛ البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٠ ، الاسفراييني ، التبصير فى الدين ، ص٨٣ .. إلخ) ؛ وهو فى المراجع الشيعية : أبو جعفر أحمد بن الحسين ابن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهران من الأهواز ، وكان من الغلاة وله تصانيف كثيرة ؛ وقد كان أبوه « الحسين ، من الثقات ، روى الكثير عن : على الرضا (٢٠٢ = ٨١٧) ومحمد الجواد (٢٢٠ = ٨٣٥) وعلى الهادى (٢٥٤ = ٨٦٨) ، وهو أصلا من الكوفة ، ثم رحل إلى الأهواز حيث وُلد له أحمد ، ثم ارتحل إلى قُمّ حيث مات بها ، انظر مثلا : (الفهرست للطوسى ، ص ٢٦ ، ١٠٤ ؛ ابن شهراشوب ، معالم العلماء ، ص١٠ ، ٣٥ .. إلخ) . ولتوضيح حقيقة دندان انظر (Mamour. Op. Cit. P.P. 47, 48, 76, 83 ; Lewis. Op. Cit. P.P. 12, 56—58, 69—71) .

(٢) فى (ابن الأثير) : « عليه » .

(٣) فى ابن الأثير : « وإنما يكتمه » .

(٤) فى الأصل : « .. ويظهر التشيع والطعن على الصحابة فاستحسن .. إلخ » وما بين الحاصرتين صيغة ابن الأثير وهو الأصل الذى ينقل عنه المقريزى .

ينفقه على الدعاة إلى هذا المذهب ، فسير [ه [(١)]] إلى كور الأهواز ، والبصرة ، والكوفة ، والطالقان [(٢)] ، وخراسان ، وسلمية — من أرض حمص — [وفرّقه فى دعاته [(١)]] .

وتوفى القدّاح وندان ، [وإنما لقب القداح لأنه كان يعالج العيون ويقدحها ، فلما توفى القداح قام بعده [(٣)]] ابنه أحمد [مقامه [(٣)]] ، وصحبه إنسان يُقال له ... رستم بن الحسين بى فرج [(٤)] بن حوشب بن زاذان النجار ، من أهل الكوفة [فكانا يقصدان المشاهد ، وكان باليمن رجل اسمه محمد بن الفضل [(٥)]

---

(١) فى الأصل : « فسيّر دعاته . . إلخ » ، وما هنا بين الحاصرتين صيغة ابن الأثير (ج ٨ ، ص ١١) .

(٢) الطالقان بلدتان إحداهما بين قزوين وأبْهَر والثانية بخراسان بين مروالروذ وبلخ ، ولعل الثانية هى التى يقصدها النص هنا ، انظر : (معجم البلدان لياقوت) .

(٣) فى الأصل : « فقام من بعد القداح ابنه . . إلخ ، وما بين الحاصرتين صيغة ابن الأثير وقد آثرناها لأنها تفسر لفظ « القداح » .

(٤) فى ابن الأثير : « ابن الحسين بن حوشب بن دادان » ، وهناك اختلافات كبيرة عند ذكر اسمه فى المراجع المختلفة ، كما يتبين عند مقارنة نصى الأصل وابن الأثير هنا ، وهو فى الخطط للمقريزى : « أبو القاسم الحسين بن فرج بن حوشب الكوفى ؛ ويسمى أيضا : « منصور اليمن » ، ويرى (Kay, Op. Cit. P. 323) أن هذه الكنية ليست جزءا من اسمه الحقيقى ، وإنما هى صفة يقصد بها أنه الرجل الذى انتصر على يده المذهب فى اليمن . وقد ذكر (البهاء الجندى ، تاريخ القرامطة — الملحق بتاريخ اليمن لعمارة — ص ١٤١) نقلا عن ابن الجوزى أن ابن حوشب وصل مع على بن الفضل إلى اليمن فى سنة ٢٧٩ ، وقد قارن (Kay, P.225) نصوص المراجع المختلفة ، وأثبت أنهما وصلا إلى اليمن سنة ٢٦٨ ؛ وقد روى (الجندى ، ص ١٥٠) أن ابن حوشب توفى سنة ٣٠٢ بعد وصوله بأربع وثلاثين سنة ؛ انظر أيضا : (ابن مالك ، كشف أسرار الباطنية ، ص ٢٢ — ٢٨ ؛ (Kay, Op.Cit. PP. 191 208, 324, 232, 324

(٥) لم تتفق المراجع أيضا عند تحديد اسم هذا الداعية ، فهو هنا وعند ابن خلدون وابن الأثير : « محمد بن الفضل » ، ولكنه عند ابن مالك وعمارة اليمنى والبهاء الجندى والخزرجى — وهم جميعا مؤرخون يمنيون — : « على بن الفضل » انظر المراجع المذكورة فى الحاشية السابقة .

كثير المال والعشيرة ، من أهل الجَنَد[١] ، يتشيّع ، فجاء إلى مشهد الحسين بن علي يزوره ، فرآه أحمد ورستم يبكى كثيراً ، فلما خرج اجتمع به ، وطمع فيه لما رأى من بكائه[٢]] ، وألقى إليه مذهبه ، فقبله ، وسيّر [معه النجار[٣]] إلى اليمن ، وأمره بلزوم العبادة والزهد ، ودعاء الناس إلى المهدى ، وأنه خارج فى هذا الزمان ، [باليمن ، فسار النجار إلى اليمن[٢]] ونزل بعدن ، بقرب قوم من الشيعة ، يُعرفون « ببنى موسى[٤] » فأظهر أمره[٥] ، وقرّب أمر المهدى ، وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح ، [وأخبرهم أن هذا أوان ظهور المهدى ومِنْ عندهم يظهر[٢]] .

واتصلت أخباره بالشيعة الذين بالعراق ، فساروا إليه ، وكثر جمعهم ، وعظم بأسهم ، وأغاروا على من جاورهم ، وسبوا ، وجبوا الأموال ، وأرسل إلى مَنْ بالكوفة مِنْ وَلَدِ [عبد الله[٢]] القداح هدايا عظيمة .

وأوفدوا[٦] إلى المغرب رجلين ، أحدهما [يعرف با[٢]] لحلوانى ،

---

(١) الجند من مدن اليمن الكبيرة التى كان لها شأن فى العصور الوسطى ، روى ياقوت أنها سميت بجَنَد بن شَهْران — بطن من المعافر — ، وقال ابن الحائك إن بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسين فرسخا . انظر : (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٢) مابين الحاصرتين زيادات موجودة فى (ابن الأثير، ج ٨ ، ص ١١ ، ١٢) .

(٣) فى الأصل : « وسيّره » ، وهذه صيغة ابن الأثير .

(٤) فى (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١١) بعد هذا اللفظ جملة تفسيرية أسقطها المقريزى عند النقل ، وهذا نصها : « ... وأخذ فى بيع ما معه ، وأتاه بنو موسى ، وقالوا له : « فيم جئتَ ؟ » قال : « للتجارة » ، قالوا : « لستَ بتاجر ، وإنما أنت رسول المهدى ، وقد بلغنا خبرك ، ونحن بنو موسى ، ولعلك قد سمعت بنا ، فانْبَسِطْ ولا تَحْتَشِمْ ، فإنا إخوانك » .

(٥) فى ابن الأثير بعد هذه الكلمة : « وقَوّى عزائمهم » .

(٦) فى ابن الأثير : « وكانوا أنفذوا إلى المغرب . . إلخ » .

والآخر [يعرف[١]] بأبى سفيان[٢] ؛ وقالوا لهما : « إن المغرب أرض بور ، فاذهبا فاحرثا حتى يجىء صاحب البذر » . فسارا ، ونزل أحدهما بأرض (١١٠) كتامة ، فمالت قلوب أهل تلك النواحى إليهما ، وحملوا إليهما الأموال والتحف ، فأقاما سنين كثيرة وماتا ، [وكان أحدهما قريب الوفاة من الآخر[٣]] . وكان من إرسال أبى عبد الله الشيعى إلى المغرب ما كان[٤] .

ولما[٥] توفى عبد الله بن ميمون القدّاح ادعى ولدُه أنه من ولد عقيل

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادات عن (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١١ ، ١٢) .

(٢) يوجد مقابل هذين الاسمين — فى الأصل — هامش طويل به تعريف بالرجلين ، وتحديد للسنة التى أرسلا فيها إلى المغرب ، هذا نصه : « الحلوانى وأبو سفيان أنفذهما جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهم السلام إلى بلاد المغرب فى سنة خمس وأربعين ومائة ، وقال لهما : « إنكما تدخلان أرضا بوراً لم تحرث قط ، فاحرثاها وكرماها وذللاها حتى يأتى صاحب البذر فيضع فيها حبه » ، فنزل أبو سفين (كذا) من أرض المغرب مدينة مرماجنة ، ونزل الحلوانى بموضع يسمى سوق حماد ، فلم يزالا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا قلوب جمع كثير من كتامة وغيرها إلى محبة آل البيت ، وصاروا شيعة لهم إلى أن دخل إليهم صاحب البذر أبو عبد الله الشيعى بعد مائة وخمس وثلاثين سنة ، وكان من أمره ما كان » .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٢) . وعنده أيضا ينتهى ما نقله المقريزى عن ابن الأثير ، وهو فصل بكتابه الكامل « ج ٨ ، ص ٩ — ١٢) عنوانه : « ذكر ابتداء الدولة العلوية بافريقية » .

(٤) يلى الفصل السابق فى ابن الأثير فصل عنوانه « ذكر إرسال أبى عبد الله الشيعى إلى المغرب » اختصره المقريزى هنا فى هذه الجملة القصيرة غير أنه سيعود إلى نقله كاملا فيما يلى عند كلامه عن أبى عبد الله ، انظر ما يلى ، ص ٧٤ — ٨٠ .

(٥) بهذا يبدأ المقريزى النقل ثانية عن الكامل لابن الأثير (ج ٨ ، ص ١٣ — ١٥) وعنوان هذا الكلام فى ابن الأثير : (ذكر سبب اتصال المهدى عبيدالله بأبى عبد الله الشيعى ، ومسيره إلى سجلماسة » .

ابن أبى طالب ، وهم مع هـذا يسترون[١] أمرهم ، ويخفون أشخاصهم . وكان ولده أحمد هو المشار إليه منهم ، فتوفى وخلّف ولدَه محمداً[٢] ، ثم توفى محمدٌ ، وخلّف أحمدَ والحسين ، فسار الحسين إلى سلمية ، وله بها ودائع[٣] من جهة[٤] جده عبد الله القداح ، ووكلاء وغلمان .

و بقى ببغداد مِنْ أولاد القداح أبو الشلعلع ؛ وكان الحسين يدّعى أنه الوصىُّ وصاحبُ الأمر ، والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه[٥] ، واتفق أنه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية ، فوصفوا له امرأة رجل يهودى حداد مات عنها زوجها وهى فى غاية الحسن ، فتزوجها — ولها ولد من الحداد يماثلها فى الجمال — ، فأحبها وحَسُن موقعها منه[٦] ، وأحب ولدها وأدّبه وعلّمه ، فتعلم العلم وصارت له نفس عظيمة ، وهمة كبيرة . فمِنَ العلماء مِنْ أهل هذه الدعوة مَنْ يقول إن الإمام الذى كان بسلمية — وهو الحسين — مات ولم يكن له ولدٌ ، فعهد إلى ابن اليهودى[٧] الحدّاد — وهو عبيد الله

---

(١) فى ابن الأثير (ج ٨ ، ص ١٤) : « . . يسترون ويسرون أمرهم » .

(٢) فى ابن الأثير بعد لفظ محمد : « وكان هو الذى يكاتبه الدعاة فى البلاد » .

(٣) فى ابن الأثير : « . . إلى سلمية من أرض حمص ، وله بها ودائع وأموال » .

(٤) فى ابن الأثير : « من ودائع جده » .

(٥) فى ابن الأثير : (ج ٨ ، ص ١٤) : « يكاتبونه ويراسلونه » .

(٦) فى المرجع السابق : « معه » .

(٧) اعتاد المؤرخون السنيون أن يرددوا هـذا الرأى القائل بانتساب الفاطميين إلى أصل يهودى ، وترداد هذا الرأى — إلى جانب القول بانتمائهم إلى ميمون القداح — دليل قوى على بعده عن الحقيقة ، وعلى أنه وُضع لتجريح الفاطميين ، والتشكيك فى صحة نسبهم ، مما دفع : (Lacy O'Leary, the Fatimid Caliphate, P.P. 33 — 34) . أن يسمى هذا الرأى : الخرافة اليهودية The Jewish Legend » ، وقد اتخذت هذه الخرافة فى تلك المراجع أشكالا أربعة : =

— وعرّفه أسرار الدعوة من قول وفعل وَأَيْنَ الدعاةُ ، وأعطاه الأموال

= ١ — أول إشارة إليها توجد فى : (ابن مالك ، كشف أسرار الباطنية ، ص ١٧ وما بعدها) ، وقد نقلها عنه باختصار (الجندى ، أخبار القرامطة ، ص ١٤٠ ، Trans. by Kay, P. 192,) وخلاصة رأى ابن مالك أن عبد الله بن ميمون « كان يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام ، وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة سلمية ، وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة . . وكان صائغا يخدم شيعة إسماعيل بن جعفر الصادق . . وكان حريصا على هدم الشريعة المحمدية . . إلخ .

٢ — وتروى بعض المراجع الأخرى ، انظر مثلا : (,Maqrizi, Quatremère P.115 ؛ وابن الأثير ، ج ٨ ، وأبو الفدا ، ج ٢ ، ص ٦٣ — ٦٤) نفس الرواية المذكورة هنا فى المتن ، وخلاصتها أن الحسين — من نسل ميمون — قد تزوج امرأة يهودى وتبنى ولدها ، ونقل إليه الدعوى ؛ وقد روى هذه القصة أيضا عبد العزيز ابن شداد ؛ ورواها منسوبة إلى القاضى عبد الجبار البصرى كلٌّ من أبى المحاسن (النجوم ج ٤ ، ص ٧٥) والسيوطى (تاريخ الخلفاء ، ص ٣) .

٣ — أما الشكل الثالث لهذه الرواية فيتلخص فى أن سعيدا كان ابنا لجارية من جوارى جعفر الصادق ، وقد أولدها إياه رجل يهودى كان يحبها ، انظر : (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٥٨) .

٤ — أما الشكل الرابع فيتلخص فى أن سعيدا قُتل فى سجنه بسلمية ، وحفظا للدعوة أظهر أبو عبد الله — مكان سعيد — عبدا يهوديا ، ونادى به خليفة ، انظر : (Maqrizi, Quatremère, P. 108.) ؛ ومن الواضح أن هذا الاختلاف فى الروايات دليل آخر على ضعف هذه القصة وبعدها عن الصحة ؛ ويرى (B. Lewis, Op. Cit. P.68.) أن استعانة الفاطميين باليهود ، وتوليتهم الوظائف الكبرى فى الدولة مما دفع أعداءها إلى ابتداع هذه القصة ، واتهامهم بالانتماء إلى أصل يهودى ، ويؤيد (Lewis) رأيه هذا بأن ابن مالك — وهو أول راوٍ لهذه القصة — كان يعيش فى عهد المستنصر ، وقد تولى الوزارة فى عهد هذا الخليفة اثنان من اليهود ، هما : ابن سهل التُستري ، وصدقة الفلاحى انظر : (ابن منجب الصيرفى ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص ١٩ — ٢٣ ، ٣٧ ، ٥٢ ؛ وصبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨٦) . فأثار هذا العمل شعور المسلمين ؛ ولا يعتمد (Lewis) — عند إبداء رأيه هذا — على استقراء الحوادث فقط ، وإنما يستعين بقول ابن مالك نفسه (ص ١٩ — ٢٠) وهو : « والدليل على أنهم من اليهود استعمالهم اليهود فى الوزارة والرياسة ، وتفويضهم إليهم تدبير السياسة ، ما زالوا يحكمون اليهود فى دماء المسلمين وأموالهم . . إلخ » .

والعلامات ، وتقدم إلى أصحـابه بطاعته وخدمته ، وأنه الإمام والوصىّ ، وزوّجه ابنة عمه — أبى الشلعلع (١) — ؛ وجعل لنفسه نسباً وهو :

عبيد الله بن الحسـين (٢) بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب .

و بعض الناس يقول (٣) : إن عبيدَ الله هذا من ولد القدّاح » .

قال (أى ابن الأثير) : « وهـذه الأقوال فيها (٤) ما فيها ، فياليت شعرى ماالذى حمل أبا عبد الله الشيعى وغيرَه ممن قام فى إظهار هذه الدعوة حتى يُخرجوا الأمر من أنفسهم و يسلموه إلى ولد يهودى ؟ ! وهل يسامح نفسه بهذا الأمر [مَنْ (٥)] يعتقده ديناً يثاب عليه ؟ ! » .

قال : فلما عهد الحسين إلى عبيد الله ، قال له : « إنك ستهاجر بعدى هجرة بعيدة ، وتلقى محناً شديدة » . فتوفى الحسين ، وقام بعده عبيد الله ، وانتشرت دعوته (٦) ، وأرسل إليه أبو عبد الله رجالا من كتامة من المغرب ليخبروه بمـا فتح الله عليه ، وأنهم ينتظرونه .

وشاع خبره عنـد الناس أيام المـكتفى (٧) ، فطُلب ، فهرب هو

---

(١) فى : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٤) بعد هـذا اللفظ : « وهذا قول أبى القاسم الأبيض العلوى وغيره » .

(٢) فى ابن الأثير : « الحسن » .

(٣) فى ابن الأثير بعد هذه الـكلمة : « وهم قليل » .

(٤) فى الأصل : « منها » وهذه صيغة ابن الأثير وهى أصح .

(٥) ما بين الحاصرتين غير موجود بالأصل ، وقد نقلناه عن : « ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٤) وبه يستقيم المعنى .

(٦) فى ابن الأثير بعد هذا اللفظ : « وبذل الأموال خلاف ما تقدم » .

(٧) مدة حكمه : (٢٨٩ — ٢٩٥ = ٩٠٢ — ٩٠٨) .

وولده أبو القاسم [نزار] — الذى ولى بعده ، وتلقب بالقائم — وهو يومئذ غلام وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب ، وذلك أيام زيادة الله ابن الأغلب[١] .

قال كاتبه : وأما المحضر[٢] فنسخته :

هذا ما شهد به الشهود أن معدَّ بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد يُنسب إلى ديصان بن سعيد الذى ينسب إليه الديصانية ؛ وأن هذا الناجم[٣] بمصر هو منصور بن نزار المتلقب[٤] بالحاكم — حكم الله عليه بالبوار ، والخزى والدمار[٥] — ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن[٦] ابن سعيد — لا أسعده الله[٧] — ، وأن مَنْ تقدمه مِن سلفه[٨] الأرجاس

---

(١) يوجد فى الأصل بعد هذا اللفظ ما يلى : « انتهى ما ذكره ابن الأثير » . هذا ومدة حكم زيادة الله : (٢٩٠ — ٢٩٦ = ٩٠٣ — ٩٠٩) ، انظر أخباره فى : (النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٥٦ ، ١٦٨ ، ١٩١ ، ودائرة المعارف الإسلامية مادة « بنو الأغلب » ؛ وأمارى ، المكتبة الصقلية) .

(٢) هذا هو المحضر الذى ذكره المؤلف فى أول هذا الفصل ، انظر (ما سبق ، ص ٤٥ — ٤٧) ، وكان يجب أن يكون موضعه هناك ، غير أنه ذكره هنا ، وانظر هناك أيضا أسماء الشهود الذين وقعوا على المحضر .

(٣) ذكر ابن كثير فى : (البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦) صورة هذا المحضر وهى تختلف عما ورد هنا قليلا . فقد ذكر مثلا مكان هذا اللفظ كلمة : « الحاكم » .

(٤) فى : (ابن كثير ، المرجع السابق ، والنجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٢٩) « الملقب » .

(٥) فى الأصل : « بالبوار والدبار » ، وفى (النجوم الزاهرة) : « بالبوار والخزى والنكال » ، وما هنا صيغة ابن كثير فى المرجع السابق .

(٦) هذا نص الأصل والنجوم الزاهرة ، وفى ابن كثير : « بن عبد الله » .

(٧) فى : (البداية والنهاية ، والنجوم الزاهرة) بعد هذا اللفظ : « فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله ، وتلقب بالمهدى ... » .

(٨) فى الأصل : « سفلة » ، وما هنا صيغة : (البداية والنهاية ، والنجوم الزاهرة) .

الأنجاس — عليهم لعنــة الله ، ولعنة اللاعنين (١) — أدعياء خوارج ، لانسب لهم فى ولد على بن أبى طالب — رضى الله عنه — ، وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور وباطل (٢) ، [وأنهم لايعلمون أحداً من أهل بيوتات على بن أبى طالب (٣) توقف عن إطلاق القول فى أنهم خوارج كذبة (٤) ، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم (٥) شائعاً بالحرمين فى أول أمرهم بالمغرب ، منتشراً انتشاراً يمنع أن يُدلس أمرهم على أحد (٦) ، أو يذهب وَهْمٌ إلى تصديقهم (٧) فيما ادعوه] (٨) ، وأن هــذا الناجم بمصر — هو وسلفه — كفار فساق (٩) زنادقة ؛ ملحدون معطلون ، وللإسلام جاحدون [ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون (١٠)] ، [قد عطلوا الحدود (١١)] وأباحوا الفروج ، وأحلُّوا الخمور ، [وسفكوا الدماء (١١)] ، وسبُّوا الأنبياء ، [ولعنوا السلف (١١)] ، وادَّعوا الربوبية » . وفى آخره : « وكتب فى شهر

---

(١) فى (البداية والنهاية) : « . . من سلفه أدعياء خوارج . . . » ، وفى النجوم : « . . عليه وعليهم اللعنة أدعياء » .

(٢) فى الأصل : وأن ما (لم) ادعوه . . الخ » ، وفى النجوم : « وأن ذلك باطل وزور » ، وفى البداية والنهاية : « . . ولايتعلقون بسبب ، وأنه منزه عن باطلهم ، وأن الذى أدعوه إليه باطل وزور . . » .

(٣) فى النجوم : « . . أحداً من الطالبيين توقف . . » .

(٤) صيغة النجوم : « فى هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء » .

(٥) هذا اللفظ ساقط من صيغة « النجوم » .

(٦) صيغة النجوم : « أن يدلس على أحد كذبهم » .

(٧) هذان اللفظان ساقطان من صيغة « النجوم » .

(٨) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦) . وقد آثرنا نقله إتماما لنص المحضر لأهميته الخاصة .

(٩) فى (النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٣٠) : « وفجار زنادقة » .

(١٠) مابين الحاصرتين عن : (البداية والنهاية) ولـكنه لايوجد فى (النجوم)

(١١) الزيادات عن : (المرجعين السابقين) .

ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة » .

(١٠ ب) وقال العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون [١] فى « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر » :

« ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين [والأثبات [٢]] فى العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت — صلوات الله عليهم — والطعن فى نسبهم إلى إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق ، يعتمدون فى ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بنى العباس ، تزلفاً إليهم بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفننا فى الشمات بعدوهم ، حسب ما تذكر بعض هذه الأحاديث فى أخبارهم ، ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات ، وأدلة الأحوال التى اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم ، والرد عليهم ؛ فإنهم متفقون فى حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة أن أبا عبد الله المحتسب لما دعا ـ بكتامة ـ

---

(١) من المعروف أن المقريزى كان تلميذاً لابن خلدون ، وقد تأثر به تأثراً كبيرا (انظر مقدمة إغاثة الأمة للمقريزى ، نشر الدكتور زيادة والشيال) ، وهو هنا ينقل عنه دفاعه عن الفاطميين وتأييده لصحة نسبهم ، غير أن (السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ١٤٧ — ١٤٨) يقول : « والعجب أن صاحبنا المقريزى كان يفرط فى تعظيم ابن خلدون لكونه كان يجزم بصحة نسب بنى عبيد ... إلى على ، ويخالف غيره فى ذلك ، ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن فى نسبهم ، ويقول : إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسى ، وكان صاحبنا (أى المقريزى) ينتمى إلى الفاطميين ، فأحب ابن خلدون لكونه أثبت نسبهم ، وغفل عن مراد ابن خلدون ، فإنه كان لانحرافه عن آل على يثبت نسب الفاطميين إليهم لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين ، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة وادعى الإلهية ... إلخ » انظر أيضا : (السخاوى ، الإعلان بالتوبيخ ، ص ٩٤ ؛ وعنان ، ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكرى) .

(٢) الزيادة عن : (مقدمة ابن خلدون ، ص ١٥) .

للرضى من آل محمد[١] ، واشتهر خبره ، وعلم تحويمه على عبيد الله المهدى وابنه أبى القاسم خشيا على أنفسهما فهربا من المشرق — محل الخلافة — واجتازا بمصر ؛ وأنهما خرجا من الإسكندرية فى زىّ التجار ، ونمى خبرهما إلى عيسى النوشرى — عامل مصر [والاسكندرية[٢]] — ، فسرح فى طلبهما الخيّالة ، حتى إذا أُدركا خفى حالهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزىّ ، فأقبلوا[٣] إلى المغرب ؛ وأن المعتضد أوعز إلى الأغالبة — أمراء إفريقية بالقيروان — ، و بنى مدرار[٤] أمراء سجلماسة — بأخذ الآفاق عليهما ، و إذكاء العيون فى طلبهما ، فعثر اليسع[٥] — صاحب

(١) من المتفق عليه عند المؤرخين المسلمين أن علياً بن عبد الله بن عباس هو أول من فكر فى طلب الخلافة — من بنى العباس — وكان يقيم فى الحميمة فى نفس الوقت الذى كان يقيم فيها أبو هاشم بن محمد بن على بن أبى طالب ، فلما قربت وفاة الأخير ، تنازل عن حقه فى الخلافة لعلى بن عبد الله بن عباس وأولاده ، وأوصى أتباعه بتنفيذ وصيته هذه ، وبذلك انتقلت الشيعة الكيسانية لتأييد على ثم لتأييد محمد ابنه بعده . وكان محمد بن على بن عبد الله بن عباس رجلا عملياً واسع الفهم للأمور ، فاتخذ له دعاة أكفاء ، وأمرهم أن تكون دعوتهم دائماً « للرضا من آل محمد » كى يضمن أن تنضم إليه شيعة على ، وكى يتقى خطر بنى أمية فلا يطلعهم على اسم صاحب الدعوة حتى لا يستطيعوا القبض عليه . وبهذه الطريقة الماكرة اكتسب — هو وخلفه — مساعدة العدد الأكبر من العلويين ، حتى انتهى الأمر بنجاح الدعوة فانتقلت الخلافة إلى العباسيين دون العلويين .

(٢) ما بين الحاصرتين عن : (مقدمة ابن خلدون ، ص ١٦) .

(٣) فى (المقدمة) : « فأفلتوا » .

(٤) بنو مدرار أمراء سجلماسة حكموا هذه المدينة قرنين من الزمان (١٥٥ — ٣٥٢ = ٧٧٢ — ٩٦٣) ؛ إلا ثلاث فترات استولى فيها الفاطميون على هذه المدينة : المرة الأولى فى ٢٩٦ ولبثوا فيها إلى ٢٩٨ — وكان ذلك فى عهد اليسع الثانى المستنصر — والمرة الثانية فى سنة ٣٠٩ فى عهد أحمد بن ميمون ، والمرة الثالثة فى سنة ٣٤٧ وهى آخر سنة من حكم محمد الشاكر لله . انظر : (Zambaur, Op. Cit. pp. 64—65) .

(٥) هو اليسع الثانى المستنصر ثامن حكام سجلماسة من آل مدرار ، حكمها بين سنتى (٢٧٠ — ٢٩٦ = ٨٨٣ — ٩٠٩) وهو الذى قبض على عبيد الله المهدى وأودعه السجن إلى أن أطلق سراحه واستولى على المدينة أبو عبد الله الشيعى .

سجلماسة من آل مدرار — على خفىّ مكانهما ببلده، واعتقلهما مرضاة للخليفة.

هذا قبل أن تظهر الشيعة على الأغالبة بالقيروان، ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بإفريقية والمغرب، ثم باليمن، ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز؛ وقاسموا بنى العباس فى ممالك الإسلام، شق الأُبْلُمَة(١)، وكادوا(٢) يلجون عليهم مواطنهم، ويديلون(٣) من أمرهم. ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الأمير البساسيرى(٤) — من موالى الديلم المتغلبين على خلفاء بنى العباس — فى مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم، وخَطَبَ لهم على منابرها حولا كاملا(٥)، وما زال

(١) شق الأبلمة أى نصفين.

(٢) فى الأصل: «وكانوا»، وما هنا صيغة ابن خلدون.

(٣) (فى المقدمة): «ويزايلون».

(٤) هو أبو الحارث أرسلان — الملقب بالمظفر — البساسيرى، وهذا الاسم نسبة شاذة إلى المدينة الفارسية «بسا» أو «فسا»، انظر: (ياقوت، معجم البلدان)؛ وكان البساسيرى أحد القواد العباسيين آخر أيام بنى بويه، ثم حدث نزاع بينه وبين ابن مسلمة وزير الخليفة العباسى القائم بأمر الله لأنه طلب مساعدة السلاجقة للتخلص من بنى بويه، فلما دخل طغرل بك بغداد سنة ٤٤٧ (١٠٥٥) اضطر البساسيرى إلى الفرار، ثم كاتب الخليفة المستنصر الفاطمى فأمدّه هذا بالمال والسلاح؛ وفى سنة ٤٥٠ (١٠٥٨) دخل بغداد ظافرا وأقام الخطبة للمستنصر، وبعث البشائر إلى مصر. قال أبو المحاسن: «وكان وزير المستنصر هناك أبا الفرج بن أخى أبى القاسم المغربى، وكان ممن هرب من البساسيرى، فذم للمستنصر فعله وخوّفه من سوء عاقبته، فتُرِكت أجوبته مدة، ثم عادت على البساسيرى بغير الذى أمّله، فسار البساسيرى إلى البصرة وواسط، وخطب بهما أيضا للمستنصر»، وفى سنة ٤٥١ تغلب عليه ثانية طغرل بك وقتله، وأعاد الخطبة للخليفة العباسى. انظر تفصيل هذه الثورة وأخباره فى: (النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٥ — ١٢؛ والوفيات لابن خلكان، ج ١، ص ١٠٧؛ ودائرة المعارف الإسلامية).

(٥) فى الأصل: «كريتا»، وما هنا صيغة ابن خلدون.

بنو العباس يغصون بمكانهم ودولتهم ؛ وملوكُ بنى أمية — وراء البحر — ينادون بالويل والحرب منهم .

وكيف يقع هذا كله لدعيٍّ فى النسب، يكذب (١) فى انتحال الأمر ؟ واعتبر حال القرمطى ، إذ كان دعيًا فى انتسابه ، كيف تلاشت دعوته ، وتفرق (٢) أتباعه ، وظهر سريعاً على خبثهم ومكرهم ، فساءت عاقبتهم ، وذاقوا وبال أمرهم ، ولو كان أمر العبيديين كذلك لَعُرف ، ولو بعد مهلة .

فمهما (٣) تَـكُنْ عِنْدَ امرئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ (١١١)

فقد اتصلت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة ، وملكوا مقام إبراهيم — عليه السلام — ومصلاه ، وموطن (٤) الرسول ومدفنه ، وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ؛ ثم انقرض أمرهم ، وشيعتهم فى ذلك على أتم ما كانوا عليه من الطاعة (٥) لهم والحب فيهم ، واعتقادهم بنسب الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق .

ولقد خرجوا مراراً — بعد ذهاب الدولة ودروس أثرها — داعين إلى بدعتهم ، هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم ، يزعمون استحقاقهم للخلافة ويذهبون إلى تعيينهم بالوصية ممن (٦) سلف قبلهم من الأئمة ، ولو ارتابوا

---

(١) فى الأصل « مكذب » وما هنا لفظ ابن خلدون .
(٢) فى ابن خلدون : « وتفرقت » .
(٣) فى ابن خلدون . « ومهما » ، والبيت لزهير .
(٤) فى الأصل : « ومواطن » ، وما هنا صيغة ابن خلدون .
(٥) فى الأصل : « الصاغية إليهم » ، وما هنا صيغة ابن خلدون .
(٦) فى الأصل : « فمن » ، وهذا لفظ ابن خلدون .

فى نسبهم لما ركبوا أعناق الأخطار فى الانتصار لهم ، فصاحب البدعة لايلبس [فى[1]] أمره ، ولا يشبه فى بدعته ، ولا يكذب نفسه فيما ينتحله .

والعجب من القاضى أبى بكر الباقلانى[2] شيخ النظار من المتكلمين يجنح إلى هذه المقالة المرجوحة ، و يرى هذا الرأى الضعيف ، فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد فى الدين ، والتعمق فى الرافضية ، فليس ذلك بدافع فى صدد دعوتهم[3] ، وليس إثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيئاً فى كفرهم . وقد قال تعالى لنوح — عليه السلام — فى شأن ابنه : « إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تسأَلْنِّ مَا لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ[4] » . وقال — صلى الله عليه وسلم — لفاطمة — يعظها — : « يا فاطمة اعملى فلن أغنى عنك من الله شيئا » .

ومتى عَرَف امرؤٌ قضية ، أو استيقن أمراً ، وجب عليه أن يصدع به « وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السبيل[5] » .

والقوم كانوا فى مجالٍ لظنون الدول بهم ، وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم ، وانتشارهم فى القاصية بدعوتهم ، وتكرر خروجهم مرة بعد أخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ، ولم يكادوا يعرفون ، كما قيل :

فَلَوْ تَسْأَلُ الأَيَّامَ ما اسمى ما دَرَتْ ۝ وَأَيْنَ مَكَانِى مَا عَرَفْنَ مَكَانى[6]

---

(١) ما بين الحاصرتين عن (ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٦) .
(٢) انظر ما سبق ، ص ٤٣ ، هامش ٢ .
(٣) فى الأصل : « بدعتهم » ، وهذا لفظ ابن خلدون .
(٤) السورة ١١ ، الآية ٤٦ .
(٥) السورة ٤ ، الآية ٣٣ .
(٦) فى المقدمة : « مكانيا » .

حتى لقد سمى محمد بن إسماعيل الإمام — جد عبيد الله المهدى — بالمكتوم ؛ سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من إخفائه حذراً من المتغلبين عليهم ، فتوصل شيعة آل العباس بذلك — عند ظهورهم — إلى الطعن فى نسبهم ، وازدلفوا بهذا الرأى الفائل (١) إلى المستضعفين (٢) من خلفائهم ، وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم (٣) ، المتولون لحروبهم مع الأعداء ، يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرّة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشأم ومصر والحجاز من البربر الكتاميين — شيعة العبيديين وأهل دعوتهم — حتى لقد أسجل القضاة ببغداد بنفيهم من (٤) هذا النسب ، وشهد بذلك [عندهم] (٥) من أعلام الناس جماعةٌ ، منهم : الشريف الرضى (٦) ، وأخوه المرتضى (٦) ، وابن البطحاوى ؛ ومن العلماء : أبو حامد الاسفرائينى ، والقُدُورى (٧) ، والصَيمرى (٧) ، وابن الأكفانى (٧) ، والأَبِيوَرْدى (٧) ، وأبو عبد الله بن النعمان (٧) — فقيه الشيعة — وغيرهم من أعلام الأئمة (٨) ببغداد ، فى يوم مشهود ، وذلك سنة اثنتين وأربعمائة ، فى أيام القادر ؛ وكانت شهادتهم فى ذلك على السماع لما اشتهر وعُرف بين الناس ببغداد ،

---

(١) الرأى الفائل أى الخاطئ أو الضعيف ، فقد جاء فى القاموس : « فال رأيه يَفيلُ فُيُولةً وفَيْلَـةً أخطأ وضعف » .

(٢) فى (المقدمة ، ص ١٧) : « للمستضعفين » .

(٣) فى الأصل : « دولهم » ، وهذه صيغة المقدمة .

(٤) فى (المقدمة) : « عن » .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة عن (المقدمة) .

(٦) انظر ما سبق ، ص ٣٧ ، هامش ٤ ؛ ص ٣٨ ، هامش ١ .

(٧) انظر ما سبق ، ص ٤٦ .

(٨) فى (المقدمة) : « الأمة » .

وغالبها شيعة بنى العباس ، الطاعنون فى هـذا النسب ، فنقله الأخباريون — كما سمعوه — ، ورووه — حسبما وعوه — ، والحق من ورائه .

وفى كتاب المعتضد — فى شأن عبيد الله — إلى ابن الأغلب بالقيروان ، وابن مدرار بسجلماسة أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة نسبهم . فالمعتضد أقعد بنسب أهل البيت من كل أحد ، والدولة والسلطان سوق للعالم تُجلب (١) إليه بضائع العلوم والصنائع ، وتُلتمس فيه ضوال الحكم ، وتحدى إليه ركائب الروايات والأخبار ، وما نفق فيها نفق عند (٢) الكافة ، فإن تنزهت الدولة عن التعسف والميل ، والإفن والسفسفة ، وسلكت النهج الأمم ، ولم تَجُر عن قصد السبيل نفق فى سوقها الإبريز الخالص ، واللجين المصفى ؛ وإن ذهبت مع الأغراض والحقود ، وماجت بسماسرة البغى والباطل نفق البهرج (٣) والزائف ، والناقد البصير قسطاس نظره ، وميزان بحثه وملتمسه (٤) » .

قال (أى ابن خلدون) : « وكان الإسماعيلية من الشيعة يذهبون إلى أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعـده ، وأن الإمام

---

(١) فى الأصل : « يجلب » والتصحيح عن (مقدمة ابن خلدون ، ص ١٧) .

(٢) فى الأصل : « عنه » والتصحيح عن المرجع السابق .

(٣) البهرج الباطل أو الردىء أو الزائف ، وأكثر ما يوصف بها الدرهم الذى فضته رديئة أو الدينار الذى ذهبه ردىء . انظر : (المقريزى ، إغاثة الأمة ، ص ٦٢ ، حاشية ١ ، ص ٦٧ ، حاشية ٣) .

(٤) إلى هنا ينتهى ما نقله المقريزى عن « مقدمة ابن خلدون » ، ثم ينقل بعد ذلك عن تاريخه مع اختلاف فى النصين إيجازا وإضافة ، انظر : (تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٣١ — ٣٣ ؛ ج ٣ ، ص ٣٦٠ — ٣٦١) .

بعده ابنه محمد المكتوم ، و بعده ابنه جعفر المصدق ، و بعده ابنه محمد الحبيب ؛ وكانوا أهل غلو فى دعاويهم فى هؤلاء الأئمة .

وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهور أمره ، والظفر بدولته ؛ وكان باليمن من هذا المذهب كثير بعدن فى قوم يعرفون ببنى موسى ؛ وكذلك كان بإفريقية من لدن جعفر الصادق بمرماجنة ، وفى كتامة ، وفى نفْزَة (١) ، وسماته (٢) ، تلقوا ذلك من الحلوانى (٣) وابن بكار (٤) — داعيتى جعفر الصادق — وقدم على جعفر بن محمد — والد عبيد الله — من أهل اليمن رجل من أولئك الشيعة يُعرف بعلى بن الفضل (٥) ، فأخبره بأخبار اليمن ،

---

(١) قال ياقوت فى معجم البلدان إنها « مدينة بالمغرب بالأندلس » ، وذكر لفظ « الأندلس » هنا غريب إذ لا يُعرف أنه كان للعلويين دعوة أو دعاة بالأندلس . هذا وفى : (الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٩) ما يفيد أن نَفْزَة ليست بالأندلس وإنما على الشاطىء المقابل لها فى المغرب الأقصى .

(٢) كذا فى الأصل ، ولم يعثر الناشر فى معجم ياقوت على مدينة بهذا الرسم ، وإنما ورد فيه مكان اسمه « سَمَاءة » وعرّفه ياقوت بقوله : « حصن حصين فى جبل وَصَاب من أرض زبيد باليمن ، وسماءة أيضا فى جبل مُقْرَى باليمن » .

(٣) يوجد فى الهامش بالأصل أمام هذا اللفظ الجملة الإيضاحية الآتية : « كان بعث أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق (كذا) بأبى سفين وبالحلوانى إلى المغرب فى سنة خمس وأربعين ومائة ، وأمرهما أن يبسطا علم الأئمة ، ولا يتجاوزا إفريقية ، ثم يفرقان (كذا) فينزل كل واحد منهما ناحية ، فاهتبلا ذلك ، وكان الحلوانى يقول : بعثت أنا وأبو سفين ، فقيل لنا اذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضا بورا ، فاحرثاها وكرماها وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة ، فيبذر حبه » . وكان بين دخولهما المغرب ودخول صاحب البذر — وهو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا — ماية وخمس وثلاثون سنة » . انظر أيضا ما سبق ، ص ٥٤ ، هامش ٢ .

(٤) المتواتر هنا وفى المراجع المختلفة أن الداعيتين اللذين أرسلا إلى المغرب هما الحلوانى وأبو سفيان ، ولم أجد — فى غير هذا المكان — ذكرا لابن بكار هذا ولعل هذه كنية أخرى لأبى سفيان .

(٥) انظر ما سبق ، ص ٥٢ ، هامش ٥ .

فبعث معه أبا القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفى — من رجالات الشيعة — وقال له : « ليس لليمن إلا أنت ، فخرجا من القادسية سنة ثمان (١١٤) وستين ومائتين ، ودخلا اليمن على حين انخلع محمد بن يَعْفُر[1] من الملك ، وأظهر التوبة ، فدعوا للرضى من آل محمد ، وظهرت الدعوة سنة سبعين ، وتسمى أبو القاسم بالمنصور ، وابتنى حصناً بجبل لاعة[2] ، وزحف بالجيوش ، وفتح مدائن اليمن ، وملك صنعاء ، وأخرج بنى يعفر ، وفرّق الدعاة فى اليمن ، والبحرين ، واليمامة ، والسند ، والهند ، ومصر ، والمغرب .

وكان أبو عبد الله المحتسب داعى المغرب ، وأصله من الكوفة ، واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا — من رَامَ هُرْمُز[3] — وكان محتسباً بسوق الغزل من البصرة ، وقيل إنما المحتسب أخوه أبو العباس محمد ، ويُعرف أبو عبد الله بالمعلم ، كان يعلم الناسَ مذهب الإمامية الباطنية ، واتصل بالإمام محمد بن جعفر ، ورأى أهليته ، فأرسله إلى ابن حوشب —

(١) محمد بن يعفر ثانى ولاة اليعفريين على صنعاء والجند ، ولى من ٢٥٩ إلى ٢٧٩ (٨٧٢ — ٨٩٢) .

(٢) فى المراجع الجغرافية مدينة عدن لاعة ، ووادى لاعة ، وليس بها جبل لاعة وعلى كلٍ فقد كانت منطقة لاعة باليمن من المواضع الأولى التى ظهرت بها الدعوة الفاطمية ، وقد كانت مقراً للداعيتين على بن الفضل وأبى عبد الله الشيعى . انظر : (معجم البلدان لياقوت ؛ Kay. Op. Cit. pp. 232—233) .

(٣) رسمها ياقوت متصلة هكذا « رامهرمز » وذكر أنها مركبة من لفظين : رام — لفظة فارسية — ومعناها مقصود أو مراد ، وهرمز أحد الأكاسرة ، وقال حمزة : رامهرمز اسم مختصر من « رامهرمز أردشير » ، وقال ياقوت إنها « مدينة مشهورة بنواحى خوزستان ، والعامة يسمونها رامز كسلا منهم عن تتمة اللفظة بكمالها واختصارا » .

صاحب اليمن — ، وأمره بامتثال أمره ، والاقتداء بسيرته ، ثم يذهب بعدها إلى المغرب ، ويقصد بلد كتامة ، فلما بلغ إلى ابن حوشب لزمه ، وشهد مجالسه ، وأفاد علمه ، ثم خرج مع حاج اليمن إلى مكة ، حتى أتى الموسم ، ولقى به رجالات كتامة ، واختلط بهم ، ووجد لدنهم بذراً من ذلك المذهب — كما قدمنا — فاشتملوا عليه ، وسألوه الرحلة ، فارتحل معهم إلى بلدهم ، ونزل بها ، وجاهر بمذهبه وأعلن بإمامة أهل البيت ، ودعا للرضى من آل محمد — على عادة الشيعة — وأطاعته قبائل كتامة بعد فتن وحروب ، ثم اجتمعوا على تلك الدعوة .

ثم هلك الإمام محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بعد أن عهد لابنه عبيد الله المهدى ، وشاع خبر دعاته باليمن وإفريقية ، وطلبه المكتفى ، وكان يسكن عَسْكَر مُكْرَم ، فانتقل إلى الشام ، ثم طُلب ، ففرَّ بنفسه وبابنه أبى القاسم — [وكان] غلاما حدثا — ، وبلغ مصر ، وأراد قَصْد اليمن ، فبلغه أن على بن الفضل أحدث فيها الأحداث — من بعد ابن حوشب (١) — ، وأساء السيرة ، فكره دخول اليمن ، واتصل به شأن أبى عبد الله ، وما فتح الله عليه بالمغرب ، فاعتزم على اللحاق به ، وسَرَّح عيسى النوشرى — عامل مصر — فى طلبه ، وكانوا خرجوا من الاسكندرية فى زِىِّ التجار ، فلما أُدركت الرفقة خفى حالهم بما اشتبه من الزى ، فأفلتوا إلى المغرب » .

« انتهى كلام ابن خلدون »

---

(١) انظر تفاصيل النزاع بين على بن الفضل وابن حوشب فى : (ابن مالك ، كشف أسرار الباطنية ، ص ٢٥ — ٤٢) .

قال كاتبه : وأنت إذا سلمتَ من العصبية والهوى ، وتأملت ما قد مر ذكرُه من أقوال الطاعنين فى أنساب القوم علمتَ ما فيها من التعسف[1] والحمل ، مع ظهور التلفيق فى الأخبار ، وتبَيَّنَ لك منـه ما تأبى الطباع السليمة قبوله ، ويشهد الحسُّ السليم بكذبه : (١٣ ا) فإنه قد ثبت أن الله تعالى لا يمد الـكذاب المفتعل بما يكون سبباً لانحراف الناس إليه ، وطاعتهم له على كذبه . قال تعالى — عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم — « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ[2] » . وقال تعالى — فى الدلالة على صدقه — : « أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، أَفَهُمُ الغَالِبُونَ[3] » . وقد علم أن الـكذب على الله تعالى ، والافتراء عليـه فى دعوى استحقاق الخلافة النبوية على الأمة ، والإمامة لهم شرعاً ، بكونه من ذرية رسول الله — صلى الله عليه وسلم و [على] آل بيته — ، من أعظم الجنايات ، وأكبر الـكبائر ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يُظهر من تعاطى ذلك واجترأ عليه ، ثم يمده فى ظهوره بمعونته ، ويؤيده بنصره ، حتى يملك أكثر مدائن الإسلام ، ويورثها بَنِيه من بعده ، وهو تعالى يراه يستظهر بهذه النعم الجليلة على كذبه ويفتنّ بمخرقته على العباد ، ويحدث بباطله الفتن العظيمة والحروب المبيدة فى البلاد ، ثم يُخليه — تعالى — وما تولى من ذلك بباطله من غير

---

(١) فى الأصل : « التقشف » .

(٢) السورة ٦٩ (الحاقة) ، الآيات ٤٤ — ٤٦ .

(٣) سورة ٢١ (الأنبياء) ، آية ٤٤ .

أن يُشعره شعار الكذابين ، ويُحِلّ به ما من عادته تعالى أن يحل بالمفسدين ، فيدمره وقومه أجمعين .

كما لا يليق بحكمته تعالى أن يخذل من دعا إلى دينه وحمل الكافة على عبادته ، ولا يؤيده على إعلاء كلمته ، بل يسلمه فى أيدى أعداء دينه المجاهرين بكفرهم وطغيانهم حتى (١٣ ب) يزيدهم ذلك كفراً إلى كفرهم ، وضلالاً إلى ضلالهم ، فإن فعله هذا بالصادق فى دعائه إليه تعالى كتأييده الكاذب فيها سواء ؛ بل الحكمة الإلهية ، والعادة الربانية وسنة الله التى قد[1] خلت فى عباده ، اقتضت أنه تعالى إذا رأى الكذاب يستظهر بالمحافظة على التنمس بالباطل ، ويتوصل إلى إقامة دولته بالكذب ، ويخليها بالزور فى ادعائه نسباً إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — غيرَ صحيح ، وصرفه الناس عن طاعة بنى العباس — الثابتة أنسابهم ، المرضية سيرتهم ، العادلة بزعمهم أحكامهم ومذاهبهم — أن يحول بينه وبين همه بذلك ، ويسلبه الأسباب التى يتمكن بها من الاحتراز ، ويعرضه لما يوقعه فى المهالك ، ويسلك به سبيل أهل البغى والفساد .

فلما لم يفعل ذلك بعبيد الله المهدى ، بل كتب تعالى له النصر على من ناوأه ، والتأييد بمعونته على من خالفه وعاداه ، حتى مكّن له فى الأرض ، وجعله وبنيه من بعده أئمة ، وأورثهم أكثر البسيطة ، وملّكهم مِن حدِّ منتهى العمارة فى مغرب الشمس إلى آخر مُلْك مصر والشام والحجاز وعمان والبحرين واليمن ، وملّكهم بغداد وديار بكر مدة ، ونشر دعوتهم إلى

---

(١) فى الأصل : « تدخلت » .

خراسان ، ونصرهم على عدوهم أى نصر تبيّن أن دعواهم الانتساب إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صحيحة ؛ وهذا دليل يجب التسليم له ، « واللهُ يَقُولُ الحقَّ وَهوَ يَهْدِى السَبِيلَ »[1] .

وقد روى موسى بن عقبة[2] أن هرقل لما سأل أبا سفيان[3] بن حرب[3] عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان مما قاله : « أتراه كاذبا أو صادقا ؟ » قال أبو سفيان[3] : « بل هو كاذب » ، قال هرقل : « لا تقولوا ذلك ، فإن الكذب لا يظهر به أحد » .

(١٢) وقد نقل عن أئمة آل البيت عليهم السلام الإشارة إلى أمر عبيد الله المهدى ، فمن ذلك أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سئل عن : ظهور القائم : متى يكون ؟ فقال : « إن ظهور القائم مثله كمثل عمود من نور سقط من السماء إلى الأرض ، رأسه بالمغرب ، وأسفله بالمشرق » . وكذلك كان بداية أمر المهدى عبيد الله ، فإنه ابتدأ فى المغرب ، وانتهى أمره على يد بنيه إلى المشرق . فإنه ظهر بسجلماسة — فى ذى الحجة سنة تسعين ومائتين — وهى أقصى مسكون المغرب ، ودُعى للمستنصر — ببغداد — فى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

---

(١) سورة ٣٣ (الأحزاب) ، آية ٤ .

(٢) موسى بن عقبة بن أبى عياش الأسدى مولى آل الزبير ، من الثقات ، قال الإمام ابن حنبل « عليكم بمغازى ابن عقبة فإنه ثقة » ، ولد بالمدينة وتوفى بها سنة ١٤١ (٧٥٨ م) ، له كتاب فى المغازى ، لعله الرسالة الصغيرة التى طبعت فى أوربا سنة ١٩٠٤ تحت عنوان : « أحاديث منتخبة فى مغازى موسى بن عقبة » أو لعل هذه الرسالة مختصرا لكتابه . انظر : (التهذيب ، والنجوم الزاهرة ج ١ ، ص ٣٤٥) .

(٣) فى الأصل : « أبو سفين بن حرث » ، وقد ذكرت قصة أبى سفيان مع هرقل أكثر تفصيلا فى : (تاريخ الطبرى ، طبعة دى غويه ، ١ ، ١٥٦١ — ١٥٦٥).

وكان على بن محمد بن على بن موسى الكاظم يقول : « فى سنة أربع وخمسين ومائتين ستكشف عنكم الشدة ، ويزول عنكم كثير مما تجدون إذا مضت عنكم سنة اثنتين وأربعين » . يشير بذلك [إلى] أن البداية من تاريخ وقته ، فيكون المراد سنة ست وتسعين ومائتين ، وفى ذى الحجة منها كان ظهور الإمام المهدى بالله — رحمة الله عليه[1] — .

---

(١) ورد فى الهامش بالأصل أمام هذا اللفظ — وبخط مخالف — ما يلى : « إنما حمل المؤلف — رحمه الله — على رد ما قاله أهل النسب فى حق الفواطم ، والاحتجاج لهم ، والإكثار فى مدحهم ، والانتصار لمذهبهم الذى اشتهر بين الأمة خلافه ، وهو معذور فيه ، لأنه — رحمه الله — ينتهى نسبه لهم ، وهو يذكره — لا سيما فى أول الكتاب بخطه — أنه ينتهى إلى تميم ؛ وانظر إلى قوله : « إن الكاذب لا يملك البلاد ، ولا يمكن له فى الأرض » ، وقد سمعنا قديما عن بخت نصر ، وحديثا عن التتار وتيمور ، وقبل ذلك بنو أمية وهم متغلبون على آل البيت من مدة أمير المؤمنين وأولاده الحسن والحسين وأولادهم يفعلون بهم الأفاعيل ، وهم فى غاية من القوة والتمكن فى السلطان » .

(١٤ ب) ذكر ما كان من ابتداء الدولة الفاطمية إلى أن بنيت القاهرة

وذلك[١] أن أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعى[٢] سار إلى أبى القاسم رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفى [النجار[٣]] باليمن[٤]، وصحبه [بعدن[٥]]، وصار من كبار أصحابه، وكان له علم وفهم، ودهاء ومكر[٦]، فلما ورد على ابن حوشب موت الحلوانى ورفيقه بالمغرب[٧] قال لأبى عبد الله الشيعى: « إن أرض كتامة[٨] من

(١) هذا الفصل منقول عن: (الكامل لابن الأثير، ج ٨، ص ١٢ — ١٣)، ثم نقله المقريزى مرة أخرى فى كتابه: (الخطط، ج ٢، ص ١٦٠ — ١٦١) عند كلامه عن: « الخلفاء الفاطميين »، وسنقارن ما ورد هنا بالأصل المنقول عنه — وهو ابن الأثير —.

(٢) فى (ابن الأثير) بعد هذا اللفظ: (من أهل صنعاء قد سار».

(٣) فى (ابن الأثير): « سار إلى ابن حوشب النجار » فقط، وما هنا صيغة الأصل، وهى تتفق أيضا وصيغة (الخطط).

(٤) هذا اللفظ لا يوجد فى (ابن الأثير)، ومكانه فى (الخطط): « القائم ببلاد اليمن ».

(٥) الزيادة عن (ابن الأثير).

(٦) هذه صيغة الأصل وابن الأثير، وهى فى (الخطط): « وعنده دهاء ومكر ».

(٧) هذه صيغة الأصل، وهى فى ابن الأثير: « فلما أتى خبر وفاة الحلوانى وأبى سفيان إلى ابن حوشب ... ».

(٨) يوجد فى الهامش بالأصل تعريف للفظ كتامة هذا نصه: « يقال إن كتامة من ولد كتامة بن افريقس بن صيفى بن سبأ الأصغر، وقيل افريقس بن ررعة (كذا) وهو حمير الأصغر؛ وقيل هو قيس بن ررعة بن زهير بن أيمن بن هميع بن حمير الأكبر؛ ويقال افريقين بن صيفى؛ وقيل إن كتامة إخوة صنحاجة ».

المغرب قد حرثها الحلوانى وأبو سفيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك » . فخرج أبو عبد الله إلى مكة ، وقد أعطاه ابن حوشب مالاً[١] ، فلما قدم مكة سأل عن حجاج كتامة فأُرشد إليهم ، واجتمع بهم ، ولم يعرِّفهم قصده ، وذلك أنه جلس قريبا منهم ، فسمعهم يتحدثون بفضائل أهل البيت ، فاستحسن ذلك ، وحدثهم فى معناه[٢] ؛ فلما أراد القيام سألوه أن يأذن لهم فى زيارته[٣] ، فأذن لهم ، وسألوه : « أين مقصدك ؟ » فقال : « مصر » ، ففرحوا بصحبته ، فرحلوا[٤] وهو لا يخبرهم بغرضه ، وأظهر [لهم] العبادة والزهد ، فازدادوا فيه رغبة وخدموه ؛ وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم ، وعن طاعتهم لسلطان إفريقية ، فقالوا : « ما له علينا طاعة ، و بيننا و بينه عشرة أيام » ، قال : « أفتحملون السلاح ؟ » قالوا : « هو شغلنا » .

ولم يزل يتعرف أحوالهم حتى وصلوا إلى مصر ، فلما أراد وداعهم قالوا له : « أىَّ شىء تطلب بمصر ؟ » قال : « أطلب التعليم بها » ، قالوا : « إذا كنت تقصد هذا فبلادنا أنفع لك ، ونحن أعرف بحقك » ، ولم يزالوا به حتى أجابهم إلى المسير معهم[٥] ، فلما قاربوا بلادهم لقيهم رجال

---

(١) فى ابن الأثير بعد هذا اللفظ : « وسيّر معه عبد الله بن أبى ملاحف » .

(٢) فى ابن الأثير : « فأظهر استحسان ذلك وحدثهم بما لم يعلموه » .

(٣) فى ابن الأثير بعد هذا اللفظ : « والانبساط معه » .

(٤) فى ابن الأثير قبل هذا اللفظ جملة إيضاحية هذا نصها : « وكان من رؤساء الكتاميين بمكة رجل اسمه « حريث الجميلى » وآخر اسمه « موسى بن مكاد » .

(٥) يوجد فى ابن الأثير (ج ٨ ، ص ١٢) بين هذين اللفظين ما يلى : « ... بعد الخضوع والسؤال ، فسار معهم » .

من الشيعة ، فأخبروهم بخبره فرغبوا فى نزوله عندهم ، واقترعوا فيمن يضيفه منهم .

ثم ارتحلوا حتى وصلوا إلى أرض كتامة منتصف [شهر[(١)]] ربيع الأول سنة ثمان وثمانين[(٢)] ومائتين ، فسأله قوم [منهم[(١)]] أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا[(٣)] دونه ، فقال لهم : « أين يكون فج الأخيار ؟ » فعجبوا من ذلك ، ولم يكونوا ذكروه له ، فقالوا له : « عند بنى سليمان[(٤)] » ، فقال : « إليه نقصد ، ثم نأتى كل قوم منكم فى ديارهم ، ونزورهم فى بيوتهم » ؛ فأرضى بذلك الجميع ، وسار إلى جبل يقال له : « إيكجان[(٥)] » ، وفيه « فج الأخيار » ، فقال : « هـذا فج الأخيار ، وما سمى إلا بكم ، ولقد جاء فى الآثار : « [أن[(٦)]] المهدى هجرة تنبو عن الأوطان ، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان ، قوم اسمهم[(٧)] مشتق من الكتمان [فبهم

---

(١) ما بين الحاصرتين عن (ابن الأثير)

(٢) هكذا فى الأصل وفى الخطط ؛ وفى (ابن الأثير) : « سنة ثمانين ومائتين » وقد أوردت (دائرة المعارف الإسلامية) الروايتين دون تحقيق . انظر أيضا : (الدكتور حسن إبراهيم حسن ، الفاطميون فى مصر ، ص ٥٥) .

(٣) فى الأصل : « يقابلوا » وهذه صيغة ابن الأثير ، وهى أصح .

(٤) فى (ابن الأثير) : « سليان » .

(٥) فى (ابن الأثير) : « انكجان » ، وفى الهامش بالأصل : « ايكجان جبل بالقرب من قسطنطينة فيه قبائل كتامة وهم كرام وقد فنوا » . وقال الدكتور حسن إبراهيم حسن فى كتابه (الفاطميون فى مصر ، ص ٥٦) إن إيكجان يقع « فى منتصف الطريق بين طنجة وفاس . وإيكجان جمع حاج (حجاج) ؛ وكانوا يطلقون عليه منذ قديم الزمان Tzajjan وهو محل اجتماع الحجاج من الأندلس وشمال المغرب الأقصى » .

(٦) الزيادات عن (الكامل لابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٢) .

(٧) فى (ابن الأثير) : « مشتق اسمهم » .

كتامة[(١)] » ، وبخروجكم من هذا الفج سمى فج الأخيار » .

فتسامعت القبائل ، [وصنع من الحيل والمكيدات والنارنجيات ما أذهل عقولهم[(١)]] ؛ وأتاه البربر[(٢)] من كل مكان ، فعظم أمره إلى أن تقاتلت كتامة عليه (١١٥) مع قبائل البربر ، [وسلم من القتل مراراً][(١)] وهو [فى كل ذلك لا يذكر[(٣)]] اسم المهدى ؛ فاجتمع أهل العلم على مناظرته وقتله ، فمنعه الكتاميون من المناظرة[(٤)] ، وكان اسمه عندهم : « أبا عبد الله المشرقى » .

وبلغ خبره إلى ابراهيم[(٥)] بن أحمد بن الأغلب — أمير إفريقية — فأرسل إلى عامله على مدينة مِيلَة[(٦)] يسأله عن أمره ، فصغره عنده[(٧)] ، وذكر [له[(٨)]] أنه يلبس الخشن ، ويأمر بالخير والعبادة ، فسكت عنه .

ثم إن أبا عبد الله قال للكتاميين : « أنا صاحب البذر الذى ذكر لكم أبو سفيان والحلوانى ، فازدادت محبتهم له ، وتعظيمهم لأمره ، [(١)]فلما ظهر لأهل المغرب علمه وفضله قال أحد الأولياء لأصحابه : « لولا واحدة كان الحلوانى يقولها ما تخالجنى الشك فى أن هـذا الرجل هو الذى كان الحلوانى

(١) الزيادات عن : (الكامل لابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٢) .
(٢) فى الأصل : « البرابر » ، وهذه صيغة ابن الأثير .
(٣) هذه صيغة ابن الأثير ، وهى فى الأصل : « وهو لا يذكر فى ذلك » .
(٤) كذا فى الأصل ، وفى ابن الأثير : « فلم يتركه الكتاميون يناظرهم » .
(٥) هو إبراهيم الثانى وقد حكم أفريقية من ٢٦١ إلى ٢٨٩ (٨٧٤ — ٩٠٢).
(٦) مِيلَةُ عرفها ياقوت بأنها « مدينة صغيرة بأقصى أفريقية بينها وبين بجاية ثلاثة أيام . . وبينها وبين قسطنطينة يوم واحد » .
(٧) هذا اللفظ غير موجود فى ابن الأثير .
(٨) فى الأصل : « وذكره » ، وهذه صيغة ابن الأثير .

يبشر به » ، قالوا : « وما هى ؟ » قال : « كان إذا وصفه قال : فى فيه إصبع » . فبلغ ذلك أبا عبد الله ، فتبسم وقال : « هذا لا يكون » ، فلما أخذ العهد بعد ذلك على من سمع هـذا القول ، واشترط عليه الـكتمان ، وضع إصبعه على فيه ، وقال : « هذا هو الإصبع الذى كان يقوله الحلوانى أمركم بالصمت والـكتمان ، فأما أن يكون فى فم رجل إصبع ، فلا » . قالوا : « كذاك والله هو[1] » .

وتفرقت[2] البربر[3] وكتامة بسببه ، وأراد بعضهم قتله فاختفى ، ووقع بينهم قتال شديد ، واتصل الخبر بالحسن[4] بن هارون [وهو] من أكابر كتامة ، فأخذ أبا عبد الله إليه ، ودافع عنه ، ومضى به[5] إلى مدينة تاصروت ، فأتته القبائل من كل مكان وعظم شأنه ، وصارت الرياسة للحسن ابن هارون ، وسلّم إليه أبو عبد الله أعنة الخيل ، وظهر من الاستتار ، وشهد الحروب ، فكان الظفر له [فيها] وغنم الأموال ، وخندق على مدينـة تاصروت[6] ، وقد زحفت إليه قبائل المغرب ، واقتتلوا عدة مرار كان له فيها الظفر[7] ، وصارت إليه أموالهم ، فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة .

---

(١) هذه الفقرة غير موجودة فى ابن الأثير ، وإنما هى من كلام المؤلف .

(٢) بهذا اللفظ يبـدأ المقريزى النقل من جديد عن : (الـكامل لابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٣) .

(٣) هكذا فى ابن الأثير ، وهى فى الأصل : « البرابر » .

(٤) فى ابن الأثير : « بإنسان اسمه الحسن » .

(٥) فى (ابن الأثير) : « ومضيا إلى » .

(٦) فى ابن الأثير : « وانتقل إلى مدينة ناصرون وخندق عليهـا فزحفت » ، وهذه صيغة الأصل .

(٧) فى ابن الأثير : « واقتتلوا ثم اصطلحوا ، ثم أعادوا القتال وكان بينهم وقائع كثيرة ظفر بهم ، وصارت . . الخ » وما هنا صيغة الأصل .

[فلما تم لأبى عبد الله ذلك[(١)]] زحف إلى مدينة مِيلَة ، [فجاء منها رجل اسمه الحسن بن أحمد ، فأطلعه على عورة البلد[(١)]] فقاتل أهلها[(٢)] قتالا شديدا وأخذ الأرباض ، [فطلبوا منه الأمان ، فأمنهم ، ودخل مدينة مِيلَة ، و بلغ الخبر أمير إفريقية وهو يومئذ إبراهيم بن الأغلب[(٣)]] فبعث إليه ابنـه الأحول فى اثنى عشر ألفاً ، وأتبعه بمثلهم[(٤)] [فالتقيا فاقتتل العسكران ، فانهزم أبو عبد الله ، وكثر القتل فى أصحابه[(٥)]] ، وتبعه الأحول ، فحال بينهما الثلج ولحق[(٦)] أبو عبد الله بجبل إيكجان ، وملك الأحول مدينة تاصروت[(٧)] ، وأحرقها ، وأحرق مدينة مِيلَة[(٨)] ، فبنى أبو عبد الله دار هجرة با يكجان ، وقصده أصحابه ، وعاد الأحول إلى إفريقية . ومات[(٩)] إبراهيم بن الأغلب ، وقُتل ابنه أبو العباس ، وولى زيادة الله بن الأغلب ، واشتغل باللهو واللعب ، فاشتد سرور أبى عبد الله ، ثم إن أبا مضر زيادة الله قتل الأحول[(٩)] ، فانتشرت حينئذ جيوش أبى عبد الله فى البلاد ، وصار

---

(١) الزيادات عن : (الـكامل لابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٣) .

(٢) فى ابن الأثير : « أهله » .

(٣) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير ، وصيغة الأصل : « ثم ملك البلد بأمان فبعث . . » .

(٤) فى ابن الأثير : « وتبعه مثلهم » .

(٥) فى الأصل : « فالتقا مع أبى عبد الله فانهزم عبد الله وقتل كثير من أصحابه » ، وما بين الحاصرتين صيغة ابن الأثير وهى أوضح .

(٦) فى ابن الأثير : « وسقط ثلج عظيم حال بينهم وسار أبو عبد الله » .

(٧) فى ابن الأثير : « فوصل الأحوالى الى مدينة . . » .

(٨) فى ابن الأثير بعد هذا اللفظ : « ولم يجد بها أحدا فبنى . . » .

(٩) هذه الفقرة موجز لما فى ابن الأثير ، وصيغة ابن الأثير أكثر إيضاحا وتفصيلا ، انظر : (ج ٨ ، ص ١٣) .

[أبو عبد الله] يقول : « المهدى يخرج فى هـذه الأيام ، ويملك الأرض فياطوبى لمن هاجر إلىّ وأطاعنى » ، وأخذ يغرى الناس بزيادة الله ويعيبه ، وكان أكثر[1] من عند زيادة الله من الوزراء شيعة ، فلم يكن يسوؤهم ظفر أبى عبد الله ، خصوصا وقد كان يذكر لهم من كرامات المهدى ، وأنه يحيى الموتى ، ويرد الشمس [من مغربها] ، ويملك الأرض بأسرها ، وهو مع ذلك يبعث إلى الوزراء ويعدهم[2] ، وبعث أبو عبد الله برجال .

---

(١) فى ابن الأثير : « وكان كل » .

(٢) تختلف هذه الفقرة الأخيرة مع مثيلتها فى ابن الأثير فى بعض الألفاظ ولـكنهما تتفقان فى المعنى . ويلى ذلك فى : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٣ — ١٤) نحو الصفحة سبق أن نقلها المؤلف فى كتابه هذا عند كلامه عن « ابتداء الدولة العلوية بأفريقية » ، انظر ما سلف ، ص ٧٤ وما بعدها .

(١٥ ب) ذكر خروج عبيد الله المهدى

إلى المغرب

وكان من خبر ذلك أن أبا عبد الله سيَّر إلى عبيد الله رجالا [١] من كتامة [٢] يخبرونه بما فتح الله عليه، وأنهم ينتظرونه، فوافوه بسلمية من أرض حمص؛ وقد كان اشتهر خبر عبيد الله عند الناس، فطلبه المكتفى، ففر من سلمية، ومعه ابنه أبو القاسم نزار الذى قام بالأمر من بعده [٣]، وخرج معهما [٤] مواليه [٥]؛ فلما انتهى إلى مصر أقام مستترا بزى التجار، فأتت الكتب إلى عيسى النوشرى — أمير مصر — من المعتضد بالله العباسى بصفة عبيد الله وحليته، وأنه يأخذ عليه الطرق، ويقبضه وكل من يشبهه، فلما قرئت الكتب كان فى المجلس ابن المدبر الكاتب، فبلّغ عبيد الله [٦]، فسار من مصر مع أصحابه ومعه أموال كثيرة، فأوسع فى النفقة على من صحبه، وفرّق النوشرى الأعوان فى طلب عبيد الله، وخرج بنفسه

(١) بهذا اللفظ يستأنف المقريزى النقل عن ابن الأثير، انظر: (ج ٨، ص ١٤).

(٢) فى ابن الأثير بين هذين اللفظين هاتان الكلمتان: « من الغرب ».

(٣) فى: (الكامل لابن الأثير، ج ٨، ص ١٤) بعد هذا اللفظ الجملة الآتية: « .. وتلقب بالقائم، وهو يومئذ غلام، وخرج .. ».

(٤) فى ابن الأثير: « معه خاصته ومواليه ».

(٥) فى ابن الأثير بين هذين اللفظين ما يلى: « يريد المغرب، وذلك أيام زيادة الله فلما .. ».

(٦) المقريزى يلخص هنا عن ابن الأثير، ولكن الصيغتين تختلفان فى اللفظ إيجازا وإطنابا، وتقديما وتأخيرا.

[فلحقه(١)] ، فلما رآه لم يشك فيه ، وقبض عليه ، ووكل به وقد نزل فى بستان ، ثم استدعاه ليأكل معـه ، فأعلمه أنه صائم ، فرقّ له ، وقال [له(١)] : «أعلمنى حقيقة حالك حتى أطلقك» ، فخوّفه الله تعالى ، وأنكر حاله ، وما زال(٢) [يخوفه(١)] ويتلطف به حتى أطلقه وخلّى سبيله ، وأراد أن يرسل معه من يوصله إلى رفقته ، فقال : « لا حاجة لى إلى ذلك » ، ودعا له .

وقيل : إنه أعطاه مالاً فى الباطن [حتى أطلقه] ، فرجع بعض أصحاب النوشرى عليه باللوم ؛ فندم على إطلاقه وأراد أن يبعث الجيش وراءه ليرده ، وكان عبيد الله قد لحق بأصحابه فإذا ابنه أبو القاسم قد ضيّع كلباً كان يصيد به ، وهو يبكى عليه ، فعرّفه عبيده أنهم تركوه فى البستان الذى كانوا فيه ، فرجع عبيد الله بسبب الكلب حتى دخل البستان — ومعه عبيده — فلما رآه النوشرى سأل عن خبره ، فقيل إنه [فلان و(٣)] قد عاد بسبب كلب لولده ، فقال النوشرى لأصحابه : « قبّحكم الله ، أردتم أن تحملونى على [قتل(٣)] هذا الرجل حتى آخذه ، فلو كان يطلب ما يُقال ، أو لو كان مريباً لكان يطوى المراحل ، ويخفى نفسه ، ولا كان يرجع فى طلب كلب(٤) » ، وتركه ولم يعرض له . فسار عبيد الله وخرج عليـه عدة من

---

(١) الزيادات عن ابن الأثير .

(٢) فى ابن الأثير : « ولم يزل » .

(٣) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير .

(٤) من النصوص الإسماعيلية الهامة التى نشرها المستشرق الكبير ايڤانوف نص هام يتحدث عن رحلة المهدى من الشام إلى المغرب ، ومؤلف هذا النص هو محمد بن محمد اليمانى ، وعنوانه « سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى من سلمية ووصوله =

اللصوص (١) بموضع يقال له : « الطاحونة » ، فأخذوا بعض متاعه ، ومنه كتب وملاحم كانت لآبائه فعظم أمرها عليه (٢) ؛ فيُقال إنه لما خرج ابنه أبو القاسم — فى المرة الأولى — إلى الديار المصرية أخذها من ذلك المكان .

ثم إن عبيد الله انتهى هو وولده إلى مدينة طرابلس ، ففارق (٣) التجار ، وكان فى صحبته أبو العباس أخو أبى عبد الله ، فقدمه عبيد الله إلى القيروان ، فسار إليها فوجد (٤) خبر عبيد الله قد سبقه إلى زيادة الله بن الأغلب (٥) ، فقبض على أبى العباس وقرره ، فأنكر وقال : « أنا رجل تاجر صحبت رجلا فى القَفْل » ، فحُبس ، و بلغ الخبر إلى عبيد الله فسار إلى قسنطينية (٦) ، ووصل كتاب زيادة الله إلى عامل طرابلس بأخذ (١٦ ا) عبيد الله ،

= إلى سجلماسة » وقد نشر هذا النص فى مجلة كاية الآداب بجامعة فؤاد الأول — ديسمبر ١٩٣٦ — وقد وردت فيه قصة القائم مع الكلب ولكن على أنها حدثت فى الطريق من دمشق إلى الرملة — لا بعد خروج المهدى من مصر كما ذكر هنا — انظر هذا المرجع ص ١١١ .

(١) فى ابن الأثير : « وجدّ المهدى فى الهرب فلحقه لصوص » .

(٢) ذكرت هذه الحادثة فى سيرة جعفر فى صيغة مخالفة هذا نصها : « قال جعفر : ثم جرى على الإمام فى طريقه مع القافلة عند خروجه من مصر وعند وصوله إلى الطاحونة من البربر من أخذ بعض رحله بعد أن نهبت القافلة وكتب للمهدى ع م فيها علوم كثيرة ، فكان أسفه عليها أشد من أسفه على غيرها مما ضاع له ، إلى أن جمعها الله عز وجل وقت خروج القائم إلى مصر فى السفرة الأولى . . » انظر : (سيرة جعفر ، مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، ديسمبر ١٩٣٦ ، ص ١١٥ — ١١٦) .

(٣) فى (الكامل لابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٥) : « ففارق صحبه من التجار » .

(٤) فى ابن الأثير : « . . إلى القيروان ببعض ما معه ، وأمره أن يلحق بكتامة ، فلما وصل أبو العباس إلى القيروان وجد خبر . . » .

(٥) فى ابن الأثير بين هذين اللفظين الجملة الآتية : « . . فسأل عنه رفقته فأخبروا أنه تخلف بطرابلس ، وأن صاحبه أبا العباس بالقيروان » .

(٦) فى ابن الأثير : « فحبسه ، وسمع المهدى فسار إلى قسطيلة » .

[وكان المهدى قد أهدى له ، واجتمع به ، فكتب العامل يخبره أنه قد سار ولم يدركه[(١)]] .

ووافى عبيد الله قسطنطينة فلم يقصد أبا عبد الله لأن أخاه أبا العباس كان قد أُخذ ، [فعلم أنه إذا قصد أخاه تحققوا الأمر وقتلوه ، فتركه[(١)]] وسار إلى سجلماسة ، فوافت الرسل فى طلبه وقد سار فلم يوجد ، ووصل إلى سجلماسة فأقام بها وقد أقيمت له المراصد بالطرقات .

وكان على سجلماسة اليسع بن مدرار ، فأهدى إليه عبيد الله وواصله ، فقرّبه اليسع وأحبه ، فأتاه كتاب زيادة الله يعرّفه أن الرجل الذى يدعو إليه أبو عبد الله الشيعى عنده فلم يجد بداً من أن قبض على عبيد الله وحبسه .

وأخذ زيادة الله فى جمع[(٢)] العساكر[(٣)] ، فقدّم [عليهم[(٤)]] إبراهيم ابن حنبش[(٥)] [وهو[(٤)]] من أقاربه على[(٦)] أربعين ألفاً ، وسلّم إليه الأموال والعدد[(٧)] ، وسار وقد انضاف إليه مثل جيشه ، فنزل بمدينة

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادات إيضاحية عن ابن الأثير .

(٢) فى الأصل : « جميع » والتصحيح عن ابن الأثير .

(٣) فى ابن الأثير بين هذين اللفظين : « وبذل الأموال فاجتمعت إليه عساكر عظيمة » .

(٤) الزيادات عن : (الكامل لابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٥) .

(٥) فى ابن الأثير : « خنيش » .

(٦) كذا فى الأصل ، وفى ابن الأثير : « .. أقاربه وكان لايعرف الحرب فبلغت عدة جيشه أربعين ألفا » .

(٧) بين هذين اللفظين فى ابن الأثير : « ولم يترك بإفريقية شجاعا إلا أخرجه معه » .

قُسَنْطِينِية (١) ، وأتاه كثير من كتامة الذين لم يطيعوا أبا عبد الله ، وقتل في طريقه خلقاً كثيراً من أصحاب أبي عبد الله هذا ، وأبو عبد الله متحصن بالجبل ، فأقام إبراهيم بقسنطينية ستة أشهر ، فلما رأى [إبراهيم] أن أبا عبد الله لا يتقدم إليه [بادر و (٢)] زحف بعساكره [المجتمعة إلى بلد اسمه كرمة (٢)] . فأخرج إليه أبو عبد الله خيلاً ، فلما رآها إبراهيم قصد إليها بنفسه ، والأثقال على ظهور الدواب لم تُحْصَ ، فقاتلهم قتالا كبيرا (٣) ، وأدركهم أبو عبد الله ، فانهزم إبراهيم بمن معه وجُرح ، فغنم أبو عبد الله جميع ما معهم ، وقتل منهم خلقا كثيرا (٣) ، فصار إبراهيم إلى القيروان ، وعظم أمر أبي عبد الله واستقرت دولته .

وكتب [أبو عبد الله] كتاباً إلى عبيد الله — وهو بسجن سجلماسة — يبشره ، وسيَّر الكتابَ مع بعض ثقاته ، فدخل عليه السجن في زيٍّ قصّاب يبيع اللحم ، فاجتمع به ، وعرّفه [ذلك] .

ونازل أبو عبد الله عدة مدائن (٤) فأخذها بالسيف ، وضايق زيادة الله ، فحشد وجمع عساكره ، وبعث إليه هارون الطبني في خلق كثير ، فقُتل

---

(١) في ابن الأثير : « فلما وصل قسطينة الهواء وهي مدينة قديمة حصينة نزل بها ، وأتاه . . » وقد رسم اسم المدينة في الأصل هكذا : قسطنطينية » والصحيح ما ذكرناه أو « قسطينة » ، وقد عرفها ياقوت في معجم البلدان بأنها « قلعة كبيرة جدا حصينة عالية ، وهي من حدود إفريقية مما يلي المغرب . . وإليها ينتهي رحيل عرب إفريقية مغربين في طلب الكلأ ، . وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن » .

(٢) الزيادات عن : (الكامل لابن الأثير ، ج ٨ ؛ ص ١٥) .

(٣) هذه الفقرة موجز لما في ابن الأثير ، وهي هناك أكثر تفصيلا .

(٤) هذه الجملة موجز مختصر لما يزيد عن صفحة في ابن الأثير (ج ٨ ، ص ١٦) وهناك تفصيل واف جدا ذكرت فيه هذه المدائن وكيف أخذت .

هارون فى خلائق لا تحصى ؛ فاشتد الأمر على زيادة الله ، وخرج بنفسه ، فوصل إلى « الأرْبُس » فى سنة خمس وتسعين ومائتين ، وسيّر جيشا مع ابن عمه إبراهيم بن[1] الأغلب .

واشتغل زيادة الله بلهوه ولعبه ، وأبو عبد الله يأخذ المدائن شيئا بعد شىء — عنوةً وصلحاً — فأخذ « مَجّانَة[2] » و « تِيفاَش[3] » و « مسكيانة » و « تَبِسَّة[4] » ، وسار إلى إبراهيم فقتل من أصحابه ، وعاد إلى جبل « إيكجان » .

فلما دخل فصل الربيع وطاب الزمان جمع أبو عبد الله عساكره فبلغت مائتى ألف فارس وراجل ، وجمع زيادة الله ما لا يحصى[5] ، وسار أول جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين ، فالتقوا مع أبى عبدالله ، واقتتلوا أشد قتال ، وطال زمنه ، وظهر أصحاب (١٦ ب) زيادة الله ، ثم[6] إن أبا عبد الله كادهم بخيل بعثها من خلفهم ، فانهزم أصحاب زيادة الله ، وأوقع

---

(١) فى الأصل : (بن أبى الأغلب) .

(٢) عرفها ياقوت فى معجم البلدان بأنها : « بلد بإفريقية ، فتحه بُسْرُ بن أرطاة ، وهى تسمى قلعة بسر ، وبها زعفران كثير ومعادن حديد وفضة ، بينها وبين القيروان خمس مراحل » .

(٣) لم يعرفها ياقوت بأكثر من قوله « مدينة أزلية بإفريقية شامخة البناء » . وذكر المقريزى فى (جنى الأزهار ، ص ٢١ ب) أنها « على ست مراحل من بجاية » .

(٤) ذكر ياقوت أنها : « بلد مشهور من أرض إفريقية ، بينه وبين قفصة ست مراحل فى قفر سبيبة ، وهو بلد قديم به آثار الملوك وقد خرب الآن أكثرها » .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى : (الكامل لابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٧) : « واجتمع من عساكر زيادة الله بالأربس مع إبراهيم مالا يحصى » :

(٦) وهنا أيضا يوجز المقريزى فى نقله عن ابن الأثير . أنظر (ج ٨ ، ص ١٧) .

فيهم القتل ، وغنم أموالهم ، وكان ذلك فى آخر جمادى الآخرة ، ففر زيادة الله إلى ديار مصر (١) . فدخل إبراهيم بن الأغلب (٢) إلى القيروان ، فقصد قصر الإمارة ، ونادى بالأمان ، وتسكين الناس ، وذكر زيادة الله وذمَّه وصغَّر أمر أبى عبد الله ، ووعد الناس بقتاله ، وطلب منهم الأموال ، فقالوا : « إنما نحن فقهاء وعامة وتجار ، وما فى أموالنا ما يبلغ غرضك » ، ثم إنهم ثاروا به ورجموه ، فخرج عنهم .

ودخل أبو عبد الله إلى مدينة رقادة فأمّن الناس ومنع من النهب ، وخرج الفقهاء ووجوه أهل القيروان إلى لقاء أبى عبد الله (٣) ، وسلَّموا عليه ، وهنوه بالفتح ، فرد عليهم رداً حسناً ، وأمَّنهم ، وقد أعجبوا به وسرهم ، فأخذوا فى ذم زيادة الله وذكر مساوئه ، فقال لهم : « ما كان إلا قويا ، وله منعة ودولة شامخة ، وما قصّر فى مدافعته ، ولكن أمر الله لا يعاند ولا يدافع » ، فأمسكوا عن الكلام ، [ورجعوا إلى القيروان (٤)] ، وكان دخول أبى عبد الله رقادة يوم السبت مستهل رجب [من] سنة ست وتسعين ومائتين ، فنزل ببعض قصورها ، وفرَّق دورها على كتامة ، [ولم يكن بقى أحد من أهلها فيها ، وأمر فنودى (٤)] بالأمان ، فرجع الناس إلى أوطانهم ، وأخرج العمال إلى البلاد ، وطلب أهل الشر فقتلهم ، وأمر بجمع ما كان

---

(١) وهنا أيضا يوجز المقريزى فى نقله عن ابن الأثير ، انظر : (ج ٨ ، ص ١٧) .

(٢) فى الأصل : « إبراهيم بن أبى الأغلب » .

(٣) وهنا أيضا يوجز المقريزى فى نقله عن ابن الأثير ، انظر التفصيل هناك ففيه زيادات إيضاحية .

(٤) الزيادات عن : (الكامل لابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٨) .

لزيادة الله من الأموال والسلاح ، وغيره ، فاجتمع منه كثير ، وكان له عدة من الجوارى لهن[مقدار[1]] وحظ من الجمال ، [فسأل عمن كان يكفلهن ، فذُكر له امرأة صالحة كانت لزيادة الله ، فأحضرها وأحسن إليها ، وأمرها بحفظهن[1]] ولم ينظر إلى واحدة منهن ، وأمر لهن بما يصلحهن .

فلما كان يوم الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورقادة ، فخطبوا ولم يذكروا أحداً ؛ وأمر بضرب السكة[2] ، وأن لا ينقش عليها اسم ، و[لكنه[1]] جعل[مكان الاسم من وجه[3]] : « بلغت حجة الله » ، و[من الوجه] الآخر « تفرق أعداء الله » ؛ ونقش على السلاح : « عدة فى سبيل الله » ؛ ووسم الخيل على أفخاذها : « الملك لله » . وأقام على ما كان عليه من لِبْس الخشن الدون ، والقليل من الطعام الغليظ .

ولما استقرت الأمور لأبى عبد الله فى رقادة وسائر بلاد إفريقية أتاه أخوه أبو العباس أحمد[4] المخطوم ، ففرح به ، وكان هو الكبير .

---

(١) الزيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٨) .

(٢) عرف الماوردى (الأحكام السلطانية ، ص ١٤٩) السكة بأنها « الحديدة التى يطبع عليها الدراهم ، ولذلك سميت الدراهم المضروبة سكة » ، وقد شرح المقريزى (الأوزان والأكيال الشرعية — Tychsen — ص ٨٦) السكة بأن « الدينار والدرهم المضروبين سمى كل منهما سكة لأنه طبع بالحديدة المعلمة ، ويقال لها السكة ، وكل مسمار عند العرب سكة » ؛ انظر أيضا : (المقريزى ، إغاثة الأمة ، ص ٥٥ ، حاشية ١ ، ص ٦٠ ، ٦١) .

(٣) فى الأصل : « وجعل فى الوجه الواحد .. الخ » وهذه صيغة ابن الأثير .

(٤) فى ابن الأثير : « محمد » . وفى سيرة الحاجب جعفر : « أبو العباس محمد ابن أحمد » . انظر مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، ديسمبر ١٩٣٦ ، ص ١١٦ ، ١٢١ .

ذكر ظهور عبيد الله المهدى من سجلماسة(١)

وذلك أن أبا عبد الله الشيعى لما دخل شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائتين سار من رقادة — وقد استخلف أخاه أبا العباس [وأبا زاكى(٢)] على إفريقية — فى جيوش عظيمة ، فاهتز المغرب لخروجه ، وخافته زناتة ، وزالت القبائل عن طريقه ، وأتته(٣) رسلهم ، ودخلوا فى طاعته .

فلما قرب من سجلماسة بعث اليسعُ بن مدرار — صاحبها — إلى (١٧ ا) عبيد الله(٤) — وهو فى حبسه — يسأله عن نسبه وحاله ، وهل أبو عبد الله قصد إليـه ، فحلف له [المهدى(٥)] أنه ما رأى أبا عبد الله [ولا عرفه(٥)] ، و[قال] : « إنما أنا رجل تاجر » ؛ فأفرده معتقلا فى دار وحده ، وأفرد ابنه أيضا ، وجعل عليهما الحرس ، وقرّر ولده ثما حال عن كلام أبيه ، وقرّر رجالا كانوا معه وضربهم فلم يقروا بشىء(٦) .

وبلغ ذلك أبا عبد الله فشقّ عليه ، وأرسل إلى اليسع يتلطف به(٧) ،

---

(١) ذكر هـذا الفصل فى : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٨ وما بعدها) تحت عنوان آخر ، هو : « ذكر مسير أبى عبد الله إلى سجلماسة وظهور المهدى » .

(٢) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٨) .

(٣) فى ابن الأثير : « وجاءته » .

(٤) فى ابن الأثير : « فلما قرب من سجلماسة وانتهى خبره إلى اليسع بن مدرار أمير سجلماسة أرسل إلى المهدى وهو فى حبسه .. » وظاهر من المقارنة أن المقريزى يلتزم المعنى ولـكنه يغير فى اللفظ قليلا عند نقله عن ابن الأثير .

(٥) الزيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٨) .

(٦) فى (سيرة الحاجب جعفر ، ص ١٢٤ — ١٢٩) تفصيل واف لطيف لحوادث سجلماسة إبان سجن عبيد الله وابنه بها وحصار أبى عبد الله لها .

(٧) فى ابن الأثير : « يتلطفه » .

وأنه لم يقصده للحرب ، وإنما له حاجة مهمة عنده ، [ووعده الجميل[١]] ، فرمى الكتب ، وقتل الرسل ، فعاوده بالملاطفة خوفا على عبيد الله[٢] ، ولم يذكره ، فقتل [الرسل أيضا[٣]] ، فأسرع أبو عبد الله فى السير ، ونزل عليه ، فخرج إليه اليسع ، وقاتله يومه كله[٤] ، [وافترقوا[٥]] ، فلما جنّه الليل فرّ فى أصحابه من أهله وبنى عمه ، وبات أبو عبد الله [ومَنْ[٥]] معه فى غم عظيم خوفا على عبيد الله[٦] .

فلما أصبح خرج إليه أهل البلد ، وأعلموه بهرب اليسع ، فدخل هو وأصحابه البلد ، وأتوا[٧] مكان عبيد الله فأخرجوه وأخرجوا ابنه[٧] — فى يوم الأحد لسبع خلون من ذى الحجة سنة ست وتسعين ومائتين[٨] — ، وقد انتشر فى الناس سرور عظيم كادت تذهب منه عقولهم ؛ فأركبهما أبو عبد الله ، ومشى هو ورؤساء القبائل بين أيديهما ، وأبو عبد الله يقول للناس : « هذا مولاكم » ، وهو يبكى من شدة الفرح ، حتى وصل إلى

---

(١) الزيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٨) .

(٢) فى ابن الأثير : « المهدى » وهكذا اعتاد أن يسميه ، غير أن المقريزى دأب عند النقل عنه أن يبدل لفظ « المهدى » فيجعله « عبيد الله » .

(٣) فى الأصل : « فقتل الرسول ثانيا » ، وما هنا صيغة ابن الأثير .

(٤) فى ابن الأثير : « يومه ذلك » .

(٥) الزيادات عن . (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٩) .

(٦) مكان هذه الجملة فى ابن الأثير : « لا يعلمون ما صنع بالمهدى وولده » .

(٧) فى ابن الأثير : « وأتوا المكان الذى فيه المهدى فاستخرجه واستخرج ولده » .

(٨) هذه الجملة غير موجودة فى ابن الأثير .

فسطاط ضرب له فنزل فيه ، وبعث الخيل فى طلب اليسع فأُدرك[1] ، وأُخذ فضُرب بالسياط وقُتل .

وأقام عبيد الله المهدى بسجلماسة[2] أربعين يوما ثم سار إلى إفريقية ، وأحضر الأموال من إيكجان فجعلها أحمالاً ، وصار بها إلى رقادة فى العشر الأخير[3] من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين[4] .

وزال مُلْك بنى الأغلب من إفريقية ومُلْكُ بنى مدرار [الذين منهم اليسع ، وكان لهم ثلاثون ومائة سنة منفردين بسجلماسة[5] ، وَمُلْكُ بنى رستم[6] من تاهرت[7] ،] ولهم ستون ومائة سنة تفردوا

---

(١) فى ابن الأثير : « وأمر بطلب اليسع فطلب فأدرك .. » .

(٢) فى ابن الأثير : « فلما ظهر المهدى أقام بسجلماسة ... إلخ » .

(٣) فى ابن الأثير : « ووصل إلى رقادة العشر الأخير .. » .

(٤) انظر أيضا تفاصيل رحلة المهدى من الشام إلى شمال إفريقية إلى أن نجحت الدعوة وبدأت الدولة فيما رواه القاضى النعمان فى رسالته « افتتاح الدعوة » ؛ نشر النص العربى أخيراً الأستاذ ايفانوف فى كتابه « Rise of the Fatimids. P. 40 — 46 » والشبه كبير بين النصين فى المعنى ، بل وفى اللفظ أحيانا مما يرجح أن تكون رسالة القاضى النعمان هى الأصل الذى نقلت عنه المراجع الأخرى فيما بعد ومما يجعل لافتتاح الدعوة أهمية خاصة أن مؤلفها — القاضى النعمان — مغربى ، وأنه اتصل بخدمة الخليفة الفاطمى الأول — المهدى — سنة ٣١٣ ، وأنه انتهى من كتابة رسالته سنة ٣٤٦ .

(٥) فى الأصل : « من سجلماسة » ، وما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٩) وقد آثرناه لما به من تفصيل لإيضاحى .

(٦) بنو رستم ينسبون إلى عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن شابور وقد حكموا تاهرت من سنة ١٦٠ إلى سنة ٢٩٤ ، ودولتهم خارجية إباضية ، انظر : .Zamb) (de Goeje Jaqubi. p. 101 و Op. Cit. P. 64) .

(٧) قال ياقوت : تاهرت اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب ، يقال لإحديهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة بين تلمسان وقلعة بنى حماد ؛ وقال اليعقوبى . وتاهرت مدينة جليلة المقدار ، عظيمة الأمر ، تسمى عراق المغرب ، بها أخلاط من =

بتاهرت[١]] ؛ ومَلَكَ المهدى جميع ذلك ، فلما قرب من رقادة تلقاه أهلها وأهل القيروان — وأبوعبد الله ورؤساء كتامة مشاة بين يديه وولده خلفه — فسلموا عليه ، فردّ جميلا ، وأمرهم بالانصراف ، ونزل بقصر من قصور رقادة .

وأمر يوم الجمعة أن يذكر [اسمه[١]] فى الخطبة ، وتلقب[٢] بالمهدى أمير المؤمنين فى جميع البلاد . فلما كان بعد صلاة الجمعة جلس رجل يُعرف بالشريف — ومعه الدعاة — وأحضروا الناس [بالعنف والشدة[١]] ودعوهم إلى مذهبهم [فمن أجاب أُحسن إليه ، ومن أبى حُبس ، فلم يدخل فى مذهبهم إلا بعض الناس ، وهم قليل ، وقُتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم[٣]] .

وعرض المهدى[٤] جوارى زيادة الله فاختار منهن [كثيرا[٥]] لنفسه ولولده [أيضا[٥]] ، وفرّق ما بقى على وجوه كتامة ، وقسّم عليهم أعمال إفريقية ، ودوّن (١٧ ب) الدواوين ، وجبى الأموال ، واستقرت

= الناس ، تغلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد من أولاد عبد الرحمن بن رستم الفارسى ، كان يتولى إفريقية ، وصار ولده إلى تاهرت ، فصاروا رأس الإباضية بالمغرب . . إلخ ؛ انظر أيضا : (ابن حوقل) ؛ وقال على بهجت بك (قاموس الأمكنة والبقاع ، ص ٧١) : ولا تزال مدينة تاهرت قائمة ليومنا هذا وهى إحدى موانى الجزائر تابعة لولاية وهران وتبعد عن مدينة وهران بنحو ٢٢٠ كيلو مترا .

(١) الزيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٩) .

(٢) فى الأصل : « ويلقب » ، والتصحيح عن ابن الأثير .

(٣) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير ، ومكان هذه الفقرة فى الأصل ثلاث كلمات فقط وهى : « وقتل من لم يوافق » .

(٤) فى ابن الأثير : « وعرض عليه أبو عبد الله جوارى . . إلخ » .

(٥) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير .

قدمه ، ودانت له أهل البلاد ، واستعمل العمال عليها [جميعا فاستعمل على جزيرة صقلية الحسن بن أحمد بن أبى خنزير ، فوصل إلى مَازَر(١) عاشر ذى الحجة سنة سبع وتسعين ومائتين ، فولى أخاه على جرجنت ، وجعل قاضيا بصقلية إسحاق بن المنهال — وهو أول قاضٍ تولى بها للمهدى العلوى — ، وبقى ابن أبى خنزير إلى سنة ثمان وتسعين ، فسار فى عسكره إلى دمنّش(٢) ، فغنم وسبى وأحرق ، وعاد فبقى مدة يسيرة ، وأساء السيرة فى أهلها ، فثاروا به ، وأخذوه وحبسوه ، وكتبوا إلى المهدى بذلك ، واعتذروا فقبل عذرهم ، واستعمل عليهم على بن عمر البلوى(٣) ، فوصل آخر ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين(٤)] .

ذكر قتل أبى عبد الله الشيعى [وأخيه أبى العباس(٥)]

[فى سنة ثمان وتسعين ومائتين قُتل أبو عبد الله الشيعى ، قتله المهدى عبيد الله ، وسبب ذلك(٦)] أن المهدى لما استقامت له البلاد ، [ودانت

---

(١) لم يُعرفها ياقوت بأكثر من قوله : « مدينة بصقلية » .

(٢) عرفها ياقوت بقوله : « من مدن صقلية على البحر » . انظر أيضا : (أمارى ، المكتبة الصقلية ، ص ٣٢ ، ١١٢ ، ١٢٩ ، ١٥٧ ، ٢٤٢ إلخ) .

(٣) انظر أيضا ثبت ولاة الفاطميين على صقلية فى : (Zambaur. Op. Cit. P. 67.)

(٤) ما بين الحاصرتين زيادات تفصيلية عن ابن الأثير ، أسقطها المقريزى عند النقل ، وجعل ختام الفصل فى كتابه لفظ « عليها » ، وقد آثرنا إثباتها لما لها من فائدة عند دراسة علاقة الفاطميين بصقلية .

(٥) هكذا ورد العنوان فى ابن الأثير ، غير أن المقريزى أسقط ما بين الحاصرتين عند النقل .

(٦) هكذا بدأ ابن الأثير هذا الفصل (ج ٨ ، ص ١٩) ، وقد أوجز المقريزى — عند النقل — هذه الفقرة ، فقال : « وكان سبب قتله أن المهدى . . إلخ » .

له العباد ، و (١)] باشر الأمور بنفسه ، وكفّ يد أبى عبد الله ويدَ أخيه أبى العباس ، داخل أبا العباس الحسد ، وعظم عليه الفطامُ عن الأمر والنهى ، والأخذ والعطاء . فأقبل يزرى على المهدى فى مجلس أخيه ، ويتكلم فيه وأخوه ينهاه ، فلا يزيده ذلك إلا لجاجا ، [ثم إنه أظهر أبا عبد الله على ما فى نفسه (٢)] ، وقال له : « ملكتَ أمراً فجئتَ بمن أزالك عنه ، وكان الواجب عليه ألا يُسقط حقك » . وما زال به حتى أثر فى قلب أبى عبد الله فقال [يوما] للمهدى : « لو كنت تجلس فى قصرك وتتركنى مع كتامة آمرهم وأنهاهم لأنى عارف بعاداتهم لكان ذلك أهيب لك فى أعين الناس » .

وكان قد بلغ المهدى ما يجهر به أبو العباس (٣) ، [فتحقق ذلك غير أنه (٤)] ردّ رداً لطيفا ، وأسرّ ذلك فى نفسه وأخذ أبو العباس يُسرّ إلى المقدمين بما فى نفسه ، ويقول : « ما جازاكم على ما فعلتم ، بل أخذ هو الأموال من إيكجان ولم يقسمها فيكم ، وكل ذلك يبلغ المهدى وهو يتغافل ، [وأبو عبد الله يدارى (٥)] ، فزاد أبو العباس فى القول حتى قال : « إن هذا ليس بالذى كنا نعتقد طاعته ، وندعو إليه ، لأن المهدى [يختم بالحجة (٦)] ، ويأتى بالآيات الباهرة » ؛ فأثَّر قوله فى قلوب (٧) كثير من الناس ، [منهم

---

(١) الزيادات عن ابن الأثير .

(٢) فى الأصل : « فلام أخاه » ، وما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٠) .

(٣) فى ابن الأثير : « وكان المهدى سمع شيئا مما يجرى بين أبى عبد الله وأخيه » .

(٤) فى الأصل : « فرد رداً لطيفا » وما بين الحاصرتين زيادات عن ابن الأثير .

(٥) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٠) .

(٦) الزيادة عن ابن الأثير .

(٧) فى ابن الأثير : « فأخذ قوله بقلوب .. » .

إنسان من كتامة يقال له « شيخ المشايخ » ، فواجه المهدى بذلك وقال له[(١)] : « إن كنتَ المهدى فاظهر لنا آية فقد شككنا فيك » ، فقتله المهدى ، [فخافه[(٢)]] أبو عبد الله ، وعلم أن المهدى قد تغيّر عليه ، فاتفق [هو وأخوه ومَنْ معهما على الاجتماع عند أبى زاكى ، وعزموا على قتل المهدى ، واجتمع معهم قبائل كتامة إلا قليلا منهم ، وكان معهم رجل يظهر أنه منهم ، وينقل ما يجرى إلى المهدى ، ودخلوا عليه مراراً فلم يجسروا على قتله ، فاتفق أنهم اجتمعوا ليلة عند أبى زاكى ، فلما أصبحوا لبس أبو عبد الله ثوبه مقلوبا ودخل على المهدى فرأى ثوبه فلم يعرفه به ، ثم دخل عليه ثلاثة أيام والقميص بحاله ، فقال له المهدى : ما هذا الأمر الذى أذهلك عن إصلاح ثوبك ، فهو مقلوب منذ ثلاثة أيام ، فعلمت أنك ما نزعته » فقال : « ما علمت بذلك إلا ساعتى هذه » ، قال : « أين كنت البارحة والليالى قبلها ؟ » فسكت أبو عبد الله ، فقال : « أليس بتَّ فى دار أبى زاكى ؟ » قال : « بلى » ، قال : « وما الذى أخرجك من دارك ؟ » قال : « خفتُ » ، قال « وهل يخاف الإنسان إلا من عدوه ؟ » فعلم أن أمره ظهر للمهدى ، فخرج ، وأخبر أصحابه ، وخافوا وتخلفوا عن الحضور ، فذُكر ذلك للمهدى وعنده رجل يُقال له « ابن القديم » كان من جملة القوم وعنده أموال كثيرة من أموال زيادة الله ، فقال : « يا مولاى . إن شئتَ أتيتك بهم » ، ومضى فجاء بهم ، فعلم المهدى صحة ما قيل عنه ، فلاطفهم وفرّقهم فى البلاد ،

---

(١) فى الأصل : « حتى أن بعضهم من كتامة واجد المهدى بذلك وقال : » وما هنا صيغة : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٠) وهى أكثر وضوحا .

(٢) فى الأصل . « وخاف » وما هنا عن ابن الأثير .

وجعل أبا زاكى واليا على طرابلس ، وكتب إلى عاملها أن يقتله عند وصوله ، فلما وصلها قتله عاملها ، وأرسل رأسه إلى المهدى ، فهرب ابن القديم فأُخذ ، فأمر المهدى بقتله فقُتل ؛ وأمر المهدى عروبة ورجالا معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه أبا العباس ويقتلوهما ، فلما وصلا إلى قرب القصر حمل عروبة على أبى عبد الله ، فقال : « لا تفعل يا بنى » ، فقال : « الذى أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك[1] »] ، فقُتل هو وأخوه فى اليوم الذى قتل فيه أبو زاكى ، وذلك يوم الاثنين النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة ؛ وصلى عليه المهدى وقال : « رحمك الله أبا عبد الله ، وجزاك خيرا بجميل سعيك » .

وثارت فتنة بسبب قتلهما ، وجرّد أصحابهما السيوف ، فركب المهدى ، وأمّن الناس فسكنوا ، ثم تتبعهم[2] حتى قتلهم .

وثارت فتنة (١٨ ا) ثانية بين كتامة وأهل القيروان قُتل فيها خلق كثير ، فخرج المهدى ، وسكّن الفتنة ، وكفّ الدعاة عن طلب التشيع من

---

(١) فى الأصل : « فاتفق مع أخيه بجماعة من كتامة على قتل المهدى ، ودخلوا عليه مراراً فلم يجسروا على قتله ، ونقل ذلك إلى المهدى من رجل كان يوافقهم على ماهم فيه ثم يأتى المهدى فيخبره ، فأخذ المهدى فى تفريق القوم فى البلاد ، وكان كبيرهم أبو زاكى تمام بن معارك الايكجانى ، فسيره واليا على طرابلس وكتب إلى عاملها سراً بقتله عند وصوله ، فلما وصل أبو زاكى قتله العامل وأرسل برأسه إلى المهدى ، فأمر حينئذ بقتل جماعة ، وأعد رجالا لأبى عبد الله وأخيه أبى العباس ، فلما وصلا إلى قرب القصر حمل القوم على أبى عبد الله ، فقال : « لا تفعلوا » فقالوا له : « إن الذى أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك » . وما بين الحاصرتين صيغة ابن الأثير ، وقد آثرناها لأنها الأصل الذى يوجز عنه المقريزى ، ولأنها أوضح وأكثر تفصيلا ، ولأهمية هذا التفصيل عند دراسة تاريخ الدولة وتاريخ مؤسسها ، والأسباب التى أدت إلى قتله .

(٢) فى الأصل : « يتبعهم » والتصحيح عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٠)

العامة . (١ وكان أبو عبد الله من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون ، أحد رجالات العالم القائمين بنقض الدول و إقامة الممالك العظيمة من غير مال ولا رجال (١) .

ولما قُتل أبو عبد الله ، واستقام أمر المهدى عهد إلى ولده أبى القاسم [نزار (٢)] بالخلافة ؛ ورجعت كتامة إلى بلادهم ، فأقاموا طفلا ، وقالوا : « هذا هو المهدى » ، ثم زعموا أنه [نبى (٣)] يُوحى إليه ، وزعموا أن أبا عبد الله لم يمت . وزحفوا (٤) إلى مدينة مِيلَة ، [فبلغ ذلك المهدى فأخرج (٥)] ابنه أبا القاسم ، فقاتلهم حتى هزمهم ، واتبعهم [حتى أجلاهم (٣)] إلى البحر ، وقتل منهم خلقا عظيما ، وقتل الطفل الذى أقاموه .

[وخالف عليه أهل صقلية مع ابن وهب ، فأنفذ إليهم أسطولا ، ففتحها ، وأتى بابن وهب فقتله (٦)] .

وخالف عليه أهل تاهرت فغزاها [ففتحها (٧)] ، وقتل أهل الخلاف .

وتتبع بنى الأغلب فقتل منهم جماعة برقادة [كانوا قد رجعوا إليها بعد وفاة زيادة الله (٧)] .

---

(١) هذه الفقرة غير موجودة فى ابن الأثير ، وإنما هى من كلام المقريزى تعقيبا منه على الحوادث .

(٢) و (٣) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢١) .

(٤) فى الأصل : « ورجعوا » والتصحيح عن ابن الأثير .

(٥) فى الأصل : « فبعث إليهم المهدى » وما بين الحاصرتين صيغة ابن الأثير .

(٦) فى الأصل : « ثم إن أهل صقلية خالفوا على المهدى ، فأنفذ إليها ، وقتل من أهلها » ، وما بين الحاصرتين صيغة ابن الأثير ، وهى أوضح .

(٧) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢١) وبه ينتهى الفصل الذى كان ينقل عنه هنا المقريزى .

ذكر مسير جيش المهدى إلى مصر [١]

فلما كا [ت] سنة إحدى وثلاثمائة جهز المهدى العساكر من إفريقية مع ولده أبى القاسم إلى مصر ، فساروا إلى برقة ، واستولوا عليها فى ذى الحجة ، وساروا إلى الإسكندرية [٢] والفيوم ، [وصار فى يده أكثر البلاد [٣]] وضيق على أهلها ، وبعث [إليها [٣]] المقتدرُ بالله [٤] مؤنسا الخادم [٥] فى جيش كثيف ، فحاربهم وأجلاهم عن مصر ، [فعادوا [٣]] إلى المغرب [مهزومين [٣]] .

(١) روى المقريزى هذه الحادثة بعد الجملة الأخيرة مباشرة دون عنوان ، وهى موجودة بنصها فى ابن الأثير (ج ٨ ، ص ٣٢) تحت هذا العنوان ، ولهذا آثرنا نقل العنوان للايضاح .

(٢) فى ابن الأثير : « وساروا إلى مصر فملكوا الإسكندرية » .

(٣) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير .

(٤) المقتدر بالله أبو الفضل جعفر الخليفة العباسى ، بويع بعد وفاة أخيه المكتفى بالله علىّ فى سنة ٢٩٥ وله ١٣ سنة ، ولم يل الخلافة أحد قبله أصغر منه ، وخلع من الخلافة أول مرة بعبد الله بن المعتز فى ربيع الأول سنة ٢٩٦ ، ثم أعيد وقتل ابن المعتز ؛ ثم خلع ثانية فى سنة ٣١٧ بأخيه القاهر ثلاثة أيام ، ثم أعيد إلى أن قتل فى سنة ٣٢٠ واستخلف من بعده أخوه القاهر محمد ، وكانت خلافة المقتدر خمسا وعشرين سنة إلا بضعة عشر يوما . انظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ — ٢٣٤) .

(٥) مؤنس الخادم قائد من أكبر قواد العباسيين خدم المعتضد أولا ثم أبعده إلى مكة ، ولما بويع المقتدر أحضره وقرّبه وفوّض إليه الأمور ، وقد أبلى بلاء حسنا فى رد الفاطميين عن مصر فى سنتى ٣٠٣ و ٣٠٧ حتى لقبه المقتدر بالمظفر ، وفى قتال أبى طاهر القرمطى سنة ٣١٣ ؛ وكانت له يد فى خلع المقتدر سنة ٣١٧ ، وفى سنة ٣١٩ قويت الوحشة بينه وبين المقتدر فأرسل إليه جيشا حاربه فانتصر مؤنس وملك الموصل ، ثم خرج المقتدر لقتاله بنفسه فقُتل فى سنة ٣٢٠ ، وفى سنة ٣٢١ قتل مؤنس فى التسعين من عمره ؛ انظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، الصفحات المذكورة بالكشاف ؛ والكندى ، الولاة ، ص ٢٦٨ ، ٢٧٤ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ٣٢ و ٣٦) .

وكان سبب تحرك أبى القاسم بن المهدى إلى حرب أهل مصر أنه وجه إلى بغداد قصيدة يفخر فيها ببيته و بما فتح من البلاد ، فأجابه الصولى[١] بقصيدة على وزنها ورويها ، ومنها :

فَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا مِثَالاً[٢] لِطَائِرٍ لَكَانَ لَكُمْ مِنْهَا بِمَا حُزْتُمْ الذَّنَبُ

فحرّك[٣] همته هذا البيت ، وقال : « والله لا أزال حتى أملك صدر الطائر ورأسه — إن قدرتُ — و إلا أهلك دونه » . وكابد على ديار مصر من الحروب أهوالا ، ومات ولم يظفر بها ، وأوصى ابنه المنصور لما كان فى ء . . . الفتن ، وكان الظافر بها المعز[٤] .

ذكر خبر مصر مع العلوى المهدى[٥]

فلما كان فى سنة اثنتين وثلاثمائة أنفذ [أبو محمد عبيد الله العلوى الملقب بـ] المهدى[٦] جيشا [من إفريقية[٦]] مع قائد من قواده ، يقال له :

(١) أبو بكر محمد بن يحيي بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين المعروف بالصولى الشطرنجى ، توفى مستترا فى سنة ٣٣٥ أو ٣٣٦ لأنه روى خبراً فى حق على ابن أبى طالب فطلبته الخاصة والعامة لقتله فلم تقدر عليه وكان قد خرج من بغداد ؛ له كتب فى الأخبار والأدب والتاريخ ، أهمها : أدب الكتاب وطبع فى القاهرة ١٣٤١ ، والأوراق فى أخبار آل عباس وأشعارهم نشر جزءين منه أخيرا المستشرق جمال الدين هيوارث دنّ .

(٢) فى الأصل : « منالا » .

(٣) فى الأصل : « فحركت » .

(٤) هذه الفقرة غير موجودة فى ابن الأثير .

(٥) هذا العنوان غير موجود فى الأصل ، وقد نقلناه عن ابن الأثير (ج ٨ ، ص ٣٤) لأن المقريزى نقل الكلام الذى يليه عن هذا المرجع بعد إغفال العنوان .

(٦) الزيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٣٤) .

« حُباسـة » [١] فى البحر ، فغلب على الإسكندرية ، ثم سار منها يريد مصر [١] فأرسل المقتدر بالله مؤنسا الخادم فى عسكر إلى مصر ، وأمدَّه بالسلاح والأموال ، فالتقى بحباسة فى جمادى الأولى [٢] فكانت بينهما حروب كثيرة قُتل فيها من الفريقين جمع عظيم ، وانهزم حباسة فى سلخ جمادى الآخرة ، ويقال إنه قُتل فى هذه الواقعة سبعة آلاف ، ولما صار حباسة إلى المغرب قتله المهدى [٢] .

[وفيها] خالف عروبة بن يوسف الكتامى بالقيروان ، واجتمع عليه خلق كثير من كتامة والبرابر ، فأخرج إليهم المهدى مولاه غالبا ، فاقتتلوا [قتالا شديدا فى محضر القيروان ، فقُتل عروبة وبنو عمه ، وقتل معهم عالم لا يحصون ، وجمعت رؤوس مقدميهم فى قفـة وحملت إلى المهدى [٣]] ، فقال : « ما أعجب الدنيا ! قد جمعت هـذه القفة رؤوس هؤلاء ، وكان يضيق بهم [٤] فضاء المغرب » .

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى ابن الأثير : « .. يقال له حباسة إلى الإسكندرية ، فغلب عليها وكان مسيره فى البحر ، ثم سار منها إلى مصر فنزل بين مصر والإسكندرية فبلغ ذلك المقتدر .. » .

(٢) هـذا موجز لما ورد فى الكامل لابن الأثير (ج ٨ ، ص ٣٤) ، وصيغة ابن الأثير أكثر تفصيلا .

(٣) فى الأصل : « .. فاقتتلوا فقُتل غالب فى عالم لا يحصى ، وجرّ بعده روس إلى المهدى فى قفة ، فقال .. » وهو إيجاز مخل خاطئ ، يصححه ما نقلناه بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٣٤) .

(٤) فى ابن الأثير : « بعساكرهم » .

ذكر بناء المهدية [١]

[فى هذه السنة خرج المهدى بنفسه إلى تونس وقرطاجنة وغيرهما [٢]] يرتاد موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة ، وكان يجد فى الكتب خروج أبى يزيد النكَّارى على دولته ، فلم يجد موضعا أحسن ولا أحصن من موضع المهدية ، وهى جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند ، فبناها ، وجعلها (١٨ ت) دار ملكه ، وجعل لها سوراً محكما ، وأبوابا عظيمة ، زنة كل مصراع مائة قنطار .

وكان ابتداء بنائها يوم السبت لخمس خلوْن من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة . فلما ارتفع السور أمر راميا يرمى بالقوس يرمى سهما إلى ناحية المغرب ، فرمى بسهم فانتهى إلى موضع المصلى ، فقال : « إلى موضع هذا يصل صاحب الحمار » ، يعنى أبا يزيد الخارجى ، فإنه كان يركب حمارا .

وكان يأمر الصناع بما يعملون ، وأمر أن ينقر دار صناعة [٣] فى الجبل

---

(١) هذا العنوان غير موجود فى الأصل ، وإنما نقلناه عن ابن الأثير .

(٢) فى الأصل : « ثم إن المهدى خرج بنفسه يرتاد » ، وما هنا صيغة (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٣٥) .

(٣) دار الصناعة ويقال الصناعة فقط وقد عرفها المقريزى (الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٠٧) بأنها « اسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكب البحرية » وقد عنيت الدول الإسلامية المختلفة بإنشاء الأساطيل وكانت أكثرها عناية بها الدولة الفاطمية وذلك منذ قيام الدولة فى المغرب كما يتضح من النص هنا ، ثم زادت عنايتهم بدور الصناعة والأسطول بعد نزوحهم إلى مصر (انظر المرجع السابق ، ص ٣١٣ — ٣١٥) وقد أخذ الأوربيون فى العصور الوسطى هذا اللفظ عن العربية فهو فى الإيطالية : (Arzenale و Arsenale) وهو بالانجليزية والفرنسية والإسبانية (Arsenal) ومن =

تسع مائة شيني[١] ، وعليها باب مغلق ؛ ونقر في أرضها أهراء[٢] للطعام ، ومصانع[٣] للماء ؛ و بنى فيها القصور والدور ؛ فلما فرغ منها ، قال : « اليوم أمنت على الفاطميات » ، يعني بناته ، وارتحل عنها .

ولما رأى إعجاب الناس بها و بحصانتها[٤] قال : « هذه بنيتها لتعتصم

= عجب أننا نسينا اللفظ العربي عند ما قلت عنايتنا بالأساطيل ، فلما كان عصر محمد على وبدأنا نعنى من جديد بإنشاء دار للصناعة أخذنا اللفظ الأجنبي المحرف وزدنا فى تحريفه فكان « الترسانة » وما أحرانا عند عنايتنا المبشرة بالبحر والأسطول أن نعيد الحياة للفظ العربي الأصيل .

(١) الشيني أو الشاني أو الشينية أو الشونة (والجمع شواني) السفينة الحربية الكبيرة ؛ وقال الزبيدي في التاج إنها من أصل مصري ، وذكر ابن مماتي (قوانين الدواوين ، طبعة الدكتور عطية ، ص ٣٤٠ و ٣٥٦) أن الشيني كانت تسير « بمائة وأربعين مجدافاً وفيها المقاتلة والجدافون » ؛ وظل هذا اللفظ مستعملا حتى العصر العثماني ، انظر : (القاموس ؛ وعلى مبارك ، الخطط ، ج ١٤ ، ص ٨١ ؛ والمقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥١ — ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٥١ ، هامش ٣ ؛ رحلة الأندلس للبتانوني ، ص ١٤١ .. إلخ) وهذه المادة موجز عن مخطوطتنا التي لا زلنا نستكملها وعنوانها : (معجم أسماء السفن العربية) .

(٢) عرّف صاحب القاموس الهُرْي (ج : أهراء) بأنه بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان ؛ والذي جرى عليه مصطلح الدول الإسلامية في العصور الوسطى أن الأهراء هي الأماكن التي تخزن بها الغلال والأتبان الخاصة بالخليفة أو السلطان احتياطا للطوارئ ، وكانت لا تفتح إلا عند الضرورة — ويؤكد هذا المعنى استعمال اللفظ بالمتن هنا وفيما يلي عند حصار أبي يزيد للمهدية — والاهراء بهذا غير الشون التي كان يخزن بها ما يستهلك طول السنة من غلال وأحطاب وأتبان . انظر : (المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٠٨ ، حاشية الدكتور زيادة ؛ وإغاثة الأمة ، ص ٢٨ ، حاشية ٤ ، ص ٣١ ، ٣٣) .

(٣) المصنعة مكان كالحوض يجمع فيه ماء المطر ، والجمع مصانع . (القاموس) .

(٤) في الأصل : « بحصانها » ، والتصحيح عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٣٦) .

بها الفواطم ساعة من نهار » ، فكان كذلك ، لأن أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ، ووقف فيه ساعة [وعاد (١)] ولم يظفر (٢) .

ذكر إرسال المهدى العلوى العساكر إلى مصر

فلما كان فى سنة ست وثلاثمائة جَهَّز المهدى جيشا كثيفا مع ابنه أبى القاسم [وسيَّرهم (٣)] إلى مصر؛ وهى المرة الثانية ، فوصل إلى الإسكندرية فى ربيع الآخر ، [فخرج عامل المقتدر عنها (٣)] ، ودخلها القائم ، [ورحل إلى مصر فدخل الجيزة (٣)] وملك الأشمونين وكثيرا من الصعيد ، وكتب إلى أهل مكة (٤) يدعوهم إلى [الدخول فى (٣)] طاعته ، فلم يقبلوا منه .

[ووردت بذلك الأخبار إلى بغداد (٣)] فبعث المقتدر [بالله] مؤنسا الخادم فى شعبان ، [وجدّ فى السير (٣)] فوصل إلى مصر ، فكانت بينه وبين القائم عدة وقعات .

ووصل من إفريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم من أبيه فأرست بالإسكندرية ، وعليها سليمان الخادم ويعقوب الكتامى — وكانا شجاعين —

(١) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير .

(٢) بهذا اللفظ ينتهى ما ذكره ابن الأثير تحت عنوان « ذكر بناء المهدية » ، وهو ما نقله المقريزى هنا عنه ، غير أن المقريزى وصل هذا بما بعده ، وأغفل العنوان التالى ، كما أغفل سابقيه ، وقد آثرنا هنا ذكر عناوين ابن الأثير فإن وجودها ينظم الحوادث ويشرحها .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٤٢) .

(٤) كان حاكم مكة فى تلك السنة الشريف محمد بن موسى ؛ انظر : (Zamb. Op. Cit. P. 21.) .

فأمر المقتدر أن تسير مراكب طرسوس ، فسار إليهم خمس وعشرون مركبا فيها النفط والعدد [ومقدمها أبو اليمن[١]] ، فالتقت المراكب [بالمراكب واقتتلوا[١]] على رشيد ، فظفر [أصحاب[١]] مراكب المقتدر ، وأحرقوا كثيرا من مراكب إفريقية وهلك أكثر أهلها ، وأُسر منهم كثير فيهم سليمان ويعقوب ، [فقُتل من الأسرى كثير ، وأطلق كثير[١]] ومات سليمان بمصر فى الحبس ، وحُمل يعقوب إلى بغداد ، فهرب منها وعاد إلى إفريقية .

وغلب[٢] مؤنس عساكر القائم ، ووقع فيهم الوباء والغلاء فمات كثير منهم ، ورجع من بقى إلى إفريقية ، وفيهم القائم ، وتلقب مؤنس الخادم من حينئذ بالمظفَّر لغلبه عساكر المغرب غير مرة[٢] .

ذكر مسير جيش المهدى إلى المغرب[٣]

فلما كان سنة خمس عشرة وثلاثمائة سيَّر المهدى ابنه أبا القاسم من المهدية إلى المغرب فى جيش كثير ، فى صفر ، بسبب خارجىّ خرج عليه ، وقتل خلقا[٤] فوصل إلى ما وراء تاهرت .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادات إيضاحية عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٤٢) .

(٢) هذه الفقرة موجز لما جاء فى ابن الأثير . وفيه نص على أن القائم عاد إلى المهدية فى رجب من نفس السنة .

(٣) هذا العنوان غير موجود فى الأصل ، وإنما نقلناه عن ابن الأثير .

(٤) هذا موجز لما ورد فى ابن الأثير ، ونصه : « لسبب محمد بن خرز الزناتى ، وذلك أنه ظفر بعسكر من كتامة ، فقتل منهم خلقا كثيراً ، فعظم ذلك على المهدى ، فسير ولده ، فلما خرج تفرق الأعداء ، وسار حتى وصل إلى ما وراء تاهرت .. » .

[فلما[١]] عاد [من سفرته هـذه[١]] خط برمحه فى الأرض صفة مدينة ، [و] سماها : « المحمدية » ، [وهى المسيلة[١]] ، وكانت خطة لبنى كملان ، فأخرجهم منها ، [ونقلهم] إلى فحص قيروان ، كالمتوقع منهم أمراً ، فلذلك أحب أن يكونوا قريبا منهم ، وهم كانوا (١٩ ا) أصحاب أبى يزيد الخارجى . وانتقل كثير من الناس[٢] إلى المحمدية ، وأمر عاملها أن يكثر من الطعام ، ويخزنه ويحتفظ به ، ففعل ذلك ، فلم يزل مخزونا حتى خرج أبو يزيد ولقيه المنصور بن القائم بن المهدى ؛ ومن المحمدية كان يمتار ما يريد إذ ليس بالموضع مدينة سواها .

ذكر وفاة المهدى صاحب إفريقية

وولاية ولده القائم[٣]

فلما كان يوم الاثنين الرابع عشر ، وقيل وقت صلاة المغرب ليلة الثلاثاء النصف من ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة توفى أبو محمد عبيد الله المهدى بالمهدية ، وأخفى[٤] ابنه أبو القاسم موتَه سنةً ، لتدبير كان له ، فإنه كان يخاف [أن يختلف[٥]] الناس [عليه[٥]] إذا علموا بموت المهدى .

---

(١) الزيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٦٦) .

(٢) فى ابن الأثير : « وانتقل خلق كثير » .

(٣) هـذا العنوان غير موجود فى الأصل ، وقد نقلناه عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٠٧) .

(٤) فى الأصل : « أخفا »

(٥) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٠٧) .

وكان عمر المهدى لما توفى ثلاثا وستين سنة — لم تكمل — ، وكانت ولايته — منذ دخل رقادة ، ودُعى له بالإمامة إلى أن توفى — أربعاً وعشرين سنة ، وعشرة أشهر [١] ، وعشرين يوما [٢] .

وقيل : كانت ولادته بسلمية من أرض الشام فى سنة تسع وخمسين ، وقيل سنة ستين ومائتين ؛ وقيل : وُلد بالكوفة ، ودُعى له على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة لسبع بقين من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ، وتوفى ليلة الثلاثاء منتصف ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

ونَقْشُ خاتمه : « بنصر الإله الممجد ، ينتصر الإمام أبو محمد » .

وقال فيه سعدون الورجيلى [٣] :

كُفِّى عَنِ التَّثْبِيطِ إِنى [٤] زائرٌ ... مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الوَحْيِ خَيْرَ مَزُورِ
هـذا أميرُ المؤمنين تَضَعْضَعَتْ ... لِقُدُومِهِ أَرْكَانُ كُلِّ أَمِيرِ
هَذَا الإِمامُ الفَاطِمِىُّ ، وَمَنْ بِهِ ... أَمِنَتْ مَغَارِبُهَا مِنَ المَحْذُورِ
والشَّرْقُ لَيْسَ لِشَامِهِ [٥] وَعِرَاقِهِ ... مِنْ مَهْرَبٍ مِنْ جَيْشِهِ المَنْصُورِ
حَتَّى يَفُوزَ مِنَ الخِلافَةِ بِالمُنَى [٦] ... وَيُفَازَ مِنْهُ بِعَدْلِهِ المَنْشُورِ

(١) فى ابن الأثير : « وشهرا » .

(٢) بهذا اللفظ قطع المقريزى النقل عن ابن الأثير مؤقتا ليستأنفه بعد قليل ، ثم أورد ما يلى وهو من كلامه .

(٣) وردت هذه الأبيات فى الأصل متصلة الألفاظ كأنها نثر لا شعر .

(٤) فى الأصل : « إلى » .

(٥) فى الأصل : « شامه » .

(٦) فى الأصل : « بالمز » .

وكان المهدى يُشَبَّه — فى خلفاء بنى العباس — بالسفَّاح ، فإن السفَّاح خرج من الحميمة بالشام يغالب الخلافة ، والسيف يقطر دماً ، والطلب مراصد ، وأبو سلمة الخلَّال [١] يؤسس له الأمر ، ويبث دعوته ؛ وعبيد الله خرج من سلمية — فى الشام — وقد أُوكبت [٢] العيون عليه ، وأبو عبد الله الشيعى ساعٍ [٣] فى تمهيد دولته وكلٌ منهما تم [٤] له الأمر ، وقتل من قام بدعوته .

القائم بأمر الله أبو القاسم محمد (وقيل عبد الرحمن) ابن المهدى عبيد الله

ولد بسلمية فى المحرم سنة ثمانين — وقيل سبع وسبعين — ومائتين ، ورحل مع أبيه إلى المغرب ، وعهد إليه من بعده .

فلما مات أبوه ، وفرغ [٥] من جميع ما يريده ، وتمكّن [٦] ، أظهر موت أبيه ، واتبع سنة أبيه ، وثار عليه جماعة فتمكن منهم .

---

(١) حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال من كبار دعاة العباسيين الأول ، كانت له جهود مشكورة فى الحوادث التى مهدت لسقوط الأمويين ، قُتل سنة ١٣٢ . انظر : (الوفيات لابن خلكان ؛ وتاريخ الطبرى ؛ والكامل لابن الأثير ، ج ٥) .

(٢) فى الأصل : « اوكيت » .

(٣) فى الأصل : « شاع » .

(٤) فى الأصل : « وكلامها ثم » .

(٥) بهذا اللفظ يستأنف المقريزى ما انقطع ويعود إلى النقل عن ابن الأثير .

(٦) فى الأصل : « وتمكث » ، والتصحيح عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٠٧) .

[وكان من أشدهم رجل يقال له(١)] ابن طالوت [القرشى] فى ناحية طرابلس ، [و يزعم أنه ولد المهدى ، فقاموا معه ، وزحف إلى مدينة طرابلس ، فقاتله أهلها ، ثم تبيّن للبربر كذبه فقتلوه ، وحملوا رأسه إلى القائم(٢)] .

وجهّز [القائم(٣)] أيضا جيشا كثيفا(٤) [مع ميسور الفتى(٢)] إلى المغرب ، [فانتهى إلى فاس ، و إلى تكرور(٢)] ، وهزم خارجيا هنـاك ، [وأخذ ولده أسيراً(٢)] .

وسيّر [أيضا(٢)] جيشا فى البحر [وقدّم عليهم رجلا اسمه يعقوب ابن إسحق(٢)] إلى بلد الروم ، فسبى وغنم فى بلد جنوة .

وسيّر جيشا [آخر مع خادمه زيدان و(٢)] بالغ فى النفقة عليهم ، [وتجهيزهم(٥)] إلى مصر ، فدخلوا الإسكندرية ، فبعث إليهم الإخشيد فهزمهم(٦) .

---

(١) فى الأصل : « وخرج عليه ابن طالوت » وهذه صيغة ابن الأثير .

(٢) فى الأصل : « فبعث إليه وقتله » ، وما هنا صيغة ابن الأثير ، وهى أ كثر تفصيلا وإيضاحا .

(٣) الزيادات عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٠٧) .

(٤) فى الأصل : « كثيراً » ، والتصحيح عن ابن الأثير .

(٥) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٠٧) : « فأخرج إليهم محمد الإخشيد عسكرا كثيفا ، فقاتلهم ، وهزموا المغاربة ، وقتلوا فيهم وأسروا ، وعاد المغاربة مفلولين » .

ذكر أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي وحـــروبه

وذلك أنه لما كانت سنة ثلاث وثلاثمائة خرج أبو يزيد بن كيداد النكَّارى الخارجي بإفريقية ، واشتدت شوكته ، وكثرت أتباعه ، وهزم(١) الجيوش .

وكان ابتداء أمره أنه من زناتة من مدينة توزر ؛ وكان أبوه يختلف إلى بلاد السودان للتجارة ، فوُلد له بها أبو يزيد من جارية صفراء هوّارية ، فأتى به إلى توزر ، فنشأ بها ، وتعلم القرآن ، وخالط جماعة من النكَّارية ، فمالت نفسه إلى مذهبهم ؛ ثم سافر إلى تاهرت فأقام بها يُعلِّم الصبيان إلى أن خرج أبو عبد الله الشيعى إلى سجلماسة فى طلب عبيد الله المهدى ، فانتقل إلى تقْيُوس(٢) ، واشترى ضيعة وأقام يُعلِّم فيها .

وكان مذهبه تكفير أهل (١٩ب) الملّة ، واستباحةَ الأموال والدماء ، والخروجَ على السلطان ؛ فابتدأ يحتسب على الناس فى أفعالهم(٣) ، وصار له جماعة يعظمونه ، وذلك فى أيام المهدى سنة ست عشرة وثلاثمائة .

وتزايدت شوكته ، وكثرت أتباعه فى أيام القائم(٤) ، وحاصر باغاية(٥) ،

---

(١) فى الأصل : « وحزم » والتصحيح عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٦٥) .

(٢) مدينة بإفريقية قريبة من تَوْزَر . (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٣) فى ابن الأثير : « فى أفعالهم ومذاهبهم » .

(٤) يوجد فى ابن الأثيرين هذين اللفظين : « .. ولد المهدى فصار يغير ويحرق ويفسد ، وزحف إلى بلاد القائم وحاصر .. » .

(٥) يوجد فى الهامش بالأصل تعريف بهذه المدينة نصه : « باغاية مدينة بإفريقية ، ذات أنهار ومزارع ، على مقربة من جبل أوراس المتصل بالسوس الذى يعرف بجبل المصامدة المسمى بدرن » .

وهزم الجيوش الكثيرة ؛ ثم حاصر قسطيلية[(١)] سنة ثلاث وثلاثين [وثلاثمائة] ، وفتح تبَسَّة ومجانة ، وهدم سورها ، ودخل مدينة مرمجنة[(٢)] ، فلقيه رجل من أهلها ، وأهدى له حماراً أشهب مليح الصورة ، فركبه أبو يزيد من ذلك اليوم ، وصار يُعرف براكب الحمار ، وكان قصيراً أعرج يلبس جبة صوف قصيرة ، وكان قبيح الصورة .

ثم إنه هزم كتامة ، وافتتح سبيبة ، وصلب عاملها وفتح مدينة الأرْبُس[(٣)] وأحرقها ونهبها ، والتجأ الناس إلى الجامع فقتلهم فيه ، وبلغ ذلك أهل المهدية فاستعظموه ، وقالوا للقائم : « الأربس باب إفريقية ، ولما أخذت زالت دولة بني الأغلب » . فقال : « لا بد أن يبلغ أبو يزيد المصلى ، وهو أقصى غايته » .

وأخرج القائم الجيوش لضبط البلاد ، وجمع العساكر ، وبعث جيشا مع فتاه ميسور ، وجيشا مع فتاه بشرى ، فسار أبو يزيد ، وواقع بشرى على باجة ، فانهزم أبو يزيد ، وصار فى أربعمائة ، فمال إلى خيام بشرى

(١) ذكر (البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٨٢) أن بين قسطيلية والقيروان مسيرة سبعة أيام .

(٢) مرماجنة (هكذا رسمها البكرى فى المغرب ، ص ١٤٥) وذكر أنها قريبة من مجانة ، وأنها مدينة لطيفة بها جامع وفندق وسوق .

(٣) ذكر ياقوت أن الأرْبُس مدينة وكورة بإفريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب ؛ وقال أبو عبيد البكرى : الأربس مدينة مسورة لها رَبض كبير ، وإليها سار إبراهيم بن الأغلب حين خرج من القيروان فى سنة ٢٩٦ ، وزحف إليها أبو عبد الله الشيعى ، ونازلها وبها جمهور أجناد إفريقية مع إبراهيم بن الأغلب ففر عنها فى جماعة من القواد والجند إلى طرابلس ودخلها الشيعى عنوة . انظر : (ياقوت ، معجم البلدان) .

وانتهبها ، فانهزم بشرى إلى تونس ، وقُتل كثير من عسكره ، وملك أبو يزيد باجة ونهبها ، وقتل الأطفال ، وأخذ النساء ، وكتب إلى القبائل يدعوهم إلى نفسه فأتوه ، وعمل الأخبية [١] والبنود [٢] وآلات الحرب .

وجمع بشرى جيشا ، وأنفذه إلى أبى يزيد ، فسيّر إليهم أبو يزيد جيشا ، فالتقوا وانهزم أصحاب أبى يزيد ، وكانت فتنة بتونس ، [و] هرب عاملها ، وكاتبوا أبا يزيد فأمّنهم ، وولّى عليهم رجلا منهم ، فخافه الناس ، وانتقلوا إلى القيروان ، وأتاه كثير منهم ؛ ثم لقيه بشرى [*] ، فانهزم عسكر أبى يزيد ، وقُتل منهم أربعة آلاف ، وأسر خمسمائة ، و بعث بهم إلى المهدية فى السلاسل فقتلهم العامة .

ذكر استيلاء أبى يزيد على القيروان ورقادة [٤]

فغضب [٣] لذلك أبو يزيد ، وجمع الجموع ، وسار إلى قتال الكتاميين فتلاقى مع طلائعهم ، فانهزمت الطلائع ، وتبعهم البربر إلى رقادة ، فنزل أبو يزيد بالقرب من القيروان فى مائة ألف مقاتل ، وقاتل أهل رقادة ، فقتل من أهل القيروان خلقا كثيرا ، ودخل القيروانَ عسكرُه فى أواخر

---

(١) جاء فى القاموس : «الخباء من الأبنية يكون من وبر أو صوف أو شعر» .
(٢) البَنْدُ العَلَمُ الكبير .
(*) هذه الفقرة موجز لما فى ابن الأثير ، وهناك تفصيل وافٍ لحوادث القتال .
(٣) الكلام متصل فى الأصل ، والعنوان عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٦٥) .

صفر فانتهبوا البلد، وقتلوا، وأُخذ عامل القيروان[١] فَحُمل إلى أبى يزيد فقتله. وخرج شيوخ القيروان إلى أبى يزيد — وهو برقادة — فطلبوا الأمان (١٢٠ ا) فماطلهم، وأصحابه يقتلون وينهبون، فعادوا إلى الشكوى، وقالوا: «خربت[٢] المدينة»، فقال: «وما يكون. خربت[٢] مكة والبيت المقدس؟!».

ثم[٣] قدم ميسور فى عساكر عظيمة فالتقى بأبى يزيد، واشتد القتال بينهما، وقُتل ميسور، وحمل رأسه إلى أبى يزيد فانهزم عامة عسكره[٣].

وسيَّر أبو يزيد الكتبَ إلى عامة البلاد يخبر بهذا الظفر، [وطيف برأس ميسور بالقيروان[٤]] فخاف القائم ومَنْ معه بالمهدية، وانتقل الناس من أرباضها فاحتموا بالسور، فمنعهم القائم، ووعدهم الظفر، فعادوا إلى زويلة، واستعدوا [للحصار[٤]]، وأقام أبو يزيد شهرين وثمانية أيام فى خيم ميسور، وهو يبعث السرايا إلى كل ناحيــة فيغنمون ويعودون؛ وفتح سُوسَة[٥] بالسيف، وقتل الرجال، وسبا النساء، وأحرق البلد، وشق

---

(١) كان قائد جيش أبى يزيد اسمه «أيوب الزويلى»، أما عامل رقادة والقيروان فاسمه «خليل» انظر تفصيلا أكثر للحوادث فى: (ابن الأثير، ج ٨، ص ١٦٥).

(٢) فى الأصل: «حزنت»، والتصحيح عن ابن الأثير.

(٣) هذه الفقرة موجز عن ابن الأثير (ج٨، ص١٦٦) وهناك تفصيلات وافية.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادات عن ابن الأثير.

(٥) ذكر ياقوت فى معجمه أنها مدينة صغيرة بنواحى إفريقية، بينها وبين سفاقس يومان كان أكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة، وبينها وبين المهدية ثلاثة أيام، وبين القيروان وبينها ستة وثلاثون ميلا، ويحيط بها البحر من ثلاث نواح من الشمال والجنوب والشرق؛ وقال: «وحاصرها أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارجى شهورا ثم انهزم عنها، وكان عليها فى ثمانين ألفا».

أصحابُه فروجَ النساء ، و بقروا البطون ، حتى لم يبق موضع فى إفريقية معمور ، ولا سقف مرفوع ؛ ومضى جميع من بقى إلى القيروان حفاة عراة ، فمات أكثرهم(١) جوعا وعطشا .

وفى أواخر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين [وثلاثمائة(٢)] حفر القائم الخنادق حول أرباض المهدية ، وكتب إلى زيرى بن منادٍ سيد صنهاجة ، وإلى سادات كتامة والقبائل يحثهم على الاجتماع بالمهدية ، فتأهبوا للمسير إليه .

ذكر حصار أبى يزيد المهدية(٣)

ورحل أبو يزيد نحو المهدية ، فنزل على خمسة عشر ميلا منها ، وبثّ سراياه فانتهبوا ما وجدوا ، وقتلوا من أصابوا . فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الأولى من السنة خرجت كتامة وأصحاب القائم إلى أبى يزيد ، فالتقوا على ستة أميال من المهدية ، واقتتلوا مع أصحاب أبى يزيد ، وأدركهم أبو يزيد وقد انهزم أصحابه وقُتل كثير منهم ، فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال وأبو يزيد فى أثرهم إلى باب الفتح .

واقتحم قوم من البربر باب الفتح ، وأشرف أبو يزيد على المهدية ،

(١) فى : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٦٦) : « ومن تخلص من السبي مات جوعا وعطشا » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادات عن ابن الأثير .

(٣) الكلام متصل بين الفصلين فى الأصل ، وهذا العنوان عن ابن الأثير (ج ٨ ، ص ١٦٦) .

ثم رجع إلى منزله ، وعاد إلى المهدية [فى جمادى الآخرة[١]] ، ووقف على الخندق المحدث ، وقاتل[٢] عليـه حتى وصل إلى باب المهدية عند المصلى الذى للعيد — و بينه و بين المهدية رمية سهم — ، وتفرق أصحابه فى زويلة ينهبون و يقتلون ، وهم لا يعلمون ما صنع أبو يزيد فى ذلك الجانب ، فحمل الـكتاميون على البربر وهزموهم وقتلوا منهم .

ووصل زِيْرى بن مناد فعظم القتال[٢] ، وتحيّر أبو يزيد وقد مالوا عليه ليقتلوه ، وتخلص إلى منزله بعد المغرب ، ورحل إلى ترنوطة[٣] ، وحفر على عسكره خندقا ، واجتمع إليه خلق عظيم من إفريقية والبربر ونَفُوسَة[٤] والزاب وأقاصى (٢٠ ب) المغرب ، فحصر المهدية حصارا شديدا ، ومنع الناس من الدخول إليها والخروج منها . ثم زحف إليها لسبع بقين من جمادى الآخرة ، فجرى قتال عظيم قُتل فيه جماعة من وجوه عسكر القائم ، واقتحم أبو يزيد بنفسه حتى وصل قرب الباب ، فعرفه بعض العبيد فقبض على

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص١٦٦) .

(٢) انظر تفصيل هذا القتال فى : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٦٦ — ١٦٧) ولا حظ أن هذا الفصل كله موجز عن ابن الأثير ، فالمقريزى ينقل عنه بعض الجمل نقلا حرفيا ، ويختصر بالحذف أو التغيير البسيط عند نقل البعض الآخر .

(٣) ذكرها (البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٣١) ترنوط — لا ترنوطة — ، وقال إنها فحص على ستة أميال من المهدية ، ومنها زاحف أبو يزيد مخلد المهدية ، وبهذا الفحص كانت محلته أيام حصار المهدية .

(٤) قال ياقوت : « نفوسة جبال فى المغرب بعد إفريقية عالية نحو ثلاثة أميال فى أقل من ذلك .. وطول هـذا الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق إلى الغرب ، وبين جبل نفوسة وطرابلس ثلاثة أيام ، وبينه وبين القيروان ستة أيام ... وافتتح عمرو ابن العاص نفوسة وكانوا نصارى ، ومن جبل نفوسة رجع عمرو بن العاص بكتاب ورد عليه من عمر بن الخطاب » .

لجامه ، وصاح : « هذا أبو يزيد فاقتلوه » ، فأتاه بعض أصحابه وقطع يد العبد ، وخَلُص أبو يزيد ؛ وكتب إلى عامل القيروان بإرسال مقاتلة أهلها إليه ، ففعل ذلك ، وزحف [أبو يزيد] بهم آخر رجب ، فجرى قتال شديد وانهزم أبو يزيد هزيمة منكرة ، وقُتل جماعة من أصحابه وأكثر أهل القيروان .

ثم زحف الزحفة الرابعة فى العشر الآخر من شوال ، فجرى قتال عظيم ، وانصرف إلى منزله ، وكثر خروج الناس إليه من الجوع والغلاء ؛ ففتح عند ذلك القائم الأهراء التى عملها أبوه المهدى ، وفرّق ما فيها على رجاله ، وعظم البلاء على الرعية حتى أكلوا الدواب والميتة ، وخرج من المهدية أكثر السوقة والتجار ، ولم يبقَ بها سوى الجند ، فكان البربر يأخذون من خرج [ويقتلونهم [١]] ويشقون بطونهم طلباً للذهب .

ثم وصلت كتامة فنزلت بقسنطينة ، فخاف أبو يزيد وكان البربر يأتون إلى أبى يزيد من كل ناحية فينهبون ويرجعون إلى منازلهم حتى أفنوا ما كان فى إفريقية ، [فلما لم يبق ما يُنهب توقفوا عن المجىء إليه [١]] فلم يبق معه سوى أهل أوراس وبنى كملان ، [فلما علم القائم تَفَرُّقَ عسكره] [١] أخرج عسكره فكان بينهم قتال شديد لست خَلَوْن من ذى القعدة [من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة [١]] ثم صبحوهم من الغد فلم يخرج إليهم أحد .

ثم زحفت عساكر القائم إليه ، فخرج من خندقه ، واشتد بينهم القتال ، [فقُتل من أصحاب أبى يزيد جماعة منهم رجل من وجوه أصحابه ،

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٦٧) .

فعظم قتله عليه ، ودخل خندقه] [١] . ثم عادوا إلى القتال فانهزم عسكر القائم على ما كان عليه ، وهرب كثير من أهل المهدية إلى جزيرة صقلية واطرابلس ومصر و بلد الروم . فلما كان آخر ذى القعدة اجتمع لأبى يزيد جمع عظيم ، وتقدم إلى المهدية ، فقاتل عليها ، وكاد أن يؤخذ ثم خلص .

ودخلت سنة أربع وثلاثين [وثلاثمائة] [٢] وهو مقيم على المهدية ؛ وفى المحرم منها ظهر بافريقية رجل يدعو إلى نفسه ، فأجابه كثير من الناس [وأطاعوه] [٢] ، وادعى أنه عباسى ورد من بغداد ، ومعه أعلام سود ، فظفر به أصحاب أبى يزيد ، وساقوه إليه فقتله .

وفر بعض أصحاب أبى يزيد إلى المهدية [بسبب عداوة كانت بينهم و بين أقوام سعوا بهم إليه [٢] فخرجوا [من المهدية] [٢] مع أصحاب القائم فقاتلوا أبا يزيد فظفروا ؛ وتفرق عند ذلك أصحاب أبى يزيد ، ولم يبق معه غير هوارة [وأوراس] [٢] و بنى كملان ، وكان اعتماده عليهم .

ذكر رحيل أبى يزيد عن المهدية

ورحل بقية أصحابه إلى القيروان ، ولم يشاوروا أبا يزيد ، فرحل مسرعاً فى (١٢١ ا) طائفة [٣] ، وترك جميع أثقاله ، وذلك فى سادس صفر ، فنزل مصلى القيروان ، [ولم يخرج إليه أحد من أهل القيروان سوى عامله ،

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٦٧) .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٦٨) .
(٣) فى ابن الأثير : « فى ثلاثين رجلا » .

وخرج الصبيان يلعبون حوله ، و يضحكون منه ، و بلغ القائم رجوعه[١]] فخرج أهل المهدية إلى أثقاله ، فغنموا طعاماً كثيراً وخياماً ، فحسنت حالهم ورخصت الأسعار ؛ و بعث القائم إلى البلاد عمالاً يطردون عمال أبى يزيد[٢] .

[٢] ثم إن أبا يزيد بعث عسكراً إلى تونس فدخلوها بالسيف فى العشرين من صفر [سنة أربع وثلاثمائة وثلاثين][١] فنهبوا جميع ما فيها ، وسبوا النساء والأطفال ، وقتلوا الرجال ، وهدموا المساجد ، والتجأ كثير من الناس إلى البحر ففرقوا . فسيّر القائم عسكراً لقتال أصحاب أبى يزيد فى تونس ، فانهزم عسكر القائم ، وتبعهم أصحاب أبى يزيد فكرّ عليهم عسكر القائم ، وصبروا فانهزم أصحاب أبى يزيد ، وقُتل منهم خلق كثير .

ودخلوا[٣] إلى تونس خامس ربيع الأول ، فأخرجوا مَنْ فيها من أصحاب أبى يزيد ، فبعث أبو يزيد ابنه[٤] وقتل أهل البلد ، وأحرق ما بقى فيه ، وتوجه إلى باجة[٥] ، فقتل من بها من أصحاب القائم ، ودخلها بالسيف وأحرقها ، وكان فى هذه المدة من القتل والسبى والتخريب ما لا يوصف .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٦٨) .

(٢) بين هاتين الجملتين فى ابن الأثير فقرة إيضاحية تفصيلية .

(٣) الضمير هنا عائد على أصحاب القائم .

(٤) اسم هذا الابن : « أيوب » كما ذكر فى ابن الأثير ، انظر أيضا ما يلى ، هذا وفى ابن الأثير تفصيلات وافية جداً عن هذا القتال حول المهدية .

(٥) قال ياقوت فى معجمه : « باجة فى خمسة مواضع ، منها باجة بلد بافريقية تُعرف بباجة القمح سميت بذلك لكثرة حنطتها » وهى المقصودة هنا فقد قال أبو عبيد البكرى : « وامتحن أهلُ باجة فى أيام أبى يزيد مخلد بن يزيد بالقتل والسبى والحريق .. إلخ » .

وهمَّ جماعة من أصحاب أبى يزيد بقتله ، وكاتبوا القائم بذلك ، فظفر بهم أبو يزيد وقتلهم . وكثر النهب والسبى فى القيروان .

وكان القائم قد بعث يجمع العساكر من المسيلة وغيرها ، فاجتمع له خلق كثير ، فطرقهم أيوب بن أبى يزيد على حين غفلة ، فقتل منهم ، وغنم أثقالهم ؛ وسيَّر جريدة إلى تونس ، فأوقعوا بعسكر القائم ، وتكررت الحرب بينهم ، فانهزم أصحاب أبى يزيد ، وقُتلوا قتلا ذريعاً ، وأخذت أثقالهم وانهزم أيوب إلى القيروان فى ربيع الأول ، فعظم على أبى يزيد ، وجمع على ابنه أيوب فسار (؟) ، وتوالت بينه وبين أصحاب القائم الحروب إلى أن هزمت أصحاب القائم من عساكر أبى يزيد ، ثم تجمعت عساكر القائم ، وواقعت أصحاب أبى يزيد على قسنطينة فانهزمت أصحاب أبى يزيد .

ذكر محاصرة أبي يزيد سوسة وانهزامه منها (١)

فجدَّ حينئذ أبو يزيد فى أمره ، وجمع العساكر ، وسار إلى سوسة سادس جمادى الآخرة ، وبها جيش القائم فحصرها حصراً شديداً ، وعمل عليها الدبابات (٢) والمنجنيقات (٣) ، وقُتل من أهلها خَلْقٌ كثير .

---

(١) الكلام متصل فى الأصل ، والعنوان عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٧٠) .

(٢) الدبابات جمع دبابة ، وقد وصفها (الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ، ص ١٩٢) بقوله : « هى آلة سائرة تتخذ من الخشب الثخين المتلزز ، وتغلف باللبود والجلود المنقعة فى الخل لدفع النار ، وتركب على عجل مستديرة ، وتحرك فتنجر ، وربما جعلت برجاً من الخشب ، ودبرفيها هذا التدبير ، وقديدفعها الرجال فتندفع على البكر» . وقد وصف (العماد الأصفهانى فى كتابه الفتح القسى ؛ وابن واصل ، مفرج الكروب ، مخطوطة كمبردج ، ص ٣٧٦ — ٣٧٧) إحدى دبابات الفرنج فقال إنها « كانت دبابة عظيمة هائلة ، ولها أربع طباق ، وهى خشب ورصاص وحديد ونحاس » انظر أيضا : (نعمان ثابت ، الجندية فى الدولة العباسية ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٦ ، حاشية ٨ ؛ Dozy, Sup. Dict. Arab.) .

(٣) المنجنيق — بفتح الميم وكسرها — أو المنجنوق ، أو المَنْجَمَيق ، والجمع مجانيق ومناجيق ، لفظ أعجمى معرب ، وهو آلة من آلات الحصار فى العصور الوسطى ، وقد وصفه صاحب صبح الأعشى (ج ٢ ، ص ١٤٤) بأنه « آلة من خشب لها دفّتان قائمتان ، بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف ، تجعل كِفة المنجنيق التى يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه ، ثم يُرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكِفّة فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئا إلا أهلكه » . وانظر أيضا لتفسير اللفظ وأصله اللغوى : (الجواليقى ، المعرّب من الكلام الأعجمى ، ص ٣٠٥ — ٣٠٧) وفى كتاب (آثار الأول ، ص ١٩١ — ١٩٣) وصف وافٍ ممتع للمنجنيق وطرق استعماله ؛ انظر أيضا : (نعمان ثابت ، الجندية فى الدولة العباسية ، ص ١٩٠ — ١٩٣) .

فلما كان فى شهر رمضان مات القائم ، وقام من بعده ابنه المنصور ، فكتم موت أبيه خوفاً من أبى يزيد ؛ وعمل المراكب وشحنها بالرجال ، وسيّرها إلى سوسة (١) ، وسار بنفسه إليها ، ثم عاد ، وقدمت المراكب فواقعت أبا يزيد حتى انهزم هو وأصحابه ، وأحرقوا خيامه ، فدخل أبو يزيد إلى القيروان ، وفرّ (٢١ ب) البربر على وجوههم ، فمات أكثرهم جوعاً وعطشاً .

ومنع أهلُ القيروان أبا يزيد من دخول البلد ، وحصروا عاملها بها ، فالتحق به ، وأخذ أبو يزيد امرأته — أم أيوب — وتبعه أصحابه بعيالاتهم إلى سبيبة — وهى على يومين من القيروان — فنزلوها .

ذكر ملك المنصور مدينة القيروان

وانهزام أبى يزيد (٢)

وسار المنصور إلى مدينة سوسة لسبع بقين من شوال ، و بعث فنادى فى الناس بالأمان ، ورحل إلى القيروان لست بقين من شوال فخرج إليه الناس فأمّنهم ؛ ووجد بالقيروان حرماً وأولاداً لأبى يزيد ، فحماهم [إلى المهدية] (٣) وأجرى عليهم الأرزاق .

---

(١) انظر تفصيلات وافية عن القتال حول سوسة فى : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٧٠) .

(٢) الكلام متصل فى الأصل ، والعنوان عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٧٠) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن الأثير .

وجمع أبو يزيد العساكر ، وبعث سريَّة [إلى القيروان] (١) يتخبرون له ، فأرسل إليهم المنصور سريَّة ، فالتقوا واقتتلوا ، وهزموا أصحاب المنصور ، وبلغ الناسَ ذلك فتسرعوا إلى أبي يزيد ، وكثر جمعه ، وزحف إلى القيروان ، فواقعه المنصور حتى ظفر وباشر بنفسه القتال ، وجعل يحمل يمينا وشمالا ، والمظلة (٢) على رأسه كالعلم ، ومعه نحو خمسمائة فارس ، وأبو يزيد فى قدر ثلاثين ألفا ، فانهزم أصحاب المنصور هزيمة عظيمة حتى دخلوا الخندق ، وبقى المنصور فى نحو عشرين فارساً ، وقصده أبو يزيد ، فلما رآه شهر سيفه ، وثبت مكانه ، وحمل بنفسه على أبي يزيد حتى كاد يقتله ، فولى أبو يزيد هاربا ، وقتل المنصور مَنْ أدرك منهم ، وتلاحقت به العساكر ، فقتل من أصحاب أبي يزيد خلقا كثيرا ؛ وكان يوما من الأيام المشهورة التى لم يكن فيما مضى من الأيام مثله ، وعاين الناس من شجاعة المنصور ما لم يظنوه فزادت مهابته فى قلوبهم .

ورحل أبو يزيد عن القيروان أواخر ذى القعدة [سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة] ، ثم عاد إليها غير مرة فلم يخرج إليه أحد ، ونادى المنصور : « من أتى برأس أبي يزيد فله عشرة آلاف دينار » ، وأذن للناس فى قتال أبي يزيد ، فجرى قتال شديد انهزم فيه أصحاب المنصور حتى دخلوا الخندق ،

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن الأثير .

(٢) عرف القلقشندى (ج ٤ ، ص ٧ و ٨) المظلة بأنها « قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة ، مطلية بالذهب ، تحمل على رأس السلطان فى العيدين » . ثم قال بأنها كانت تستعمل فى العهد المملوكى وأنها من بقايا الدولة الفاطمية . ويُفهم من المتن هنا أنهم كانوا يستعملونها فى المغرب أولا . انظر أيضا : (نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٤٦٩) .

ثم عادوا فهزموا أصحاب أبي يزيد ، وافترقوا وقد انتصف بعضهم من بعض ، وكثرت القتلى من الفريقين ، وعادت الحروب بينهما غير مرة ، وأبو يزيد يبعث السرايا فيقطع الطريق بين المهدية والقيروان وسوسة .

ثم إنه بعث إلى المنصور يسأل [أن يسلم إليه[١]] حرمه وعياله الذين خلفهم بالقيروان وأخذهم المنصور ، ليدخل فى طاعته ، على أن يؤمنه وأصحابه ، وحلف على ذلك بأغلظ الأيمان ، فسيّر إليه المنصور عياله مكرمين بعد أن وصلهم وكساهم . فلما وصلوا إليه نكث ، وقال : « إنما وجّههم خوفاً منى » .

وانقضت سنة أربع (٢٢ ا) وثلاثين وهم على حالهم ، ففى خامس المحرم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة زحف أبو يزيد . وركب المنصور ، وكان بينهما قتال ما سُمع بمثله ، وحملت البربر على المنصور ، وحمل عليها ، وجعل يضرب فيهم ، فانهزموا بعد أن قُتل خلق كثير .

فلما انتصف المحرم عبي المنصور عسكره ، فجعل على ميمنته أهل إفريقية ، وعلى ميسرته كتامة ، وركب فى القلب ومعه عبيده وخاصته ، فوقع بين الفريقين قتال شديد وحمل أبو يزيد على ميمنة المنصور فهزمها ، ثم حمل على القلب فوقع إليه المنصور ، وقال : « هذا يوم الفتح إن شاء الله تعالى » ، وحمل فيمن معه حملة رجل واحد ، فانهزم أبو يزيد ، وأخذت السيوف أصحابه فولوا منهزمين ، وأسلموا أثقالهم ، وفر أبو يزيد على وجهه وقد قُتل من أصحابه مالا يحصى كثرةً ، حتى أن الذى أخذه أطفال أهل القيروان خاصة من رؤوس القتلى عشرة آلاف رأس .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٧١) .

ذكر قتل أبي يزيد[١]

وأقام المنصور يتجهز ثم رحل أواخر ربيع الأول فأدرك أبا يزيد ففرَّ منه فتبعه ، وصار كلما قصد أبو يزيد موضعا يتحصن فيه يسبقه[٢] المنصور إليه ، واستأمن بعضُ أصحابه فأمَّنه المنصور ، واستمرَّ الهرب بأبي يزيد حتى وصل إلى جبل البربر ، وأهله على مذهبه ، وسلك الرمال ، فاجتمع معه خلق كثير ، وواقع عسكر المنصور ، فهزم الميمنة عليه المنصورُ بنفسه فانهزم ، وتبعه المنصور إلى جبال وعرة وأودية عميقة خشنة الأرض ، فمنع الأدلاءُ المنصورَ من سلوك تلك الأرض ، وقالوا إنه لم يسلكها جيش قط .

واشتد الأمر على عسكر المنصور ، فبلغ عليق كل دابة دينارا ونصفاً ، وبلغت قربة الماء دينارا ؛ هذا وما وراء ذلك رمال وقفار وبلاد السودان التي ليس فيها عمارة ، وقيل للمنصور : « إن أبا يزيد اختار الموت جوعا وعطشا على القتل بالسيف » ، فلما سمع المنصور ذلك رجع إلى بلاد صنهاجة ، فاتصل به الأمير زيري بن منادٍ الصنهاجي بعساكر صنهاجة ، فأكرمه المنصور ، وأتته الأخبار بموضع أبي يزيد من الرمال .

ونزل بالمنصور مرض شديد أُشفي منه ، فلما أفاق من مرضه رحل إلى المسيلة ثاني رجب ، فإذا أبو يزيد قد سبقه إليها لما سمع بمرض المنصور وهو يحاصرها ، فلما علم بالمنصور هرب منه يريد بلاد السودان ، فخدعه

---

(١) الكلام متصل في الأصل ، والعنوان عن : (ابن الأثير : ج ٨ ، ص ١٧١).

(٢) في الأصل : « تسبقه » .

بنو كملان — هم وهوارة — ومنعوه من ذلك ، وأصعدوه إلى جبال كتامة [وعجيسة][١] وغيرهم (٢٢ ب) ، وتحصن بها ، واجتمع إليه أهلها ، وصاروا ينزلون ويتخطفون الناس ، فسار المنصور عاشر شعبان إليه ، فلم ينزل أبو يزيد ، فلما أخذ المنصورُ فى العود ، نزل أبو يزيد إلى ساقة العسكر ، فرجع المنصور ، ووقعتِ الحرب ، فانهزم أبو يزيد ، وأسلم أولادَه وأصحابَه ، وأدركه فارسان فعقروا فرسه ، فسقط عنه ، فأركبه بعض أصحابه ، وأدركه الأمير زَيْرى فطعنه وألقاه ، وكثر عليه القتال حتى خلصه أصحابه ، وخلصوا به ، وتبعهم المنصورُ فقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف .

وسار المنصور فى أثره أول رمضان ، فاقتتلوا أشد قتال ، ولم يقدر أحد الفريقين على الهزيمة لضيق المكان وخشونته ، ثم انهزم أبو يزيد ، وطلع أصحابه على رؤوس الجبال يرمون بالصخر ، واشتد الأمر حتى تواخزوا[٢] بالأيدى ، وكثر القتل حتى ظنوا أنه الفناء ، وافترقوا على السواء .

والتجأ أبو يزيد إلى قلعة [كتامة وهى][٣] منيعة فاحتمى بها ، وأقبلت هوّارة وأكثر مَنْ مع أبى يزيد يطلبون الأمان ، فأمَّنهم المنصور ، وسار فحصر القلعة ، وفرّق جنده حولها ، فناشبه [أصحاب][٣] أبى يزيد القتال ، وزحف إليها المنصور غير مرة حتى ملك بعض أصحابه مكانا من القلعة ، وألقوا فيها النيران ، فانهزم أصحاب أبى يزيد وقتلوا قتلا ذريعا ، وامتنع

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٧٢) .

(٢) فى الأصل : « تواخذوا » .

(٣) زيد ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٧٣) .

أبو يزيد وأولاده فى قصر بالقلعة ومعه أعيان أصحابه ، فاجتمع أصحاب المنصور ، وأحرقوا شعارى الجبل حتى لا يهرب أبو يزيد فصار الليل كالنهار.

فلما كان آخر الليل خرج أصحاب أبى يزيد وهم يحملونه على أيديهم ، وحملوا على الناس حملة منكرة ، فأفرجوا لهم ، ونجوا به ؛ ونزل من القلعة خلق كثير ، فأُخذوا وأخبروا بخروج أبى يزيد ، فأمر المنصور بطلبه ، وقال : « ما أظنه إلا قريبا منا » . فبينما هم كذلك إذ[1] جاء الخبر أن ثلاثة من أصحاب أبى يزيد حملوه من المعركة لقبح[2] عرجه ، فذهب لينزل من الوعر فسقط فى مكان [صعب][3] ، فأُخذ وحُمل إلى المنصور يوم الأحد لخمس بقين من المحرم ، و به جراحات . فلما رآه سجد لله شكرا ، وقدم به الناس يكبرون حوله ، فأقام عنده إلى سلخ المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، فمات من جراح كانت به ؛ فأمر [المنصور] بادخاله فى قفص عمل له ، وجعل معه قردين يلعبان عليه ، وأمر بسلخ جلده ، وحشاه تبنا ؛ وكتب إلى سائر البلاد بالبشارة .

وخرج عليه — بعد أبى يزيد — عدة خوارج ، فظفر بهم ، ثم عاد المنصور إلى المهدية فى شهر رمضان سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .

---

(١) فى الأصل : « ان » والتصحيح عن ابن الأثير .

(٢) فى الأصل : « لفتح » ، والتصحيح عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٧٣).

(٣) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير .

ذكر وفاة القائم

وولاية المنصور (١)

وكانت وفاة القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدى لثلاث عشرة خلت من (١٢٤) شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وقام بالأمر من بعده ابنه أبو الطاهر إسماعيل المنصور بنصر الله، وكتم موته خوفاً أن يعلم أبو يزيد، فإنه كان على سوسة قريباً منه، فأبقى الأمور على حالها، ولم يتسمّ بالخليفة، ولا غيَّر السكة ولا الخطبة ولا البنود، وبقي كذلك حتى فرغ من أمر أبي يزيد، فلما فرغ منه أظهر موت أبيه، وتسمى بالخلافة، وعمل آلات الحرب [والمراكب، وكان شهماً شجاعا، وضبط الملك والبلاد (٢)].

ويُقال إن القائم لم يَرْقَ منبراً (٣)، ولا ركب دابةً لصيد (٤) منذ

---

(١) الكلام متصل فى الأصل، أما ابن الأثير فقد انتهى من الحديث عن أبي يزيد بنهاية الفصل الماضى، انظر: (ج ٨، ص ١٧٣)، ثم بدأ الحديث عن القائم تحت هذا العنوان فى: (ج ٨، ص ١٧٩).

(٢) أضفنا بين الحاصرتين عن: (ابن الأثير، ج ٨، ص ١٧٩)، وبهذه الجملة ينتهى نقل المقريزى عن ابن الأثير فى هذا الموضوع، وما يلى كلام المقريزى نفسه وهو يشبه فى بعضه ما ذكره المؤلف نفسه عن القائم فى كتابه (الخطط، ج ٢، ص ١٦٣).

(٣) فى الأصل: «سريرا»، وهذا اللفظ عن: (الخطط، ج ٢، ص١٦٣) وهو أصح.

(٤) فى الأصل: «دابة صيد» والتصحيح عن الخطط.

أفضى إليه الأمر حتى مات ؛ وإنه صلى مرة على جنازة ، ومرة صلى العيد بالناس (١) .

وكانت مدة خلافته ثنتى عشرة سنة ، وسبعة (٢) أشهر ، واثنى عشر يوماً ؛ وعمره ثمانياً وخمسين سنة ، وقيل أربعاً وخمسين سنة ، وتسعة أشهر وستة أيام .

وأولاده : أبو الطاهر إسماعيل ، وأبو عبد الله جعفر — ومات فى أيام المعز — ، وحمزة (٣) ، وعدنان ، وأبو كنانة — قبضوا بالمغرب — ، ويوسف — مات ببرقة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة — ، وعبد الجبار — توفى بمصر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة — ، وأربع بنات . وترك سبع سرارى .

وكانت قضاته : إسحاق بن أبى المنهال ، ثم مات فولى أحمد بن يحيى — وقتله أبو يزيد لما فتح إفريقية فى صفر سنة ثلاث وثلاثين — ، ثم أحمد بن الوليد .

ونقش خاتمه : « بنصر الدائم ، ينتصر الإمام أبو القاسم » (١٢٣ ا)

وقال فيه أيوب بن إبراهيم :

يا ابنَ الإمامِ المُرْتَضَى وَابنَ الوَصِيِّ
المُصْطَفَى وابنَ النَّبِيِّ المُرْسَلِ

---

(١) فى الخطط : « وصلى مرة على جنازة ، وصلى بالناس العيد مرة واحدة » وهو أوضح .

(٢) فى الخطط : « وستة أشهر » .

(٣) فى الخطط : « أو حمزة » وما هنا أصح .

اللهُ أَعْطَاكَ الخِلاَفَةَ وَاهِـــبـاً
وَرَآكَ لِلإسْـلاَمِ (١) أَمْنَعَ مَعْقِلِ
نِلتَ الخِلاَفَةَ وَهْىَ أَعْـظَمُ رُتْبَةً
نِيلَتْ ، وَلَيْسَتْ مِنْ عُلاَكَ بِأَفْضَلِ
فَمنعْتَ حَوْزَتهـا وحُطتَ حَرِيمهَا
بِالمَشْرَفِيّـةِ والوَشِيجِ الذُّبَّلِ

وقال خليل بن إسحاق لما بعثه لقتال (٢) أبي يزيد :

وما وَدَّعْتُ خـيرَ الخَلْقِ طَرا
وَلاَ فَارَقْتُهُ عَنْ (٣) طِيبِ نَفْسِ
وَلـكِنِّى طَلَبْتُ (٤) بِهِ رِضَـاهُ
وَعفْوَ اللهِ يَوْمَ حُـلُولِ رَمْسِ
فعَاشَ مُمَلَّـكاً ما لاَحَ نجْـمٌ
عَلَى الثقَلَـيْنِ مِنْ جِنٍّ وإِنْسِ

---

(١) فى الأصل : « الإسلام » .
(٢) فى الأصل : « لقتالة » .
(٣) فى الأصل : « من أطيب » .
(٤) فى الأصل : « طابيت » .

المنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل

ابن محمد القائم بن عبيد الله المهدى

وُلد بالمهدية فى أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وقيل وُلد بالقيروان فى سنة اثنتين وثلاثمائة ، وقيل بل فى سنة إحدى وثلاثمائة .

وبويع له فى شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

وتوفى يوم الأحد الثالث وعشرين من شوال ، وقيل يوم الجمعة مع الظهر سلخ شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة . وسُترت وفاته إلى يوم الأحد سابع ذى الحجة منها .

وكان له من العمر إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر (١) .

وكانت ولايته الخلافة — بعد أبيه — ثمانى سنين ، وقيل : سبع سنين وعشرة أيام (٢) ؛ وقيل كان عمره تسعاً وثلاثين سنة .

وكان فصيحاً بليغاً خطيباً حاد الذهن ، حاضر الجواب ، بعيد الغور ، جيّد الحدس ، يخترع الخطبة لوقته . وأحواله التى تقدم ذكرها مع أبى يزيد وغيره تدل على شجاعته وعقله .

---

(١) فى : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٩٦) : « وكان عمره تسعا وثلاثين سنة » .

(٢) فى : (ابن خلكان ، الوفيات ، ج ١ ، ص١٣٦) : « وستة أيام » ؛ وفى : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٩٦) : « وستة عشر يوما » .

قال أبو جعفر أحمد بن محمد المَرْوَرُوذى (١) : « كنتُ مع المنصور فى اليوم الذى أظهره الله بمخلد بن كيداد أبى يزيد ، وهزمه ؛ فتقدمتُ إليه ، وسلمتُ عليه ، وقبلتُ يده ، ودعوت له بالنصر والظفر ، فأمرنى بالركوب — وقد جمع عليه سلاحه وآلة حربه ، وتقلّد سيف جده ذا الفقار ، وأخذ بيده رمحين — ، فحدثته ساعة ، فجال به الفرس ، وردّ أحدهما إلى يده اليسرى فسقط أحد الرمحين من يده إلى الأرض ، فتفاءلت له بالظفر ، ونزلت مسرعا ، فرفعت الرمحَ من الأرض ، ومسحته بكمى ، فرفعته إليه ، وقبلت يده ، وقلت :

فأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِها النوى
كَمَا قَرَّ عَيْناً بالإِيَاب المسَـــافِرُ

فأخذ [ا]منصور الرمح من يدى ، وقال : « هلاّ قلتَ ما هو خير من هذا وأصدق ؟ » قال ، قلت : «وما هو ؟» ، قال : قال الله عزّ وجل : « وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِـكُونَ (٢) ، فوَقَعَ الحقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ » (٣) ؛ قال : « فقلت : « يا مولانا : أنت ابن رسول الله ، و إمام

---

(١) المَرْورُذى نسبة إلى مَرْو الروذ وهى — كما ذكر ياقوت — : « مدينة قريبة من مرو الشاهجان ، بينهما خمسة أيام » ، ويُنسب إليها أيضا بمَرّوذى .

(٢) فى الأصل ، وفى (ابن خلكان ، ج ١ ، ص ١٣٥) : « فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون » وهى الآية ٤٥ من السورة ٢٦ (الشعراء) ولعله قد شبه على المؤلفين فخلطا بين هذه الآية وشبيهتها فى سورة الأعراف ، وقد آثرنا ذكر الأخيرة فهى والآيات اللاحقة من سورة واحدة .

(٣) الآيات ١١٧ — ١١٩ من السورة ٧ (الأعراف) .

الأمة ، عليكم نزل القرآن ، ومن بيتكم (٢٤ ب) درجت الحِكَم ، فقلت أنت بما عندك من نور النبوة ، وقال عبدك بما بلغه من علمه ومعرفته من كلام العرب وأهل الشعر» .

وكان الأمر كما قال ، فما هو إلا أن أشرف على عسكر أبى يزيد حتى ضرب الله فى وجوههم ، فقُتلوا ، وأُحرق عسكرهم وخيامهم بالنار ، وولّى أبو يزيد فى بقية أصحابه خائبين إلى داخل المغرب .

ولما صارت الخلافة إلى المنصور فى الشهر الذى توفى أبوه فيه لم يغير السكة ولا البنود ، وأقام على ذلك إلى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، فأظهر موت أبيه بعد أن ظفر بأبى يزيد .

وكان سبب وفاته : أنه خرج إلى سَفَاقُس (١) وتونس ، ثم إلى قَابِس (٢) ، وبعث يدعو أهل جِرْبَة (٣) إلى الطاعة فأجابوه ، وأخذ منهم رجالا وعاد ، وكانت سفرته شهراً ، وعهد إلى ابنه معدّ وجعله ولىّ عهده .

فلما كان شهر رمضان [سنة إحدى وأربعين] خرج متنزها إلى مدينة

---

(١) ذكر ياقوت أنها « مدينة من نواحى إفريقية جُل غلاتها الزيتون وهى على ضفة الساحل بينها وبين المهدية ثلاثة أيام وبين سوسة يومان وبين قابِس ثلاثة أيام ... إلخ » .

(٢) ذكر ياقوت أنها « مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر فيها نخل وبساتين غربى طرابلس الغرب ، بينها وبين طرابلس ثمانية منازل ... وكان فتحها مع فتح القيروان سنة ٢٧ » وقال البكرى : « وبين قابس والبحر ثلاثة أميال » .

(٣) جربة — بكسر الجيم أو فتحها — جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية قرب قابس . انظر : (ياقوت ، معجم البلدان) .

جَلُولاء[(١)] — وهو موضع كثير الثمار ، وفيه من الأُتْرُجّ مالا يحمل الجمل منه غير أربع أترجات لِعِظَمِه — فحمل منه إلى قصره . وكانت له [جارية][(٢)] حظية [عنده][(٢)] يحبها ، فلما رأت الأترج استحسنته ، وأحبت أن تراه فى أغصانه ، فأجابها إلى ذلك ، ورحل بها فى خاصته ، وأقام بها أياما ثم عاد إلى المنصورية ، فأصابه فى الطريق ريح شديد ، وبرد ومطر أقام أياما ، وكثر الثلج ، فمات جماعة ممن معه .

واعتلَّ المنصور علةً شديدة ، ووصل إلى المنصورية فأراد عبور الحمام فنهاه طبيبه إسحاق بن سليمان الإسرائيلى عن ذلك فلم يقبل [منه] ، ودخل الحمام ففنيت الحرارة الغريزية منه ، ولازمه السهر ، فأخذ طبيبه يعالج المرض دون السهر ، فاشتد ذلك على المنصور وقال لبعض خواصه : « أما فى القيروان طبيب غير إسحاق ؟ » فأحضر إليه شابا من الأطباء ، يقال له : « أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد بن الجزار » ، [فأمر بإحضاره ، وشكا إليه ما يجده من السهر][(٣)] ، فجمع له أشياء مخدرة[(٤)] ، [وجعلت فى قنينة على النار][(٣)] وكلفه شمها ، فنام ، وخرج وهو مسرور بما فعله ؛ فجاء إسحاق ليدخل على المنصور ، فقيل له إنه نائم ، فقال : « إن كان صُنع له شىء ينام منه فقد مات » ، فدخلوا عليه فإذا هو ميت ، فدُفن فى قصره .

---

(١) جلولاء مدينة بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلا كثيرة الرياحين والفواكه . انظر : (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٢) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٩٦) ، وفى : (ابن خلكان ، ج ١ ، ص ١٣٥) أن هذه الجارية كانت تسمى « قضيب » .

(٣) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٩٧) .

(٤) فى ابن الأثير وابن خلكان : « منوِّمة » .

وأرادوا قتل ابن الجزار الذى صنع له المنام ، فقام معه إسحاق ، وقال : « لا ذنب له ، إنما داواه بما ذكره الأطباء ، غير أنه جهل أصل المرض ، وما عرّفتموه ، وذلك أننى فى معالجته أقصد تقوية الحرارة الغريزية ، وبها يكون النوم ، فلما عُولج بما يطفئها علمتُ أنه قد مات » .

وكان نقش خاتمه : « بنصر الباطن الظاهر ، ينتصر الإمام أبو الطاهر »

وكان يُشَبَّه بأبى جعفر المنصور — من خلفاء بنى العباس — لأن كلاً منهما اختلت عليه الدولة ، وأصفقت (١) عليه الحروب ، وكاد يسل من الخلافة ، فهبت له ريح النصر ، وتراجع له أمره حتى لم يبق مخالف .

وأولاده : أبو تميم المعز لدين الله ، وحيدرة — مات بمصر فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وصلى عليه العزيز بالله — ، وهاشم — مات بمصر فى ربيع الأول سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، وصلى عليه العزيز بالله — ، وطاهر — مات فى المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة بالمغرب — ، وأبو عبد الله الحسين — مات بالمغرب — . وخمس بنات : هبة ، وأسما ، وأروى — مِتْنَ بمصر أيام المعز لدين الله — ، وأم سلمة — ماتت بمصر أيام العزيز بالله — ، وسمورة — ماتت بالمغرب — . وكان له أمهات أولاد ثلاث .

وقضاته : أحمد بن محمد بن أبى الوليد ، ثم محمد بن أبى المنصور ، ثم عبد الله بن هاشم ، ثم على بن أبى سفين ، ثم أبو محمد زُرَارة بن أحمد ، ثم أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمى ؛ وحاجبه جعفر بن على .

---

(١) أصفقت أى أطبقت . (القاموس) .

المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور

أبى الطاهر اسماعيل بن القائم أبى القاسم محمد بن عبيد الله المهدى

قال : ولى الأمر بعد أبيه سلخ شوال — وقيل يوم الجمعة سابع عَشَره — سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ؛ وأقام فى تدبير الأمور إلى سابع ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، فأذن للناس فدخلوا عليه وقد جلس لهم [على سرير ملكه](١) ، فسلموا عليه بالخلافة ، وكان عمره أربعاً وعشرين سنة .

ومولده بالمهدية على أربع ساعات وأربع أخماس ساعة من يوم الاثنين الحادى عشر من رمضان سنة سبع (٢) عشرة وثلاثمائة . ومدة أيامه ثلاث وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما .

فلما كان فى سنة اثنتين وأربعين جالت عساكره فى جبل أوراس ، وكان ملجأ كل منافق على الملوك ، يسكنه بنو كملان ، ومليلة ، وبعض هوّارة ، ولم يدخلوا فى طاعة من تقدمه ، فأطاعوا المعز ، ودخلوا معه البلاد ؛ وتقدم إلى نوابه بالإحسان إلى البربر ، فلم يبقَ منهم إلا مَنْ أتاه وشمله إحسان المعز ، فعظم أمره .

وفى سنة سبع وأربعين عظم أمر أبى الحسين جوهر عند المعز ، وعلا

(١) ما بين الحاصرتين عن : (ابن خلكان ، الوفيات ، ج ٢ ، ص ٥٤٧) .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى الخطط ، وفى ابن خلكان : « تسع عشرة » .

محله ، وصار فى رتبة الوزارة ؛ فسيَّره فى صفر منها على جيش كثيف فيهم الأمير زَيرى بن مُنَادٍ الصنهاجي وغيره ، فسار إلى تاهرت ، وحارب قوما وافتتح مدنا ، ونهب وأحرق ، وسار إلى فاس (١) ، فنازلها مدة ، وسار إلى سجلماسة ، وقد قام بها رجل (٢) وتلقب بالشاكر لله ، وخوطب بأمير المؤمنين ، ففرّ من جوهر فتبعه حتى أخذه أسيرا .

ومضى [جوهر] إلى البحر المحيط ، فأمر أن يُصاد من سمكه ، و بعثه فى قلال الماء إلى المعز ، وسلك ما هنالك من البلاد فافتتحها ، ثم عاد فقاتل أهل فاس حتى افتتحها عنوة (٣) ، وقبض على صاحبها ، وجعله مع صاحب سجلماسة فى قفصيْن ، وحملهما إلى المعز بالمهدية ، وعاد فى أخريات السنة .

وفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة كان إعذار (٤) المعز لدين الله الأمراء بنيه : عبد الله ، ونزار ، وعقيل ، فحين عزم على طهورهم كاتب عماله وولاته من لدن برقة إلى أقصى سجلماسة ، وما بين ذلك ، وما حوته مملكته إلى

---

(١) قال ياقوت هى « مدينة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، وهى حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش ... وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس » . وقال البكرى : « مدينة فاس مدينتان مفترقتان مسورتان وهى مدينتان : عدوة القرويين ، وعدوة الأندلسيين ... وأسست عدوة الأندلسيين فى سنة ١٩٢ ، وعدوة القرويين فى سنة ١٩٣ فى ولاية إدريس بن إدريس ... إلخ » .

(٢) يوجز المقريزى فى هذا الفصل عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٠٧) . واسم هذا الرجل هناك : « محمد بن واسول » .

(٣) المقريزى يوجز هنا أيضا عن (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٠٧) وهناك تفصيل طريف للقتال حول فاس وكيف سقطت المدينة ، ومما يستحق الملاحظة أن جيش الفاطميين استعمل السلاليم لتسلق أسوار المدينة والاستيلاء عليها فالشبه كبير بين وسائل الاستيلاء عليها ووسائل جيش عمرو للاستيلاء على حصن بابليون .

(٤) أعْذَرَ الغلامَ وعَذَرَه أى ختنه ، وللقوم عمل طعام الختان . (القاموس) .

جزيرة صقلية وما والاها، فى حضر وبدو، وبحر وبر، وسهل وجبل، بطهور مَنْ وُجد من أولاد سائر الخلق: حُرهم وعبدهم، وأبيضهم وأسودهم ودنيئهم وشريفهم، ومليِّهم وذميِّهم، الذين حوتهم مملكته، لمدة شهر وتوعّد عَلَى ترك ذلك، وأمرهم بالقيام بجميع نفقاتهم وكسواتهم، وما يُصلح أحوالهم من مطعم ومشرب وملبس وطيب وغيره بمقدار رتبهم وأحوالهم؛ فكان من جملة المنفق فى ذلك مما حمل إلى جزيرة صقلية وحدها من المال — سوى الخلع والثياب — خمسون حِمْلاً من[١] الدنانير، كل حمل عشرة آلاف دينار، ومثل ذلك إلى كل عامل من عمال مملكته ليفرقه على أهل عمله.

وابتدئ بالختان فى مستهل ربيع الأول منها، فكان المعز يُطهِّر فى اليوم من أيام الشهر بحضرته اثنى عشر ألف صبى وفوقها ودونها، وختن من أهل صقلية وحدها خمسة عشر ألف صبي، وكان وزن[٢] خِرَق الأكياس المفرغة مما أنفق فى هذا الإعذار مائة وسبعين قنطاراً[٣] بالبغدادى

واستدعى[٤] المعز — وهو بالمنصورية — فى يوم شاتٍ باردة الريح عدة شيوخ من شيوخ كتامة، وأمر بادخالهم إليه من غير الباب الذى جرى[٤] الرسم به، فإذا هو فى مجلس مربع كبير مفروش باللبود على مطارح، وحوله كساء، وعليه جبة، وحواليه أبواب مفتحة تفضى إلى خزائن كتب،

---

(١) فى الأصل: «حملات الدنانير». (٢) فى الأصل: «وزر».

(٣) هذا اللفظ من أصل لاتينى وهو: (quintale) ومقابله بالفرنسية والإسبانية والإنجليزية: (quintal).

(٤) فى الأصل: «واستدعا، وجرا». وقد أورد المقريزى هذه القصة أيضاً فى كتابه (الخطط، ج ٢، ص ١٦٤) مع اختلاف يسير فى الألفاظ.

و بين يديه مرفع ودواة ، وكتبٌ حواليه ، فقال : « يا إخواننا : أصبحت اليوم فى مثل هذا الشتاء والبرد ، فقلت لأم الأمراء — و إنها الآن بحيث تسمع كلامى — : أترى إخواننا يظنون أنا فى مثل هـذا اليوم نأ كل ونشرب ، ونتقلب فى المثقل(١) والديباج(٢) والحرير والفَنَك(٣) والسمور والمسك والخمر والغناء كما يفعل أرباب الدنيا ؟ ! ثم رأيت أن أنفـذ إليكم فأحضركم لتشاهدوا حالى إذا خلوت دونـكم واحتجبت عنكم ، (٢٥ ب) وإنى لا أفضلـكم فى أحوالـكم إلا فيما لا بدلى منه من دنيا كم ، و بما خصّنى الله به من إمامتكم ، وأنى مشغول بكتب ترد علىّ من المشرق والمغرب ، أجيب عنها بخطى ، وأنى لا أشتغل بشىء من ملاذ الدنيا إلا بما صان(٤) أرواحكم ، وعمّر(٤) بلادكم ، وأذلّ(٤) أعداءكم ، وقمع(٤) أضدادكم . فافعلوا يا شيوخ فى خلواتكم مثل ما أفعله ، ولا تظهروا التـكبر والتجبر فينزع الله النعمة عنكم ، و ينقلها إلى غيركم ، وتحننوا على مَنْ وراءكم ممن لا يصل إلىّ كتحننى عليكم ، ليتصل فى الناس الجميل ، و يكثر الخير ، و ينتشر العدل .

---

(١) المثقل من الثياب ما كان منسوجا بالذهب .

(٢) الديباج من أقدم الأقمشة الثمينة المعروفة فى الشرق قبل الإسلام ، وكان يصنع فى الصين وأرمينيا ، ويغلب أن يكون من الحرير ، انظر : (عبد العزيز مرزوق ، الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية ، ص ٣٩ ، هامش ٣) .

(٣) عرّف (Dozy; Sup. Dict. Arab.) الفَنَكَ بأنه نوع صغير جدا من الثعالب فى حجم القط ، يسكن الأقاليم الحارة فى إفريقية من الحبشة ودارفور إلى شمال القارة ؛ وجاء فى (محيط المحيط) أن « الفنك حيوان فروته أحسن الفراء وأعدلها ، قيل هو نوع من جراء الثعلب التركى ، وقيل يطلق على جرو ابن آوى فى بلاد الترك » . والمقصود باللفظ هنا الفراء لا الحيوان .

(٤) فى : (الخطط ج ٢ ، ص ١٦٤) : « يصون ، ويعمر ، ويذل ، ويقمع » .

وأَقْبِلُوا بعدها على نسائكم ، والزموا الواحدة التى تكون لكم ، ولا تشرهوا إلى التكثير منهن ، والرغبة فيهن ، فيتنغَّص عيشكم ، وتعود المضرة عليكم ، وتنهكوا أبدانكم ، وتذهب قوتكم ، وتضعف نحايزكم[١] . فحسب الرجل الواحد الواحدة ، ونحن محتاجون إلى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم ؛ واعلموا أنكم إذا لزمتم ما آمركم به رجوتُ أن يقرِّب الله علينا أمر المشرق كما قرَّب أمر المغرب بكم . انهضوا رحمكم الله ونصركم » .

وفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة أمر [المعز] بحفر الآبار فى طريق مصر ، وأن يُبنى له فى كل منزلة قصر ، ففُعِل ذلك .

وفى يوم الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة من السنة وردت النُجُب من مصر بموت كافور الإخشيدى يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الأولى[٢] .

واستدعى [المعز] يوما أباجعفر بن[٣] حسين بن مهذب — صاحب بيت المال — وهو بالمغرب ، فوجده فى وسط القصر جالساً على صندوق ، و بين يديه ألوف صناديق مبددة فى صحن القصر ؛ فقال له : «هذه صناديق مال ، وقد شذَّ عنى ترتيبها ، فانظرها ورتبها » ، [قال][٤] : « فأخذت أجمعها إلى

(١) نحايزكم أى أصولكم فالنحاز — بكسر النون وضمها — الأصل . (القاموس) .

(٢) يفهم من النص هنا أن كافور توفى فى العشرين من جمادى الأولى سنة ٣٥٥ والصحيح أن الوفاة حدثت فى هذا التاريخ من سنة ٣٥٧ . فهذا اليوم من سنة ٣٥٥ ليس يوم أربعاء وإنما هو يوم أربعاء فى سنة ٣٥٧ . انظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٠ ، ٢١ ؛ والتوفيقات الإلهامية) .

(٣) فى : (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٦٤) : « أبا جعفر حسين » .

(٤) ما بين الحاصرتين عن الخطط .

أن صارت مرتبة ، و بين يدىَّ(١) جماعة من خدام بيت المال والفراشين » ، وأنفذت إليه أعلمه ، فأمر برفعها فى الخزائن على ترتيبها ، وأن يغلق عليها ، وتُختم(٢) بخاتمه ، وقال : « قد خرجت عن خاتمنا وصارت إليك »(٣) .

وكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار ، وذلك فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، فأنفقها أجمع على العساكر التى سيّرها إلى مصر فى سنتى ثمان وتسع وخمسين — (*) مع القائد جوهر ، وكان رحيله فى رابع عشر ربيع الأول منها ، ومعه ألف حمل مال ، ومن السلاح والخيل والعُدد مالا يوصف ، فقدم جوهر إلى مصر ، ووصلت البشارة بفتحها فى نصف رمضان سنة ثمان وخمسين ، فسرَّ المعز سروراً كبيراً ، وأنشد ابن هانئ قصيدة أولها :

يقول بنو العباس هل فُتحت مصر(٤)

فقل لبنى العباس قد قضى الأمر

ولما وصلت البشارة من الشام بكسر عسكر أبى عبد الله الحسن بن أحمد القرمطى — المعروف بالأعصم(٥) — أنشد ابن هانئ قصيدة منها :

---

(١) فى الخطط : « وبين يديه » .

(٢) فى الأصل : « ويختم » والتصحيح عن الخطط .

(٣) فى الأصل وبعد هذه الجملة لفظ « ففعل » وهو غير موجود فى الخطط ، ووجوده يجعل المعنى مضطربا ، فآثرنا حذفه .

(٤) فى الأصل : « قد فتحت » والتصحيح عن الديوان .

(٥) أحد زعماء القرامطة ، ولد بالأحساء ، وفى سنة ٣٦٠ خرج إلى دمشق فاقتتل مع جيش جعفر بن فلاح وقتله بظاهر بدمشق ، وملك دمشق وولى عليها ظالم ابن موهوب العقيلى ثم عاد إلى بلاد هَجَر ؛ وهاجم مصر فى أوائل سنة ٣٦٢ ثم تقهقر إلى الشام ؛ مات بالرملة فى رجب سنة ٣٦٦ . انظر (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٣١ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٢٨) .

ما شئْتَ لا ما شَاءَتِ الأقدارُ   فاحكُمْ فأنتَ الواحدُ القهارُ

وأنشد أيضاً أخرى أولها :

وخيل[١] أمير المؤمنين مطلة   زاحمت تحت لوائها جبريلا —*)

وفى سنتى ستين و إحدى وستين ، وفى سنة اثنتين وستين قال : ولقد وصلنا إلى برقة ومعنا خمسون ألف دينار .

ولما أُنفذ جوهر إلى مصر ، و برز يريد المسير إلى مصر بعث [المعز][٢] خفيفا الصقلبى — صاحب السِتر[٣] — إلى شيوخ كتامة ، يقول : «يا إخواننا قد رأينا أن ننفذ رجالا من قبلنا إلى بلدان كتامة ، يقيمون بينهم و يأخذون صدقاتهم ومراعيهم ، و يحفظونها علينا[٤] فى بلادهم ، فإذا احتجنا إليها أنفذنا خلفها فاستعنا بها على ما نحن بسبيله » . فقال بعض شيوخهم لخفيف

---

(١) فى الأصل : « وعيل » وليس فى الديوان قصيدة تنتهى نفس النهاية إلا قصيدة واحدة مطلعها :

أتظن راحاً فى الشمال شمولا   أتظنها سكرى تجرُّ ذيولا

وليس فى هذه القصيدة بيت ينتهى بلفظ « جبريلا » إلا هذا البيت :

أمُديرَها من حيث دَارَ لشَدَّ ما   زاحمت حول ركابه جبريلا

انظر (الديوان ، ص ٥٦٠ ، ٥٦٦) .

(* *) هذه الفقرة كلها فقرة عرضية وردت فى الأصل بالهامش ، وحُدد لها هذا الموضع بالمتن بعلامة خاصة ، وهى غير موجودة فى الخطط ، وإنما الذى هناك : « التى سيّرها إلى مصر من سنة ثمان وخمسين إلى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة » .

(٢) ما بين الحاصرتين عن : (الخطط ، ج ٢ ، ص١٦٥) .

(٣) لعل المقصود بهذه الوظيفة أن صاحبها هو الذى كان يتولى أمر الستار التى تحجب الخليفة الفاطمى على عرشه حتى يتم إعداد المجلس — فى مجالسه العامة — ثم ترفع بعد ذلك .   (٤) فى الخطط : « عليهم » .

وقد بلّغهم ذلك — : « قل لمولانا : والله لا فعلنا هذا أبداً . كيف تؤدى كتامة الجزية ، ويصير عليها فى الديوان ضريبة ، وقد أعزّها الله قديما (١٢٦ ا) بالإسلام ، وحديثاً معكم بالإيمان [١] ، وسيوفنا بطاعتكم فى المشرق والمغرب ؟ » فعاد خفيف بذلك إلى المعز ، فأمر بإحضار جماعة كتامة ، فدخلوا عليه وهو راكب فرسه ، فقال : « ما هذا الجواب الذى صدر عنكم ؟ » فقالوا : « هذا جواب جماعتنا ، ما كنا يا مولاى بالذى يؤدى جزية تبقى علينا » . فقام [المعز] فى ركابه ، وقال : « بارك الله فيكم ، فهكذا أريد أن تكونوا ، وإنما أردت أن أجربكم [٢] ، فانظروا كيف أنتم بعدى إذا سرنا عنكم إلى مصر ، هل تقبلون هذا وتفعلونه وتدخلون تحته ممن يرومه منكم ، والآن سررتمونى بارك الله فيكم » .

وكتب إلى جوهر — وهو بمصر — من المغرب : « وأما ما ذكرت يا جوهر من أن جماعة من بنى حمدان وصلت إليك كتبهم ، يبذلون الطاعة ، ويعدون بالمسارعة فى السير إليك ، فاسمع لما أذكره لك : احذر أن تبتدئ أحداً من آل حمدان بمكاتبة — ترهيباً له ولا ترغيباً — ، ومن كتب إليك منهم فأجبه بالحسن الجميل ، ولا تستدعه إليك ؛ ومن ورد إليك منهم فأحسن إليه ، ولا تمكن أحداً منهم من قيادة جيش ولا ملك طرف ؛ فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء ، عليها مدار العالم وليس لهم فيها نصيب : يتظاهرون بالدين وليس لهم فيه نصيب ، ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم كرم فى الله ، ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم

---

(١) فى الأصل : « بالأمان » والتصحيح عن : « الخطط » .

(٢) فى الخطط : « اختبركم » .

للدنيا لا للآخرة ؛ فاحذر كل الحذر من الاستنامة إلى أحد منهم » .

ولما عزم [المعز] على المسير إلى مصر أجال فكره فيمن يخلفه بالمغرب ، فوقع اختياره على أبى أحمد جعفر بن على الأمير ، فاستدعاه ، وأسرَّ إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب ، فقال : « تترك[١] معى أحد أولادك أو أخوتك جالساً فى القصر وأنا أدبر ، ولا تسألنى عن شىء من الأموال ، لأن ما أجبيه يكون بإزاء ما أنفقه[٢] ، و إذا أردتُ أمراً فعلتُه ولم أنتظر ورود الأمر فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره من قبل نفسى » .

فغضب المعز وقال : « يا جعفر عزلتنى عن ملكى ، وأردت أن تجعل لى شريكا فى أمرى ، واستبددت بالأعمال والأموال دونى ؛ قم فقد أخطأت حظك ، وما أصبت رشدك » . فخرج .

واستدعى المعز يوسف بن زيْرى الصنهاجى ، وقال له : « تأهب لخلافة المغرب » ، فأكبر ذلك وقال : « يا مولانا : أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما صفا لكم المغرب ، فكيف يصفو لى وأنا صنهاجى بربرى ؟! قتلتنى يا مولانا بلا سيف ولا رمح » . فلم يزل به حتى أجاب ، وقال : « يا مولانا : بشريطة أن تولى القضاء والخراج لمن تراه (٢٦ ب) وتختاره ، والخبر لمن تثق به ، وتجعلنى أنا قائماً بين أيديهم ، فمن استعصى عليهم أمرونى به حتى أعمل فيه ما يجب ، ويكون الأمر لهم

---

(١) فى الأصل : « يترك » وما هنا عن : (الخطط ، ج ٢ ص ١٦٥) .

(٢) فى الأصل : « إذ كانِ ما أجبيه بازا ما أنفقه » وما هنا صيغة الخطط .

وأنا خادم بين ذلك » . فحسن هذا من المعز [وشكره ، فلما انصرف](١) قال له عم أبيه أبو طالب أحمد بن المهدى عبيد الله(٢) : « يا مولانا : وتثق بهذا الذى لى من يوسف أنه يفى بما ذكره ؟ » فقال [المعز] : « يا عمنا : كم بين قول يوسف وقول جعفر . واعلم يا عم أن الأمر الذى طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير إليه أمر يوسف ، فإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر ، ولكن هذا أولاً أحسن وأجود عند ذوى العقل ، وهو نهاية ما يفعله مَنْ ترك دياره » .

ووجَّهت أم الأمراء من المغرب بصبية ربتها لتُباع فى مصر ، فطلب الوكيل فيها ألف دينار ، فجاءت امرأة شابة على حمار ، فلم تزل حتى اشترتها منه بستمائة دينار ، [فإذا هى ابنة الإخشيد محمد بن طغج ، وقد بلغها خبرهذه الصبية ، فلما رأتها شغفتها حباً ، فاشترتها لتستمع بها](٣) ، فلما عاد [الوكيل] أخبر المعز بذلك ، فأمر بإحضار الشيوخ ، وأمر الرجل فحدثهم بخبر الجارية ، ثم قال : « يا إخواننا انهضوا إليهم ، فلن يحول بينكم و بينهم شىء ، و إذا كان القوم قد بلغ بهم الترف إلى أن صارت امرأة من بنات ملوكهم تخرج وتشترى لنفسها جارية تتمتع بها فقد ضعفت نفوس رجالهم ، وذهبت الغيرة منهم ، فانهضوا بنا إليهم » . فقالوا : « السمع والطاعة » ، فقال : خذوا فى حوائجكم ، فنحن نقدم الاختيار لمسيرنا إن شاء الله » .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن : (الخطط ، ج ٢ ص ١٦٦)

(٢) فى الخطط : « بن القائم بأمر الله » والصواب ما هنا لأن ابن القائم يكون عم المعز لا عم أبيه .

(٣) فى الأصل : « وقيل له يا مغربى : بنت الأخشيد اشترت الجارية تتمتع بها ، وهى ست كافور » وما هنا عن : (الخطط ، ج ٢ ص ١٦٦) وهو أوضح .

ولما عزم المعز على الرحيل إلى مصر أتاه بُلُكّين[(١)] بن زيرى بألفى جمل من إبل زناتة ، وحمل ماله بالقصور من الذخائر ، وسبك الدنانير على شكل الطواحين ، جعل على كل جمل قطعتين فى وسط كل قطعة ثقباً يُجمع به القطعة إلى الأخرى ، فاستعظم ذلك الجند والرعية ، وصاروا يقفون فى الطرق لرؤية بيت المال المحمول ، وخرج المعز من المغرب[(٢)] يوم الإثنين لثمان بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، وخرج من المنصورية ومعه بُلُكّين — واسمه يوسف — إلى سردانية[(٣)] من بلاد إفريقية ، فسلم إليه إفريقية والمغرب يوم الأربعاء لتسع بقين من ذى الحجة ، وأمر سائر الناس له بالسمع والطاعة ، وفوّض إليه أمور البلاد ، ما خلا جزيرة صقلية — فإنه [ترك] أمرها الحسن بن على بن أبى الحسين[(٤)] — ، وطرابلس وأعمالها .

---

(١) كان بلكين زعيم قبيلة صنهاجة وهى من أكثر القبائل المغربية إخلاصا وتأييدا للفاطميين ، وقد ولاه المعز حكم المغرب نيابة عنه عند خروجه إلى مصر كما هو واضح بالمتن هنا ، وتوفى فى ٢١ ذى الحجة سنة ٣٧٣ فى مكان بين سجلماسة وتلمسان وخلفه على المغرب ابنه المنصور . أنظر : (دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « بلكين » وما بها من مراجع) .

(٢) فى الأصل « المغرب »

(٣) سردانية قرية قريبة من القيروان ، وعرفها البكرى (المغرب ٢ ص ٣٢) بأنها موضع من أجل مواضع إفريقية فيه ثمار كثيرة وفيه من النارنج خاصة نحو ألف أصل .

(٤) الحسن بن على بن أبى الحسين هو ثالث من تولى حكم صقلية من الأسرة الكلبية ، وقد حكمها مرتين : من سنة ٣٣٦ إلى ٣٤١ ثم من ٣٥٣ إلى ٣٥٩ . والمذكور فى المتن هنا أنه هو الذى كان يلى حكم صقلية عند خروج المعز إلى مصر أى فى أواخر سنة ٣٦١ ؛ والذى تذكره المراجع أن حاكم صقلية من ٣٥٩ إلى ٣٧١ هو ابنه على بن الحسن بن على . أنظر : (Zambaur, Op. Cit. PP. 67-69.)

وقال له : « إن نسيتَ ما وصيناك به ، فلا تَنْسَ ثلاثة أشياء : إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية ، ولا ترفع السيف عن البربر ، ولا تُولِّ أحداً من إخوتك و بنى عمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك ، وافعل مع أهل الحاضر خيراً » وفارقه .

وكان قيصر ومظفر الصقلبيان عند المنصور (١) والمعز ، وكان المظفر يدلّ على المعز لأنه علّمه الخط وهو صغير ، فاتفق أنه حرد يوماً ، فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلبية استراب منها ، فأخذ المعز نفسه بحفظ اللغات (٢) ، فابتدأ بالبربرية فأحكمها ، ثم بالرومية ، ثم بالسودانية [حتى أتقنهما ، ثم أخذ يتعلم] (٣) الصقلبية ، فمرت به تلك الكلمة فيها ، فإذا هى شتمة ، فبقيت فى نفسه حتى قتلهما (٤) .

و بلغه — وهو بالمغرب — أمر الحرب بين بنى حسن و بنى جعفر بن أبى طالب [بالحجاز] ، وأنه قُتل من بنى حسن أ كثرُ ممن (٥) قَتَلَ بنو حسن من بنى جعفر ، فأنفذ مالا ورجالا سراً سعوْا بين الطائفتين حتى اصطلحتا (٦) ، وتحملوا الحمالات عنهما .

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى الخطط : « عند المنصور والد المعز » .

(٢) كذا بالأصل ، وفى (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٦٦) : « .. استراب منها ولقنها منه ، وأنفت نفسه من السؤال عن معناها ، فأخذ يحفظ اللغات .. » .

(٣) فى الأصل : « ثم استدعا الصقلبية » وما هنا صيغة الخطط وهى أوضح .

(٤) كذا بالأصل ، وفى الخطط : « فاذا هى سب قبيح ، فأمر بمظفر فقتل من أجل تلك الكلمة » .

(٥) فى الأصل « مما » والتصحيح عن الخطط ، وانظر البيان الوافى عن ولاة مكة الأشراف العلويين من بنى الحسن فى : (Zambour Op Cit. P. 21)

(٥) فى الأصل : « اصطلحوا » والتصحيح عن الخطط :

وكان فاضل القتلى لبنى حسن عند بنى جعفر سبعين قتيلاً فأدى القوم ذلك إليهم، وعقدوا بينهم فى المسجد الحرام صلحا، وتحملوا دياتهم من(١) مال المعز، وذلك فى سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة؛ فصار ذلك جميلا عند بنى حسن للمعز، فلما دخل جوهر مصر بادر حسن بن جعفر الحسنى فملك مكة ودعا للمعز، وكتب إلى جوهر بذلك، فبعث بالخبر إلى المعز، فأنفذ من المغرب إليه بتقليده الحرم وأعماله.

(١٢٧) ذكر بناء القاهرة

قال أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق(٢) الفقيه المصرى فى كتاب «إتمام أخبار أمراء مصر للكندى» — رحمهما الله —: «وفى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة صحت الأخبار بمسير عساكر المعز لدين الله من المغرب إلى مصر، عليها عبده جوهر، وكانت بمصر للمعز دعاة استدعوا خلقا فى البلد؛ وكانوا يقولون: «إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا

(١) فى الأصل: «فى» والتصحيح عن الخطط.

(٢) الحسن بن زولاق (٣٠٦ — ٣٨٧ = ٩١٩ — ٩٩٧) مؤرخ مصرى عاصر الدولتين الإخشيدية والفاطمية، له مؤلفات هامة منها هذا الذى ينقل عنه المقريزى، وذيل آخر على قضاة الكندى وله أيضا «العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج» الذى نقله عنه باختصار ابن سعيد فى «المغرب فى حلى المغرب»، ولعل أهم مؤلفاته «سيرة المعز لدين الله» غير أن مؤلفات ابن زولاق لم تصلنا للأسف وإنما وصلت شذرات منها تدل على أهميتها القصوى فى المؤلفات المتأخرة؛ انظر ما يلى عند كلام المقريزى عن المعز فإنه ينقل فصلا كبيرا عن «سيرة المعز» السالف ذكرها.

المعز لدين الله الأرض[١] كلها ، و بيننا و بينكم الحجر الأسود — يعنون كافور الأخشيد — » فلما مات كافور أنفذ المعز إلى دعاته بنوداً ، وقال : « فرقوها على من يبايع من الجند ، وأمرهم إذا قربت العساكر ينشرونها فلما قربت العساكر من الاسكندرية جمع الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات[٢] الناسَ وشاورهم ، فاتفقوا على مراسلة جوهر ، وأن يشترطوا عليه شروطا ، وأنهم يسمعوا له ويطيعونه ، ثم اجتمعوا على محاربته ، ثم انحل[٣] ذلك ، وعادوا إلى المراسلة بالصلح .

وكانت رسل جوهر ترد سراً إلى ابن الفرات ، ثم اتفقوا على خروج أبى جعفر مسلم الحسينى ، وأبى إسماعيل الرسىّ ، ومعهما القاضى أبو طاهر [الذُّهْلى][٤] وجماعة ، فبرزوا إلى الجيزة لاثنتى عشرة بقيت من رجب ،

(١) فى : (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٧٢) : « الدنيا كلها » .

(٢) جعفر بن الفرات (٣٠٨ — ٣٩١) كان أبوه وزير المقتدر بالله الخليفة العباسى ، ثم وفد هو إلى مصر ، ووزر بها لأنوجور بن أبى بكر الإخشيد ثم لأخيه أبى الحسن على ، ثم لكافور وبقى وزيرا إلى أن انتهت الدولة الإخشيدية وفتح الفاطميون مصر ، ويُقال إن المعز لما أتى إلى مصر عرض عليه الوزارة فامتنع ، فقال : إذا لم تل لنا شغلا فيجب ألا تخرج عن بلادنا ، فإنا لا نستغنى أن يكون فى دولتنا مثلك » ، فأقام بها ولم يرجع إلى بغداد ؛ وجعفر هذا هو الذى استجلب الدارقطنى من بغداد إلى مصر ، وأنفق عليه نفقة واسعة ، وله صنف مسنده ، وقد مات جعفر فى عهد الحاكم فحمل تابوته إلى المدينة ودفن بها حسب وصيته ، وقد ولى ابن له الوزارة للحاكم (سنة ٤٠٥) فقتله بعد خمسة أيام من ولايته . انظر بقية أخبار جعفر فيما يلى هنا ، وفى : (ياقوت ، معجم الأدباء) .

(٣) فى الأصل : « انخل » .

(٤) ما بين الحاصرتين عن : (وفيات الأعيان وشذرات الذهب) وهو محمد ابن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير .

ولم يتأخر عن تشييعهم قائد ولا كاتب ولا عالم ولا شاهد ولا تاجر ، وساروا فلقوا جوهر بتَرّوجة(١) ووافقوه ، واشترطوا عليه ، فأجابهم إلى ما التمسوه ، وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من جوهر الكاتب — عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله — صلوات الله عليه — لجماعة أهل مصر الساكنين بها ، من أهلها ومن غيرهم ، أنه قد ورد من سألتموه الترسل والاجتماع معى ، وهم : أبو جعفر مسلم الشريف — أطال الله بقاه — وأبو إسماعيل الرسى — أيّده الله — ، وأبو الطيب الهاشمى — أيّده الله — وأبو جعفر أحمد ابن نصر — أعزه الله — والقاضى — أعزه الله — ؛ وذكروا عنكم أنكم التمستم كتابا يشتمل على أمانكم فى أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم ، فعرّفتهم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وحُسْن نظره لكم ، فلتحمدوا الله على ما أولاكم ، وتشكروه على ما حماكم ، وتدأبوا فيما يلزمكم ، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم ، العائدة بالسعادة عليكم ، وبالسلامة لكم ، وهو أنه — صلوات الله عليه — لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة ، والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم ، إذ قد تخطفتكم الأيدى ، واستطال عليكم المستذل

---

(١) حقق المرحوم محمد رمزى بك موقع هذه القرية فى (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، هامش ٣) بقوله : « هذه القرية كانت موجودة لغاية القرن التاسع الهجرى حيث وردت فى كتاب التحفة السنية لابن الجيعان ، ص ١٢٤ ، وقد درست مساكنها ، ومحلها كوم تروجة بحوض تروجة بأراضى زاوية صقر بمركز أبى المطامير بمديرية البحيرة » .

وأطمعته[١] نفسه بالاقتدار على بلدكم فى هذه السنة ، والتغلب (٢٧ ب) عليه وأَسْرِ مَن فيه ، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله فى غيركم من أهل بلدان المشرق ، وتأكد عزمه ، واشتد كَلَبه ، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — بإخراج العساكر المنصورة ، وبادره بإنفاذ الجيوش المظفرة دونكم ، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق ، الذين عَمَّهم الخزى ، وشملتهم الذلة ، واكتنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا واتصل عندهم الخوف ، وكثرت استغاثتهم ، وعظم ضجيجهم وعلا صراخهم ، فلم يُغثهم إلا من أرمضه أمرهم ، ومضه حالهم ، وأبكى عينه ما نالهم ، وأسهرها ما حلَّ بهم ، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — فرجا — بفضل الله عليه ، وإحسانه لديه ، وما عوّده وأجراه عليه — استنقاذَ مَنْ أصبح منهم فى ذل مقيم ، وعذاب أليم ؛ وأن يؤمن من استولى عليه المَهَل[٢] ، ويفرخ رَوْعَ من لم يزل فى خوف ووجل ؛ وآثر إقامة الحج الذى تعطّل وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولى عليهم ، وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ، وإذ قد أوقع بهم مرة بعد أخرى ، فسفكت دماؤهم ، وابتزت أموالهم ، مع اعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات ، وقطع عيث العائثين فيها ، ليتطرق الناس آمنين ، ويسيروا مطمئنين ، ويتحفوا بالأطعمة والأقوات ، إذ كان قد انتهى إليه — صلوات الله عليه — انقطاع طرقاتها ، لخوف مادتها ، إذ لا زاجر للمعتدين ، ولا دافع للظالمين .

---

(١) فى الأصل : « والممعته » .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعلها « الوَهْل » أى الفزع .

ثم تجويد السكة[١] ، وصرفها إلى العيار الذى عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة ، وقَطْع الغش منها ، إذ كانت هذه الثلاث خصال هى التى لا يتسع لمن ينظر فى أمور المسلمين إلا إصلاحها ، واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها .

وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — إلى عبده من نَشر العدل ، و بسط الحق ، وحَسْم الظلم ، وقَطْع العدوان ، ونفى الأذى ، ورفع المؤن ، والقيام فى الحق ، و إعانة المظلوم مع الشفقة والإحسان وجميل النظر ، و كرم الصحبة ، ولطف العشرة ، وافتقاد الأحوال ، وحياطة أهل البلد فى ليلهم ونهارهم ، وحين تصرفهم فى أوان ابتغاء معاشهم ، حتى لا تجرى أمورهم إلا على مالَمَّ شعثهم ، وأقام أودهم ، وأصلح بالهم ، وجمع قلوبهم وألّف[٢] كلمتهم على طاعة وليّه مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وما أمر به (١٢٨) مولاه من إسقاط الرسوم الجائرة التى لا يرتضى — صلوات الله عليه — باثباتها عليكم .

وأن أجريكم فى المواريث على كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه — ، وأضع ما كان يؤخذ من تركات[٣] موتاكم لبيت المال من غير

(١) عرف الماوردى (الأحكام السلطانية ، ص ١٤٩) السكة بأنها « الحديدة التى يطبع عليها الدراهم ، ولذلك سميت الدراهم المضروبة سكة » ، وقد شرح المقريزى (كتاب الأوزان والأكيال الشرعية — Tychsen — ص ٨٦) لفظ السكة بأن « الدينار والدرهم المضروبين ، سمى كل منهما سكة ، لأنه طبع بالحديدة المعلمة ، ويقال لها السكة ، وكل مسمار عند العرب سكة » .

(٢) فى الأصل : « واللف » .

(٣) فى الأصل « بركات » .

وصيّة من المتوفى بها ، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال .

وأن أتقدم فى رمّ مساجدكم ، وتزيينها بالفرش والإيقاد ، وأن أعطى مؤذنيها وقَوَمَتها ومَنْ يؤم الناس فيها أرزاقَهم ، وأدرها عليهم ، ولا أقطعها عنهم ، ولا أدفعها إلا مِنْ بيت المال ، لا بإحالة على من يُقبض منهم .

وغير ما ذكره مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — مما ضمنه كتابه هذا [ما ذكره] (١) مَنْ ترسل عنكم — أيدهم الله ، وحباكم (٢) أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — من أنكم ذكرتم وجوهاً التمستم ذكرها فى كتاب أمانكم ، فذكرتها إجابة لكم ، وتطميناً لأنفسكم ، [وإلا] (١) فلم يكن لذكرها معنى ، ولا فى نشرها فائدة ، إذ كان الإسلام سنة واحدة ، وشريعة متبعة ، وهى إقامتكم على مذهبكم ، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء المفروض فى العلم ، والاجتماع عليه فى جوامعكم ومساجدكم ، وثباتكم على ما كان عليه سَلَفُ الأمة من الصحابة — رضى الله عنهم — والتابعين بعدهم ، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم ، وأن يجرى الأذان ، والصلاة ، وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه ، والزكاة ، والحج ، والجهاد على أمر الله فى كتابه ، ونصّه نبيه — صلى الله عليه — فى سنته ، وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه .

ولكم علىّ أمانُ الله التام العام ، الدائم المتصل ، الشامل الكامل ،

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافات زيدت ليتسق بها المعنى .

(٢) فى الأصل : « صابكم » وما هنا قراءة ترجيحية .

المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام ، فى أنفسكم وأموالكم وأهليكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم وقليلكم وكثيركم ؛ وعلى أن لا يعترض عليكم معترض ، ولا يتجنى عليكم متجنٍ ، ولا يتعقب عليكم متعقب ؛ وعلى أنكم تُصانون وتُحفظون وتُحرسون ، ويُذبَّ عنكم ، ويمنع منكم ، فلا يُتعرض إلى أذاكم ، ولا يُسارع أحد فى الاعتداء عليكم ، ولا فى الاستطالة على قويكم — فضلا عن ضعيفكم — ، وعلى أن لا أزال مجتهداً فيما يعمكم صلاحه ، ويشملكم نفعه ، ويصل إليكم خيره ، وتتعرفون بركته ، وتغتبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — .

ولكم علىّ الوفاء بما التزمته ، وأعطيتكم إياه ، عهدَ الله ، وغليظ ميثاقه وذمته ، وذمة أنبيائه ورسله ، وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين — قدّس الله أرواحهم — ، وذمة مولانا (٢٨ ب) وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله — صلوات الله عليه — ، فتصرحون بها ، وتعلنون بالانصراف إليها ، وتخرجون إلىّ ، وتسلمون علىّ ، وتكونون بين يدىّ ، إلى أن أعبر الجسر ، وأنزل فى المَنَاخ (١) المبارك ، وتحفظون وتحافظون — من بعد — على الطاعة ، وتثابرون عليها ، وتسارعون إلى فروضها ، ولا تخذلون وليا لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وتَلزمون ما أُمرتم به

---

(١) المناخ هو المكان الذى أنيخت فيه دواب الجيش الفاطمى الفاتح عند نزوله خارج الفسطاط حيث بنيت القاهرة بعد ذلك ، وقد كان له شأن بعد ذلك فى عهد الدولة ويسميه المقريزى (الخطط ، ج ٢ ، ص ٣١١) « المناخ السعيد » ويقول إنه كان من وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر ، وأنه كان موضعا « برسم طواحين القمح التى تطحن جرايات القصور ، وبرسم مخازن الأخشاب والحديد ونحو ذلك » .

وفقّكم الله وأرشدكم أجمعين » .

وكتب جوهر القائد الأمان بخطه فى شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة؛ وصلى الله على محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين الأخيار .

وكتب بخطه فى هذا الكتاب :

« قال جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين — صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين — : « كتبتُ هذا الأمان على ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — ، وعلىّ الوفاء بجميعه لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم على ما شرطت فيه ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين » .

وكتب جوهر بخطه فى التاريخ المذكور ، وأشهد جوهر على نفسه جماعة الحاضرين وهم : أبو جعفر مسلم بن محمد بن عبيد الله الحسينى ، وأبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسىّ الحَسَنى ، وأبو الطيب العباس بن أحمد الهاشمى ، والقاضى أبو الطاهر محمد بن أحمد ، وابنه أبو يعلى محمد بن محمد ، ومحمد بن مهلب بن محمد ، وعمرو بن الحرث بن محمد .

وأخذ منه أبو جعفر مسلم كتابا إلى أبى الفضل جعفر بن الفرات — الوزير — وجماعة وجوه الدولة ؛ وخاطب [جوهر] ابنَ الفرات — فى كتابه — بالوزير بعد مراجعة ، وكان قد توقف فى مخاطبته بالوزير ، وقال : « ما كان وزير خليفة » . وأجاز الجماعةَ وحمّلهم ، ولم يقبل أبو جعفر مسلم شيئا منه ، وأكلت الجماعة معه ، وودعوه وانصرفوا ، فوافوا لثمان خلون من شعبان » .

قال ابن زولاق : "سألتُ أبا جعفر مسلم عند رجوعه عن مقدار العسكر ، فقال : « هو مثل جَمْع عرفات كثرة وعدة » ، وسألته عن سن القائد جوهر فقال لى : « نيف وخمسون سنة » ".

فلما قدم الجماعة انتقض الإخشيدية والكافورية ؛ وكان قد بلغهم ذلك وهم عند القائد جوهر ، فتسرعوا فى الانصراف من عنده ، و بلغ جوهر — بعد انصرافهم — انتقاضُ الصلح ، فأدرك الجماعة ، وأعلمهم بأن القوم قد نقضوا الصلحَ ، وطلب إعادةَ أمانه إليه ، فرفقوا به ، فقال للقاضى أبى طاهر : « ما تقول يا قاضى فى هذه المسئلة ؟ » ، فقال : « ما هى ؟ » ، فقال : « ما تقول فيمن أراد العبورَ إلى مصر ليمضى إلى (١٢٩) الجهاد لقتال الروم فَمُنِـع ، أليس له قتالهم ؟ » ، فقال له القاضى : « نعم » ، فقال : « وحلال قتالهم ؟ » ، قال : « نعم » :

ولما وافى أبو جعفر مسلم ومَنْ معه مِنْ عند جوهر جاءه الناس ، وركب إليه ابن الفرات فى موكب عظيم ، وعنده جماعة الوجوه ، فقرأ عليهم كتاب جوهر بالأمان والشرط ، وأوصل كتاب ابن الفرات وكُتُبَ الجماعة ، فامتنع القوم من قبول ذلك ، وقال فرَح البجكمى للشريف مسلم : « لو جاءنا جدك بهذا ضربنا وجهه بالسيف » . فلامهم ابن الفرات على ذلك ، وقال : « أنتم سألتم الشريفَ هذه الرسالة ، فلم يقنع حتى أخذ معه أبا إسماعيل — وهو رجل حسنى — ، وأخذ معه قاضى المسلمين ، وأخذ معه رجلا عباسياً » .

وسكت الشريف مسلم ، فلم يَزِد على أن قال : « خار الله لكم » .

واشتغل ابن الفرات يسارر الشريف مسلم والإخشيدية والكافورية

فى خوض [١] ، فقالوا كلهم : « ما بيننا و بين جوهر إلا السيف » ، فسلموا على نحرير شُوَيْزان بالإمارة ، وخرجوا يحجبونه إلى داره ، و بقى أحمد بن على بن الإخشيد لا يُفَكَّر فيه .

واستعدوا للحرب ، وساروا لعشر خلون من شعبان فنزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح ، ووافى جوهر الجيزة ، فلما شاهد ما فعلوه عاد إلى منية شلقان [٢] ، وعبر إلى مصر من ذلك الموضع ، وأرسل فاستقبل المراكب الواردة من تنيس [٣] ودمياط وأسفل الأرض [٤] فأخذها ، وتولى العبور إليهم جعفر بن فلاح [٥] عريانا فى سراويل مع جمع من المغاربة ؛ و بلغ الإخشيدية فأنفذوا نحرير الأرغلى ، ويمن الطويل ، ومبشر الإخشيدى فى خلق ، فساروا إلى الموضع ، وكانوا قد وكلوا به مزاحم بن محمد بن رائق

---

(١) تخاوضوا فى الحديث أى تفاوضوا . (القاموس)

(٢) تعرف اليوم باسم شلقان وهى قرية شرقى القناطر الخيرية بمركز قليوب .

(٣) كانت تنيس مدينة قديمة هي جزيرة وسط بحيرة تحمل نفس الاسم وهى التى تسمى اليوم بحيرة المنزلة ، وقد كان لتنيس فى العصور الوسطى شأن خطير من الناحيتين الحربية والصناعية ، فقد كان الروم يغيرون عليها بأساطيلهم كلما فكروا فى غزو مصر ولهذا كانت بها دار صناعة وأسطول مقيم ، وكانت بها حصون وقلاع قوية ، كما كانت تنيس مركزا هاما من مراكز صناعة النسيج فى مصر فى تلك العصور ، ويروى المقريزى أنه فى سنة ٥٨٨ صدرت الأوامر باخلاء تنيس فأخليت ونقل أهلها إلى دمياط ، وفى شوال سنة ٦٢٤ أمر الكامل محمد الأيوبى بهدم تنيس . أنظر : (الخطط ، ج ١ ، ص ٢٨٤ — ٢٩٣) .

(٤) المقصود بأسفل الأرض فى تلك العصور « الوجه البحرى » .

(٥) جعفر بن فلاح من أكبر قواد المعز ، صحب جوهر واشترك فى فتح مصر ، ثم سار لفتح الشام فاستولى على الرملة فى آخر سنة ٣٥٨ ، وعلى دمشق فى أول سنة ٣٥٩ وأقام بها إلى سنة ٣٦٠ حيث قصده الحسن بن أحمد القرمطى وقاتله وقتله .

فلقوه راجعاً ، ووقع القتال فقُتل خلق من المصريين .

وانصرف الناس عشية الأحد النصف من شعبان ، فلما كان نصف الليل انصرف من كان بالجزيرة إلى دورهم ، وأصبحوا غادين إلى الشام ، وقدقُتل جماعةٌ منهم : نحرير الأرغلى ، ومبشر الإخشيدى ، ويمن الطويل وخلق كثير .

وأصبح (١) الناس على خطة عظيمة ، فبكروا فى يوم الاثنين إلى دار الشريف مسلم يسألونه الكتابَ إلى جوهر فى إعادة أمانهم ، فكتب إليه [يهنئه بالفتح ويسأله إعادة الأمان] (٢) ، وجلس الناس عنده [ينتظرون الجواب فعاد إليه بأمانهم] (٢) ، وقد طاف على بن الحسين بن لؤلؤ — صاحب الشرطة السفلى (٣) — ومعه رسول جوهر ، وبند (٤) عليه اسم المعز لدين الله ، وبين أيديهما الأجراس بأن لا مؤونة ولا كلفة ، وأمَّن الناس ، وفُرقت البنود ؛ فنشر (٢٩ ب) كلُ مَنْ عنده بندٌ بَنْدَه فى درب حارته .

---

(١) فى الأصل : « وأضج » ، وما هنا قراءة ترجيحية .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (ابن خلكان ، الوفيات ، ج ١ ، ص ١٦١) .

(٣) الشرطة هم الجنود الذين يحافظون على الأمن ، وقدكان للفسطاط شرطة منذ الفتح العربى ، وكان صاحبها فى المكان الثانى بعد الوالى ، فلما أسست العسكر أنشئت فيها دار أخرى للشرطة سميت الشرطة العليا — لعلو العسكر عن الفسطاط — كما سميت شرطة الفسطاط بالشرطة السفلى منذ ذلك الحين ، ولما فتح جوهر مصر وأنشأ القاهرة نقل إليها الشرطة العليا ، وقد ظلت بها طول عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك . أنظر : (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٣) حيث يذكر أنه كانت هناك شرطة ثالثة فى القرافة ، وأنها ضمت فى أيامه إلى شرطة الفسطاط أى السفلى .

(٤) ذكر فى ابن خلكان أن هذا البند كان أبيض اللون .

وجاء الجواب إلى الشريف وقت العصر ، ونسخته بعد البسملة :

« وصل كتاب الشريف الجليل ، أطال الله بقاه ، وأدام عزه وتأييده وعلوه ، وهو المهنأ بما هنأ به من الفتح الميمون ؛ فوقفتُ على ما سأل من إعادة الأمان الأول ، وقد أعدتُه على حاله ، وجعلت إلى الشريف — أيّده الله — أن يؤمِّن كيف رأى وكيف أحب ، ويزيد على ما كتبتُه كيف يشاء ، فهو أماني ، وعن إذني وإذن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — ؛ وقد كتبت إلى الوزير — أيّده الله — بالاحتياط على دور الهاربين إلى أن يرجعوا إلى الطاعة ، ويدخلوا فيما دخلت فيه الجماعة ، ويعمل الشريف — أيّده الله — على لقائى فى يوم الثلثاء لسبع عشرة تخلو من شعبان » .

فاستبشرت الجماعة وابتهجوا ، وعملوا على [المسير فى][1] الغد إلى الجيزة للقاء[1] جوهر مع الشريف مسلم ، وبات الناس على هدوء[2] وطمأنينة .

فلما كان غداة يوم الثلثاء لسبع عشرة خلت من شعبان خرج الشريف أبو جعفر مسلم ، وجعفر بن الفضل بن الفرات ، وسائر الأشراف والقضاة والعلماء والشهود ووجوه التجار والرعية إلى الجيزة ، فلما تكامل الناس أقبل القائد جوهر فى عساكره ، فصاح بعض حجابه : « الأرضَ إلا الشريف والوزير »[3] ، وتقدم الناس واحدا واحدا ، فلما فرغوا من

(١) فى الأصل : « وعملوا على الغدو إلى الجيزة للقايد جوهر » ، والجملة بهذا الوضع لا معنى لها ، وقد أضفنا ما بين الحاصرتين وعدلنا بعض الألفاظ ليتسق المعنى .

(٢) فى الأصل : « هدء » .

(٣) فى ابن خلكان (ج ١ ، ص ٢١٢) : « ونادى مناد : ينزل الناس كلهم إلا الشريف والوزير » .

السلام عليه عاد الناس إلى الفسطاط .

فلما زالت الشمس أقبلت العساكر ، فعبرت الجسر ، ودخلت أفواجا أفواجا ، ومعهم صناديق المال على البغال — ويقال إن المال كان فى ألف وخمسمائة صندوق — ، وأقبلت القباب ، وأقبل جوهر فى حلة مذهبة مثقل[١] فى فرسانه ورجالته . وقاد[٢] العسكر بأسره إلى المناخ الذى رسم له المعز [به] موضع القاهرة ؛ واختط موضع القصر ، وأقام عسكره سبعة أيام يدخل — من يوم الثلثاء إلى آخر يوم الاثنين — ، واستقرت به الدار .

وجاءته الألطاف والهدايا فلم يقبل من أحد طعاما إلا من الشريف مسلم ، ويقال : لما أناخ جوهر فى موضع القاهرة الآن اختطّ القصد ، فأصبح المصريون ليهنئونه ، فوجدوه قد حفر أساس القصر فى الليل ، [وكان فيه زورات جاءت غير معتدلة فلم تعجبه ، ثم قال : « حفرت فى ساعة سعيدة فلا أغيرها »][٣] .

ويقال إن جوهر لما بنى القصور ، وأدار عليها السور سماها « المنصورية »[٤] ، فلما قدم المعز لدين الله إلى الديار المصرية سماها « القاهرة »[٤] . ويقال فى سبب تسميتها بالقاهرة[٤] أن القائد جوهر لما

---

(١) صيغة ابن خلكان : « ودخل جوهر بعد العصر وطبوله وبنوده بين يديه ، وعليه ثوب ديباج مثقل ، وتحته فرس أصفر » .

(٢) فى الأصل : « ومد » .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : (الوفيات ، ج ١ ، ص ٢١٢) . انظر أيضاً : (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٧٩ ، ٢٠٤) .

(٤) أورد المقريزى هنا ، وفى (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٠٤) رأيين فى سبب =

أراد بناء القاهرة أحضر المنجمين ، وعرّفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقيم بها الجند ، وأمرهم باختيار طالع [سعيد](١) لوضع الأساس ، بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم [أبدا](١) ، فاختاروا طالعا لحفر السور ، وطالعا لابتداء وضع الحجارة فى الأساس ؛ وجعلوا بدائر السور قوائم من (٣٠ ا) خشب ، بين كل قائمتين حبل فيه أجراس ، وقالوا للعمال : « إذا تحركت الأجراس ارموا ما بأيديكم من الطين والحجارة » ، فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك ، فاتفق أن غراباً وقع على حبل من تلك الحبال المعلق فيها الأجراس ، فتحركت الأجراس كلها ، وظن العمال(٢) أن المنجمين حركوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة و بنوا ، فصاح المنجمون : « القاهر

= تسمية عاصمة الفاطميين بالقاهرة ، أولهما أن جوهر سماها « المنصورية » ، فلما أتى المعز بعد أربع سنوات سماها القاهرة تفاؤلا بأنها ستقهر الدولة العباسية المنافسة ، وثانيهما قصة الحبال والجرس والغراب ، والنظرة العلمية الصحيحة ترجح صحة الرأى الأول ، فقد اختار جوهر لبناء القاهرة موقعاً خارج العاصمة القديمة كما كانت منصورية المغرب خارج القيروان ، وقد سمى بابان من أبواب المدينة المصرية باسمى زويلة والفتوح وهما اسمان لبابين فى منصورية المغرب ، كذلك من المرجح أن يكون جوهر سمى العاصمة المصرية الجديدة « المنصورية » تقرباً إلى سيده وخليفته المعز بإحياء ذكرى والده المنصور ، أما قصة الغراب فهى أقرب إلى الخيال ، ومما ينفيها نفياً باتا — رغم أخذ الكثيرين من المؤرخين بها — أن المسعودى (مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢١٥) يروى قصة شديدة الشبه جداً بهذه القصة وينسبها إلى الاسكندر عند بنائه للاسكندرية ، والذى أرجحه أن المقريزى نقل الرأى الأول الصحيح عن مصادر فاطمية ثم نقل القصة الثانية عن مراجع متأخرة شُبِّه عليها الأمر عند الكلام عن قاهرة المعز فاقتبست ما قيل عن اسكندرية الاسكندر . انظر أيضاً : (كرزويل ، تأسيس القاهرة ، الترجمة العربية للسيد محمد رجب ، المقتطف ، نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٣٤) .

(١) الزيادات عن : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٠٤) .

(٢) فى الأصل : « العمالون » والتصحيح عن الخطط .

فى الطالع » ، فمضى ذلك وفاتهم ما قصدوه . ويقال إن المريخ كان فى الطالع عند ابتداء وضع الأساس (١) ، وهو قاهر الفلك ، فسموها القاهرة ، فحكموا لذلك أن القاهرة لا تزال تحت حكم الأتراك (٢) .

وأدار [جوهر] السور اللبن حول بئر العظام ، وجعلها فى القصر ، وجعل القاهرة حارات (٣) للواصلين [صحبته و] (٤) صحبة [مولاه] (٤) المعز ، وعمّر القصر بترتيب ألقاه إليه المعز .

ويُقال إن المعز لما رأى القاهرة لم يُعجبه مكانها فى البرية بغير ساحل وقال لجوهر : « يا جوهر : فاتتك عمارتها هاهنا » يعنى المقس (٥) بشاطئ النيل . . . فلما رأى سطح الجوف المعروف اليوم بالرصد (٦) ، قال :

---

(١) فى الأصل : « كان فى طالع ابتدأ وضع أساس القاهرة » والتصحيح عن الخطط .

(٢) فى الخطط : « واقتضى نظرهم أنها لا تزال تحت القهر » .

(٣) قال ابن سيده : « الحارة كل محلة دنت منازلها ، والمحلة منزل القوم » ، هذا وقد كانت أحياء القاهرة عند تأسيسها تسمى « الحارات » كما كانت أحياء الفسطاط تسمى « الخطط » . انظر باب الحارات فى (المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٢ — ٣٦) .

(٤) الزيادات عن : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٠٤) .

(٥) عرّف أبو المحاسن — نقلا عن القضاعى (النجوم ، ج ٤ ، ص ٥٣) المقس بقوله : « كانت ضيعة تعرف بأم دنين ، وإنما سميت المقس لأن العشّار وهو المكاس كان فيها يستخرج الأموال ، فقيل له المكس ، ثم قيل المقس » ، وقد عقب على ذلك المرحوم محمد بك رمزى بقوله : « المقس والمكس والمقسم وأم دنين كلها أسماء مترادفة لقرية كانت واقعة على شاطئ النيل وقت أن كان النيل يجرى فى عهد الدولة الفاطمية فى المكان الذى يمر فيه اليوم شارع عماد الدين وميدان محطة مصر وما بعده إلى الشمال بشارع الملكة نازلى ... الخ » .

(٦) جبل الرصد مكان مرتفع كان موقعه جنوبى الفسطاط ، ويذكر المرحوم محمد رمزى بك فى تعليقاته (النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٨٢) أن هذا الجبل هو الذى يسمى الآن جبل اصطبل عنتر .

« يا جوهر : لما فاتك الساحل كان ينبغى عمارة القاهرة بهذا الجبل على هذا السطح ، وتكون قلعة لمصر » . حكاه ابن الطوير(١) . [و] قال :

« وكان المعز عارفا بالأمور ، مطلعا على الأحوال بالذكاء ، وكان يضرب فى فنون منها النجامة ، فرتب فى القصر ما يحتاج إليه الملوك بل الخلفاء ، بحيث لا يراهم العيان فى النقلة من مكان إلى مكان ، وجعل لهم فى ساحاته البحر والميدان والبستان ، وتقدم بعمارة المصلى ظاهر القاهرة لأهلها ، لخطبتهم فيها والصلاة فى عيد الفطر والنحر ، والآخر بالقرافة لأهل مصر » .

وقال ابن عبد الظاهر(٢) : « فلما تحقق المعز وفاة كافور جهَّز جوهر وصحبته العساكر ، ثم برز بموضع يُعرف برقادة ، وخرج فى أكثر من مائة

---

(١) ابن الطوير مؤرخ فاطمى لم يصلنا شيء من كتبه وإنما ينقل عنه كثيراً المؤرخون اللاحقون كالمقريزى والقلقشندى وأبى المحاسن ... إلخ .

(٢) هو محي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر القاضى ، كان كاتباً وشاعراً ، ولى ديوان الإنشاء فى عهود الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل وهو الذى حرر التقليد بتولية الملك السعيد ولياً للعهد ، وأهم كتبه : « الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة » ، وقد اعتمد عليه كثيراً المقريزى فى خططه ، وليس هناك — حتى الآن — ما يدل على وجود هذا الكتاب ؛ وله أيضاً « سيرة السلطان الملك الظاهر بيبرس » ألفها نظما ، و « الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية » ، وقد نشر النص العربى مع ترجمة سويدية Moberg تحت عنوان Axel Moberg: Wr Abd Allah b. Abd az. Zahir's Biografi över Sultanen el-Melik al Ashraf Halil, London,1902). وقد ولد ابن عبد الظاهر سنة ٦٢٠ وتوفى سنة ٦٩٢ . انظر أخباره فى تفصيل فى : (جورجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٣ ، ص ١٥٤ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مادة ابن عبد الظاهر ؛ Casanova, Ibn Abd El-zahir, Mémoires pubbliés par les membres de la mission archéologique an Caire t. VI, pp. 493-505).

ألف فارس ، وبين يديه أكثر من ألف صندوق من المال ، وكان المعز يخرج إلى جوهر فى كل يوم ويخلو به ، وأمره أن يأخذ من بيوت الأموال ما يريد زيادة على ما أعطاه .

وركب إليه المعز يوما فجلس وقام جوهر بين يديه ، فالتفت المعز إلى المشايخ الذين وجههم معه وقال : « والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ، وليدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب ، ولينزلن فى خرابات ابن طولون ، وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا » .

قال : « ونزل جوهر مناخه موضع القاهرة الآن فى يوم الثلثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، واختط القصر ، وبات الناس ، فلما أصبحوا حضروا للهناء فوجدوه قد حفر أساس القصر (٣٠ ب) بالليل ، وكانت فيه زورات غير معتدلة ، فلما شاهد ذلك جوهر لم يعجبه ، ثم قال : « قد حُفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة » فتركه على حاله » .

وقال ابن زولاق : « ولما أصبح أنفذ علىَّ بن الوليد القاضى لعسكره ، وبين يديه أحمال مال ومنادٍ ينادى : « من أراد الصدقة فليصر إلى دار أبى جعفر » ، فاجتمع خلق من المستورين والفقراء ، فصاروا بهم إلى الجامع العتيق [١] فَفُرِّقَ فيهم . ولما كان يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان نزل جوهر

(١) هو جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وقد سمى أيضاً فى عهد ازدهاره « تاج الجوامع » ، ثم لما تقادم به العهد وكثرت إلى جانبه جوامع الفسطاط سمى « الجامع العتيق » ؛ انظر الكتاب القيم الذي كتبه عنه المرحوم محمود أحمد باشا ، وعنوانه « جامع عمرو بن العاص » .

فى عسكر إلى الجامع العتيق لصلاة الجمعة ، وخطب بهم هبة الله بن أحمد — خليفة عبد السميع بن عمر العباسى — ببياض ، فلما بلغ إلى الدعاء قرأه من رقعة وهو : « اللهم صَلِّ على عبدك ووليك ، ثمرة النبوة ، وسليل العزة الهادية المهدية ، عبد الله الإمام معدّ أبى تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين ، كما صليت على آبائه الطاهرين وأسلافه الأئمة الراشدين ، اللهم ارفع درجته وأعل كلمته ، وأوضح حجته ، واجمع الأمة على طاعته ، والقلوب على موالاته ومحبته ، واجعل الرشاد فى موافقته ، وورّثه مشارق الأرض ومغاربها ، وأحمده مبادئ الأمور وعواقبها . فإنك تقول وقولك الحق : «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُون » (١) ، فقد امتعض لدينك ، ولِمَا أُنتهك من حرمتك ، ودَرَسَ من الجهاد فى سبيلك ، وانقطع من الحج إلى بيتك وزيارة قبر رسولك — صلى الله عليه وسلم — ؛ فأعدَّ للجهاد عدته ، وأخذ لكل خَطْبٍ أهبته ، فسيَّر الجيوش لنصرتك ، وأنفق الأموال فى طاعتك ، وبذل المجهود فى رضاك ، فارتدع الجاهل ، وقَصُر المتطاول ، وظهر الحق وزهق الباطل . فانصر اللهم جيوشه التى سيّرها ، وسراياه التى انتدبها لقتال المشركين ، وجهاد الملحدين ، والذب عن المسلمين ، وعمارة الثغور والحرم ، وإزالة الظلم والتُّهم والنَّهَم ، وبسط العدل فى الأمم . اللهم اجعل راياته عالية مشهورة ، وعساكره غالبة منصورة ، وأصلح به وعلى يديه ، واجعل لنا امنك وامية (؟) عليه » .

---

(١) الآية ١٠٥ ، السورة ٢١ (الأنبياء) .

وأمر جوهر بفتح دار الضرب (١)، وضرب السكة الحمراء (٢)، وعليها « دعا الإمام معد بتوحيد الإله الصمد » — فى سطر، وفى السطر الآخر: « المعز لدين الله أمير المؤمنين »، وفى سطر آخر: « بسم الله. ضُرب هذا

(١) هذا نص هام يفيد أنه كان بمصر قبل الفتح الفاطمى دار للضرب، وليس فى المراجع ما يحدد الزمن الذى أنشئت فيه دار الضرب بمصر لأول مرة، وإنما فى: (المقريزى، النقود الإسلامية، ص ١٣) أن أحمد بن طولون عثر مرة على كنز مصري قديم به دنانير جيدة العيار « فتشدد حينئذ أحمد بن طولون فى العيار حتى لحق ديناره بالعيار المعروف له وهو الأحمدى الذى لا يطلى بأجود منه » فكأن أحمد بن طولون أول من ضرب الدينار باسمه فى مصر. فلعله أيضاً أول من أنشأ دار الضرب بها؛ وفى: (الكندى، القضاة، ص ٥٦٢ — ٥٦٣) ما يفيد أن الحسين بن زرعة ولى قضاء مصر سنة ٣٢٤ (أى فى عهد الأخشيد) وأنه نظر أيضاً فى « المواريث والأحباس ودار الضرب »، غير أن هذه المراجع لم توضح أين كانت تقوم دار الضرب هذه؛ ويتضح من المراجع المختلفة أن هذه الدار ظلت تعمل إلى أن أنشئت دار ضرب جديدة فى العصر الفاطمى فى عهد الخليفة الآمر بالله، أنشأها الوزير المأمون البطائحى بالقشاشين ويشغل مكانها اليوم (كتحديد المرحوم رمزى بك، النجوم، ج ٤، ص ٥٣، هامش ٣) مجموعة المبانى التى يحدها من الشمال شارع الصنادقية ومن الغرب شارع الغورى ومن الجنوب شارع الأزهر؛ انظر وصف هذه الدار وغيرها من دور الضرب التى أنشئت بعد ذلك فى الاسكندرية وقوص وصور وعسقلان إلخ فى: (ابن مماتى، قوانين الدواوين، ص ٣٣٠ — ٣٣١؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٦٩؛ ج ٤، ص ٤٦٥؛ المقريزى، الأوزان والأكيال الشرعية، ص ٤٧ — ٥٠؛ الخطط، ج ٢، ص ٣١٢ — ٣١٣، ٣٢١؛ إغاثة الأمة، ص ١٥؛ الكرملى، النقود العربية، ص ١١٥، ١١٦).

(٢) لم أعثر فى المراجع التى أفدت منها على ما يوضح معنى السكة الحمراء، وإنما جاء فى (المقريزى، النقود الإسلامية، ص ١٤) ما يفيد أنه بعد زوال الدولة الفاطمية: « عمت بلوى المصارفة بأهل مصر لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا، وعدما فلم يوجدا، ولهج الناس بما عمهم من ذلك، وصاروا إذا قيل دينار أحمر، فكأنما ذكرت حرمة له، وإن حصل فى يده فكأنما جاءت بشارة الجنة له إلخ » فلعله يعنى بالسكة الحمراء الدينار الأحمر — أى المصنوع من الذهب، الجيد العيار — الذى كان يمتاز به العصر الفاطمى. انظر أيضاً: (الكرملى، النقود العربية، ص ٥٩).

الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة » ، — وفى الوجه الآخر — : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . علىّ أفضل الوصيين وزيرُ خير المرسلين » .

ورجع مزاحم بن رائق ، وكان قد سار (١٣١) مع الإخشيدية ومعه جيش كبير . وأفطر جوهر يوم الفطر على عدد بغير[(١)] رؤية ، وصلى صلاة العيد بالقاهرة ، صلى به علىُّ بن وليد الإشبيلى وخطب ، ولم يُصلِّ أهل مصر ، وصلوا من الغد فى الجامع العتيق ، وخطب لهم رجل هاشمى . وكان أبو طاهر القاضى قد التمس الهلال على رسمه فى سطح الجامع فلم يره ، وبلغ ذلك جوهر فأنكره[(١)] وتهدد عليه .

وجلس جوهر للمظالم فى كل يوم سبت[(٢)] ، ثم ردّ المظالم إلى أبى عيسى مرشد ، وفى شوال صرف علىّ بن لؤلؤ عن الشرطة السفلى ، وردّ شبل المعرضى ، وولى عدة من جهات الخراج ، وعلى الضياع . وفى ذى الحجة

---

(١) المذهب الشيعى لا يقيد أتباعه عند صيام رمضان بضرورة رؤية الهلال ، وفى (المجالس المستنصرية ، ص ١٢٨ — ١٢٩) ملخص رأيهم فى هذا الموضوع وهو : « والذى يقتضيه المذهب الشريف ، المصون عن التبديل والتحريف ، أن التعبد فى دخول الصوم والخروج منه بالرؤية والحساب جميعاً ، أنهما كالظاهر والباطن ، إذا أشكل الأمر فى أحدهما التمس فى الآخر ، ولأجل ذلك احتيج فيه إلى الإمام عليه أفضل السلام يستخرج حقيقته ، ويوضح طريقته ، فالهلال كالظاهر لأنه مشاهد ، والحساب كالباطن لأنه معقول ، والحساب يستعمل من أول كل سنة ، ثم يراعى طلوع الهلال ، فإن وافق الحساب الرؤية فقد اتفق الظاهر والباطن ، وزال الإشكال وزكت الأعمال ، وإن وفى الحساب ولم يطلع الهلال علم أنه قد غم أو وقع فى نظره إخلال » .

(٢) فى : (ابن خلكان ، الوفيات ، ج ١ ، ص ٢١٢) أن جوهرا كان يجلس للمظالم بحضرة الوزير والقاضى وجماعة من أكابر الفقهاء . للتعريف بهذه الوظيفة انظر : (الأحكام السلطانية للماوردى) .

قدم ستة آلاف من الإخشيدية والكافورية ، فأُنزلوا خارج القاهرة .
وزيد فى الخطبة[١] : « اللهم صلّ على محمد النبى المصطفى ، وعلى علىّ المرتضى ، وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطىْ الرسول ، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا ، اللهم صلّ على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين ، الهادين المهديين » .

ونودى برفع البراطيل[٢] ، وقائم الشرطتين ، وسائر رسوم البلد .
وورد الخبر بدخول القرامطة الرملة . وورد كتاب المعز من المغرب بوصول رأس نحرير ومبشر ويمن وبلال . وتولى الحسبة رجل يُعرف بأبى جعفر الخراسانى[٣] .

وفى نصف ذى الحجة تكاملت الإخشيدية والكافورية والمستأمنة بمصر ، وهم أربعة عشر رئيسا ، فى عسكر عدته خمسة آلاف كانوا فى معسكر لهم عند مصلى العيد بالقاهرة ، فهرب منه فاتك الهيكلى إلى الشام فلم يدركه الطلب ، وبلغ جوهر أن المستأمنة من الإخشيدية والكافورية اتفقوا على فساد .

---

(١) فى (ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٢١٢) أن هذه الزيادة حدثت فى يوم الجمعة الثامن من ذى القعدة .

(٢) عرف المقريزى (الخطط ، ج ١ ، ص ١٧٩) البراطيل بأنها « الأموال التى تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاتها وعمالها ، فأول من عمل ذلك بمصر الصالح ابن رزيك فى ولاة النواحى فقط ، ثم بطل وعمل فى أيام العزيز بن صلاح الدين أحياناً إلخ » ، وللنص هنا أهمية خاصة فهو يشير إلى أن جوهراً أمر فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ برفع البراطيل فكأنها كانت موجودة بمصر قبل دخول الفاطميين ، فى حين يذكر فى الخطط أن أول من عمل ذلك بمصر الصالح رزيك .

(٣) لاحظ أن هذا أول محتسب فى العصر الفاطمى .

وتوفى ابن لجعفر بن فلاح ، فحضر جوهر الجنازة ، وحضر الناس وفيهم الإخشيدية والكافورية ، وانصرفوا معه ، فقال لهم فى طريقه : « قد حضر كتاب مولانا ومولاكم بما تُسروا به ، فسيروا حتى تقفوا عليه » ، فساروا معه إلى مضاربه بالقاهرة ، ودخلوا معه ، فقبض على ثلاثة عشر من وجوههم ، وهم : نحرير شُوَيْزان ، وقنك الخادم الأسود ، ودرى الصقلى ، وحكل الإخشيدى ، ولؤلؤ الطويل ، ومفلح الوهبانى ؛ ومتلغ التركى ، وفرح البجكمى ؛ واعتقلهم سته أشهر حتى سيَّرهم مع الهدية إلى المعز ، ومعهم الحسن بن عبيدالله بن طغج ، وقبض على ضياع نحرير الازغلى وأمواله ، وقبض من يحيى بن مكى بن رجاء ثمانين ألف دينار عيناً وصاريين من عود رطب .

وورد كتاب المعز إلى جوهر ، وإلى أبى جعفر مسلم ، وإلى أبى اسماعيل الرسىّ ، وإلى الوزير جعفر بن الفرات .

وولى جوهر مزاحم بن محمد بن رائق الحَوْفَ(١) والفرما(٢) .

---

(١) جاء فى اللسان : « الحافة والحوف الناحية والجانب ... وحَوْفُ الوادى حرفه وناحيته » ؛ هذا وقد كان أسفل الأرض — أو الوجه البحرى — ينقسم فى العصر الإسلامى إلى أربع نواح : الحوف الشرقى وكان يشمل عين شمس وما يسمى الآن مديرية القليوبية ومديرية الشرقية ومدينتى الفرما والعريش ؛ وبطن الريف وكان يشمل ما يسمى الآن مديرية الدقهلية وجزءاً من شمال مديرية الغربية ؛ والجزيرة وهى الأرض التى بين فرعى النيل ؛ والحوف الغربى أى مديرية البحيرة . انظر : (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٨١ — ٣٨٧) والمقصود بالحوف هنا الحوف الشرقى .

(٢) كانت الفرما إحدى ثغور مصر الحصينة الشمالية على البحر الأبيض المتوسط ، وقد كانت لها فى العصور الوسطى أهمية خاصة من الناحيتين الحربية والتجارية ، وفى سنة ٥٤٥ نزل الفرنج بالفرما ونهبوها وأحرقوها ، وفى سنة ٥٥٩ أكمل حرقها الوزير الفاطمى شاور أثناء نزاعه مع ضرغام ، فلم تقم لها قائمة بعد ذلك ، وأطلا لها الآن موجودة شرقى محطة الطينة على بعد ٢٥ كيلو متراً منها .

ودخل جوهر والغلاء شديد ، فزاد فى أيامه حتى بلغ القمح تسعة أقداح بدينار .

وكان عامل الخراج على بن يحيى بن العرمرم ، فأقرّه جوهر شهراً ، ثم أشرك معه رجاء بن صولاب ، وأقرّ ابن الفرات على وزارته .

وأزال جوهرُ من مصر السوادَ ، ومنع من قراءة : « سبح اسم ربك » فى صلاة الجمعة ، وأزال التكبير بعد صلاة الجمعة[(١)] .

ولم يَدَع عملا إلا جعل فيه مغربيا شريكا لمن فيه[(١)] ؛ وكان القاع ثلاثة أذرع وتسعة عشر إصبعا ، و بلغ الماء سبعة عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً ؛ وخلع جوهر على ابن أبى الردّاد[(٢)] ، وحمله فأجازه .

ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة :

وفى المحرم أنفذ تبر الإخشيدى من تنيس نحو مائة وخمسين رجلا طيف بهم ، و كثر الفساد فى الطرق فضرب جوهر أعناق جماعة وصلبهم فى السكك .

ولاثنتى عشرة بقيت منه سار جعفر بن فلاح بن أبى مرزوق إلى الشام ، وقاتل القرامطة بالرملة وهزمهم ، وأسر الحسن بن عبيد الله بن طغج

---

(١) لاحظ هذه التغييرات التى أحدثها جوهر فى شؤون مصر الدينية والإدارية .

(٢) ابن أبى الرداد هو الموظف الذى كان يشرف على أمور مقياس النيل بالروضة ، ويعلن وفاء النيل ؛ قال صاحب صبح الأعشى (ج ٣ ، ص ٢٩٥) : « وكانت النصارى تتولى قياسه ، فعزلهم المتوكل عنه ، ورتّب فيه أبا الرداد عبد الله بن عبد السلام ابن أبى الرداد المؤدب ، وكان رجلا صالحاً ، فاستقر قياسه فى بنيه إلى الآن » ، ويعنى بالجملة الأخيرة أن بنى أبى الرداد ظلوا يلون القياس حتى عهده أى حتى القرن التاسع الهجرى .

وجماعةً ، و بعثهم فى القيود إلى جوهر ، (٣١ ب) وسير جوهر إلى الصعيد فى البر والبحر (؟) .

وفى ربيع الأول قبض على دواب الإخشيدية والكافورية ، وصرفهم مشاة ، وأمرهم بطلب المعيشة ؛ وسير الهدية جعفر بن الفضل بن الفرات مع ابنه أحمد فى ربيع الآخر .

وفى سلخ ربيع الآخر زاد الغلاء ، ونزعت (١) الأسعار ؛ وتوفى أبو جعفر المحتسب ، فرد جوهر (٢) أمر الحسبة إلى سليمان بن عزة (٣) ، فضبط الساحل ، وجمع القماحين (٤) فى موضع واحد ، ولم يدع كف قمح يُجمع (٥) إلا بحضرته ؛ وضُرب أحد عشر رجلا من الطحانين وطيف بهم .

وفى يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الأولى صلى جوهر الجمعة فى جامع ابن طولون ، وأذن المؤذنون بحىّ على خير العمل ، وهو أول ما أُذِّن به بمصر (٦) وصلى به عبد السميع الجمعة فقرأ سورة الجمعة : « و إذا جاءك المنافقون ... »

---

(١) فى الأصل : « وتعزت » ، وصححت بعد مراجعة : (المقريزى ، إغاثة الأمة ص ١١) حيث استعمل : « ونزع السعر » .

(٢) فى الأصل : « جعفر » والتصحيح يقتضيه السياق .

(٣) فى الأصل : « عشزة » ، وقد صحح بعد مراجعة : (إغاثة الأمة ، ص ١٤) .

(٤) فى الأصل : « القماحى » انظر أيضاً المرجع السابق .

(٥) فى الأصل « الجمع » وما هنا قراءة ترجيحية .

(٦) ذكر المقريزى فى : (الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٤ — ٤٩) تأريخاً للأذان فى مصر منذ دخلها الإسلام فقال إنه كان بها أولا كأذان أهل المدنية إلى أن دخل جوهر فأمر فى التاريخ المذكور فى المتن فأذن بحى على خير العمل ، ثم ذكر هناك تفصيلات وافية عن تطور الأذان بعد ذلك إلى عهده .

وقنت[١] فى الركعة الثانية ، وانحط إلى السجود ، ونسى[٢] الركوع ، فصاح به على بن الوليد — قاضى عسكر جوهر — : « بطلت الصلاة ، أعد ظهراً أربعاً » . ثم أذن بحىّ على خير العمل فى سائر مساجد العسكر ، وأنكر جوهر على عبدالسميع أنه لم يقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » فى كل سورة ، ولا قرأها فى الخطبة ، فصلى به الجمعة الأخرى وفعل ذلك ، وكان قد دعا لجوهر فى[٣] الجمعة الأولى فى الخطبة ، فأنكر ذلك ومنعه . وقبض جوهر الأحباس[٤] من القاضى أبى طاهر ، وردها إلى غيره .

ولأربع بقين منه أذن فى الجامع العتيق بحىّ على خير العمل ، وجُهر فيه بالبسملة فى الصلاة .

ولسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة أنفذ جوهر هديته إلى المعز ومعها المعتقلون فى القيود (٣٢) فكان فيما أهداه تسع وتسعون[٥] بختية ، وإحدى وعشرون قبة عليها الديباج المنسوج بالذهب ، ولها مناطق[٦] من

---

(١) جاء فى الهامش — بالأصل — أمام هذا اللفظ ما يلى : « عن طاووس وإبراهيم قالا : « القنوت فى الجمعة بدعة » ، وكان مكحول يكرهه ، ولا يوجد عن أحد من الصحابة أنه قنت فى الجمعة ، وقال أبو بكر بن أبى شيبة : نا (فى الأصل يا) يحي بن أبى بكير ، قال جد أبى ، قال : « أدركت الناس قبل عمر بن عبد العزيز يقنتون فى الجمعة ، فلما كان زمن عمر بن عبد العزيز ترك القنوت فى الجمعة » .

(٢) فى الأصل : « وتثنى » والتصحيح عن : (الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٤) .

(٣) فى الأصل : « من » .

(٤) الأحباس : الأوقاف ولا زالت تسمى كذلك حتى الآن فى المغرب .

(٥) فى الأصل : « تسعا وتسعين » .

(٦) جاء فى (اللسان) : « المناطقُ وأحدها مِنْطَق وهو النطاق ، وهو كل ما شددت به وسطك » .

ذهب مكللة بالجوهر ، ومائة وعشرون ناقة بأَجِلَّة(١) الديباج ، وأعنة محلاة بالفضة ، وخمسمائة جمل عرابا ، وستة وخمسون جُلا(٢) ، وثمانية وأربعون دابة ، منها بغلة واحدة ، وسبعة وأربعون فرسا بأجلة حرير منقوش ، وسروج كلها ما بين ذهب وفضة ، ولُجُمها كذلك ؛ وعودان كأطول ما يكون العود الذى يفتخر به .

وكان الأسرى : الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وابن غزوان — صاحب القرامطة — ، وفاتك الهنكرى ، والحسن بن جابر الرياحى — كاتب الحسن بن عبيد الله بن طغج — ، ونحرير شويزان ، ومفلح الوهبانى ، ودرى الخازن ، وفرفنك (كذا) ، وقيلغ التركى الكافورى ، وأبو منحل وحكل الإخشيدى ، وفرح البجكمى ، ولؤلؤ الطويل ، وقنك الخادم ، فحُملوا فى المراكب إلى الاسكندرية ، وساروا منها إلى القيروان فى البر .

ونافق تبر الإخشيدى بأسفل الأرض ، فاستعطفه جوهر ، فلم يجب ، فسيّر إليه العساكر ، فحاربها بصهرجت(٣) ونهبها ، ومضى منهزما إلى

---

(١) جاء فى (اللسان) : « جُل الدابة — وجَلها — الذى تلبسه لتُصان به — والجمع جِلال وأجلال » ثم قال : « وجمع الجِلال أجِلَّة ، وجلال كل شىء غطاؤه — وتجليل الفرس أن تلبسه الجُلَّ » .

(٢) وردت هكذا مشكولة فى الأصل ، وجاء فى (اللسان) : الجِلَّة المسان من الإبل ، يكون واحداً وجمعاً ، ويقع على الذكر والأنثى . بعير جِل وناقة جِلَّة ... وقيل الجلة الجمل إذا أثنى » .

(٣) صهرجت : إحدى قرى مديرية الدقهلية الحالية ، وهى الآن قريتان : صهرجت الصغرى وتتبع مركز أجا ، وصهرجت الكبرى وتتبع مركز ميت غمر . انظر : (فهرس مواقع الأمكنة) .

الشام فى البحر ، فأُخذ بصور ، وأُدخل به على فيل ومعه جماعة ، و بعث به جعفر بن فلاح .

وفى ذى القعدة رُدت الحسبة إلى سليمان بن عزة[١] المغربى ، فجمع سماسرة الغلات فى مكان ، وسدَّ الطرق إلا طريقا واحدا ، فكان البيع كله هناك ، ولا يخرج قدح غلة حتى يقف عليه .

ومنع جوهر من الدينار الأبيض[٢] ، وكان بعشرة دراهم ، فأمر أن يكون الراضى[٣] بخمسة عشر درهما ، والمعزى بخمسة عشر[٤] درهما ونصف ، فلم يفعل الناس ذلك ، فردَّ الأبيض إلى ستة دراهم ، فتلف وافتقر خلق .

وضربت أعناق عدة من أصحاب تبر والإخشيدية ، وصُلبوا حتى دخل المعز من المغرب .

وأنفذ المعز عسكراً وأحمال[٥] مال — عدتها عشرون حملا[٤] — للحرمين ، وعدة أحمال متاع .

وورد الخبر بفتح جعفر بن فلاح دمشق ودخولها ، وكان من خبر

---

(١) انظر ما سبق ، ص ١٦٩ .

(٢) لم أعثر فى المراجع التى بين يدى على تعريف الدينار الأبيض ولم سمى بهذا الاسم أو فى عهد من ضرب ، وإنما ورد فى كتاب النقود للمقريزى ، انظر : (ص ٤٢ ، نشر الكرملى) ذكر للدراهم البيض وأنها مما ضرب الحجاج ؟ هذا ويتضح من المتن أن هذا الدينار كان قليل القيمة جداً فلعله كان يشتمل على كمية كبيرة من الفضة مما اتضع به قيمته ، ومما جعل القوم يسمونه بالأبيض .

(٣) نسبة إلى الخليفة العباسى الراضى بالله .

(٤) فى الأصل : « بخمسة وعشرين » ، والتصحيح عن : (المقريزى ، النقود الإسلامية ، ص ١٤) .

(٥) فى الأصل : « أجمل » و « جملا » .

جعفر بن فلاح : (١٣٣) أنه لما سار من القاهرة فى عسكره كان على الرملة ودمشق الحسن بن عبيد الله بن طغج ، فلما بلغه دخول جوهر القائد إلى مصر بعساكر المعز سار عن دمشق فى شهر رمضان ، واستخلف عليها شمول الإخشيدى ، وكان شمول يحقد فى نفسه منه ، ويكاتب جوهر القائد ، فنزل ابن طغج الرملة ، وتأهب لحرب من يسير إليه من مصر ، فوردت عليه الأخبار بمسير القرامطة إليه ، ووافوه بالرملة ، فلقيهم وحاربهم ، فانهزم منهم ، ثم صالحهم وصاهرهم فى ذى الحجة .

ورحل عنه القرمطى بعد ما أقام بظاهر الرملة ثلاثين يوما ، فبعث إلى شمول بالمسير إليه لمحاربة مَن تقدم من مصر ، وأنفذ إلى الصباحى — والى بيت المقدس — بالقدوم عليه ، فتقاعد عنه شمول ، وقرب منه جعفر بن فلاح ، وقد انتشرت كتبه إلى ولاة الأعمال يعدهم الإحسان ، ويدعوهم إلى طاعة المعز ، فالتقى مع ابن طغج وحاربه ، فانهزم منه واحتوى على عسكره ، فقتل كثيراً من أصحابه ، وأخذه أسيرا فى النصف من رجب سنة تسع ، فأقام بالرملة يتبع ما كان لابن طغج ولأصحابه ، وسار إلى طبرية فبنى قصراً عند الجسر ليحارب فاتك غلام ملهم — وكان عليها من قبل كافور الإخشيدى — فلم يعرض له مُلْهَمٌ وملك ، [جعفر] طبرية .

وكان بحَوْرَان (١) والبَثَنِيَّة (٢) بنو عقيل — مِن قبل الإخشيدية —

(١) ذكر ياقوت فى معجمه أنها كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع ... وقصبتها بصرى .

(٢) هكذا ضبطها ياقوت ، وذكر أنها قرية من نواحى دمشق .

وهم : شبيب ، وظالم بن موهوب ، وملهم بن . . . . . [١] قد ملكوا تلك الديار ، فأخذ جعفر بن فلاح يستميل إليه من العرب فزارةَ ومرةَ ، وباطنهم على [٢] قتل ملهم ، فرتبوا له رجالا قتلوه على حين غفلة ، وأظهر جعفر أن ذلك من غير علمه ، وقبض على من قتله [٣] ، وبعث بهم إلى ملهم ، فعفى عنهم [٢] .

وسار من دمشق مشايخ أهلها إلى طبرية للقاء جعفر ، فاتفق وصولهم إليها يوم قتل فاتك ، وقد ثارت بها فتنة ، فأُخذوا وسُلبوا ما عليهم ، فلقوا جعفر بن فلاح ، وعادوا إلى دمشق وهم غير شاكرين ولا راضين ، فبسطوا ألسنتهم بذم المغاربة حتى استوحش أهل دمشق منهم .

وكان شمول قد خرج منها إلى جعفر ، فلقيه بطبرية ، وصار البلد خالياً من السلطان ، فطمع الطامع ، وكثر الذعار [٤] وحمال السلاح به ، وجَهَّز جعفر من طبرية مَنْ استمالهم مِنْ مرة وفزارة لحرب بنى عقيل بحَوْران والبَثَنِيَّة ، وأردفهم بعسكر من أصحابه ، فواقعوا بنى عقيل ، وهزموهم إلى أرض حمص وهم خلفهم ؛ ثم رجعوا [٣٣ ب] عنهم إلى الغُوطَة [٥] ،

---

(١) بياض بالأصل .

(٢) المعنى فى هذه الفقرة مضطرب ، إذ كيف يتفق أن يقتل رجال جعفر ملهماً ، ثم يرسل جعفر هؤلاء الرجال إلى ملهم — المقتول — فيعفو عنهم ؟!

(٣) فى الأصل : « قبله » .

(٤) الزعار — والزعرة والزعر أيضاً — جمع زاعر ، وهو اللص والمحتال والعيار والحرفوش والمتشرد Filou, Vaurien انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٥) الغوطة فى اللغة الأرض المطمئنة ، وهى هنا — كما ورد فى ياقوت — : الكورة التى منها دمشق .

وامتدت أيديهم إلى أخذ الأموال — وهم سائرون — حتى نزلوا بظاهر دمشق ، فثار عليهم أهل البلد ، وقاتلوهم وقتلوا منهم كثيراً من العرب ، فانهزموا عنها ، وذلك لثمان خلون من ذى الحجة ، فلحقوا بطلائع جعفر ، فساروا معها إلى دمشق ، وخرج إليهم النـاس مستعدين لمحاربتهم — فى خيل ورجل — فاقتتلوا يومهم ثم انصرفوا ، وأصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا ، وصاح الناس فى الجامع بعد الصلاة : « النفير » فخرج النفير ، واشتد القتال إلى آخر النهار .

ونزل جعفر يوم السبت لعشر خلوْن منه بالشَّمَّاسِيَّة (١) ، وأصبح الناس للقتال ، ولم يصلوا ذلك اليوم فى المصلى صلاة العيد ، فاستمروا طول النهار ومعهم الجند الذين كانوا مع شمول ، فـكلوا ، وحملت عليهم المغاربة فانهزموا ، وتمـكن السيف منهم وهم منهزمون إلى أرض عاتـكة (٢) وقصر حجاج ، فقتل خلق كثير ؛ وكان رئيس أهل الشام فى هذه الحروب أبو القاسم بن أبى يعلى العباسى ، ومحمد بن عصودا ، وصدقة الشوا .

فلما ملك المغـاربة ظاهر البلد طرحوا النار فيما هنالك من الأسواق وغيرها ، وصاروا إلى باب الجابية ، وأصبحوا وقد ضبط الرعية أبواب البلد ، فاستمرت الحرب طول النهار مما يلى المصلى ، ثم كفوا عن القتال وباتوا ؛ فلما أصبح النهار خرج قوم من مشايخ البلد لمخاطبـة جعفر — وهو

(١) لم يعرفها ياقوت بأكثر من قوله : « محلة بدمشق » .

(٢) جاء فى الهامش بالأصل أمام هذا اللفظ : « أرض عاتـكة خارج باب الجابية من دمشق ، تنسب إلى عاتـكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، كان لها بها قصر ، وبه مات زوجها عبد الملك بن مروان » .

بالشماسية — فى إصلاح أمر البلد ، فأخذهم قوم من المغاربة ، وسلبوهم ثيابهم ، وقتلوا منهم رجلين وجرحوا عدة ، وعلم بذلك أهل البلد ، فصاحوا من أعلى المواذن[1] بالناس يعلمونهم الخبر ، ثم قدم المأخوذون فارتاع الناس واشتد خوفهم وتحيّروا ، ثم جرت بينهم — بعد ذلك — و بين جعفر مراسلةٌ ، فخرجوا إليه ، فاشتد عليهم وخوّفهم بالنار والسيف ، فعادوا وقد ملئوا رعباً ، فبلغوا قوله للناس وقد تحيروا ، فاقتضى رأيهم معاودة جعفر فى طلب العفو ، فرجع المشايخ إليه ، ومازالوا يتضرعون إليه حتى قال : «ما أعفو عنكم حتى تخرجوا إلىّ ومعكم نساؤكم مكشوفات الشعور فيتمرغن فى التراب بين يدىّ لطلب العفو» ، فقالوا له : «نفعل ما يقول القائد» ، وما برحوا يذلون له حتى انبسط معهم فى الكلام ، وتقرر الأمر على أنه يدخل يوم الجمعة إلى الصلاة فى الجامع .

فلما كان يوم الجمعة ركب فى عسكره ، ودخل البلد فصلى بالجامع وخرج ، فوضع أصحابه أيديهم ينهبون الناس ، فثاروا عليهم ، وقتلوا منهم كثيرا ؛ وخرج إليه المشايخ (١٣٤) فأنكر عليهم ، وقال لهم : «دخل رجال أمير المؤمنين للصلاة فقتلتموهم» وهددهم ، فلطفوا معه القول وداروه ، فأومأ إلى مال يأخذه من البلد دِيَةَ مَنْ قُتل من رجال أمير المؤمنين ، فأجابوه ، وكان فى الجماعة أبو القاسم أحمد المعروف بالعقيقى العلوى — [و] هو أحمد بن الحسن الأشل بن أحمد بن على — الرئيس بالمدينة كان — بن محمد العقيقى بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن

---

(١) كذا فى الأصل . والصحيح «مآذن» جمع «مئذنة» . انظر : (اللسان) .

أبى طالب عليهم السلام — فانصرفوا من عنده ، وفرضوا له المال ، فعمَّ الناسَ البلاءُ فى جبايته .

ونزل بظاهر سور دمشق فوق نهر يزيد أصحاب جعفر [فبنوا[(١)]] المساكن ، وأقاموا بها الأسواق ، وصارت شبه المدينة ، واتخذ لنفسه قصراً عجيباً من الحجارة ، وجعله عظيماً شاهقاً فى الهواء غريب البناء ، وتطلب حمال السلاح فظفر بقوم منهم ، وضرب أعناقهم ، وصلب جثثهم ، وعلّق رؤوسهم على الأبواب ، وفيها رأس إسحاق بن عصودا .

وكان ابن أبى يعلى لما انهزم خرج إلى الغُوطَة يريد بغداد ، فقبض عليه ابن عليان العدوى عند تَدْمُر ، وجاء به إلى جعفر بن فلاح ، فشهَّره على جمل ، وفوق رأسه قلنسوة[(٢)] وفى لحيته ريش و بيده قصبة ، ثم بعث به إلى مصر ؛ وأما محمد بن عصودا فإنه لحق بالقرامطة فى الأَحْساء[(٣)] — هو وظالم بن موهوب العقيلى — لما انهزم بنو عقيل عن حَوْرَان والبَثَنِيَّة ، فحثوهم على المسير إلى دمشق .

فلما كان فى ربيع الأول سنة ستين أنفذ جعفر غلامه فتوح على عسكر

---

(١) أضفنا ما بين الحاصرتين ليتضح المعنى .

(٢) القلنسوة — والقلنسية — ما يلف على الرأس تكويراً مثل العمامة ، انظر : Dozy : Dict. Vêts .

(٣) الأحساء — لغةً — جمع حِسْى ، وهو الماء الذى تنشفه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلابة أمسكته ، فتحفر العرب عند الرمل فتستخرجه ؛ والأحساء — كما ذكر ياقوت فى معجمه — : « مدينة بالبحرين كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد الجنابى القرمطى ، وهى إلى الآن (أى القرن السابع الهجرى) مدينة مشهورة عامرة » .

إلى أنطاكية ، وكان لها فى أيدى الروم نحو من ثلاث سنين ، وسيّر إلى أعمال دمشق وطبرية وفلسطين فجمع منها الرجال ، و بعث عسكرا بعد عسكر إلى أنطاكية ، وكان الوقت شتاء ، فنازلوها حتى انصرم الشتاء ، وسارت القوافل وهم ملحون فى القتال ، فأردفهم جعفر بعساكر فى نحو أربعة آلاف مدداً لهم ، فظفروا بنحو مائتى بغل تحمل علوفة لأهل أنطاكية فأخذوها وقد أشرفوا على اسكندرونة وعليها عساكر الروم فواقعوهم ، فانهزم العسكر ، وقتلوا منهم كثيرا .

وورد على ابن فلاح خبر هزيمة عسكره ، وخبر مسير القرامطة إلى الشام ، وأنهم وردوا الكوفة . فأمدّهم صاحب بغداد بالسلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبى تغلب بن حمدان ، تقوية لهم على حرب المغاربة فبعث إلى غلامه فتوح برحيله عن أنطاكية ومصيره إليه ، فوافاه ذلك أول رمضان ، فسار بمن معه ، وتركوا كثيراً من العلف والطعام ، وأتوه إلى دمشق ، فصار كل قوم منهم إلى أماكنهم .

وقدم القرمطى إلى الرحبة ، فأمده أبو تغلب بالمال ، وبمن كان عنده من الإخشيدية الذين كانوا (٣٤ ب) بمصر وفلسطين [و] صاروا إليه لما انهزموا من المغاربة ، وسار بهم القرمطى حتى قرب من دمشق ، فخرج إليهم جعفر بن فلاح — وقد استهان بهم — وواقعهم ، فانهزم منهم ، وأخذ السيفُ أصحابَه ، وقُتل — فلم يُدر قاتله — لست خلوْن من ذى القعدة سنة ستين ، ووُجد مطروحا على الطريق خارج دمشق ، فجاءه محمد بن عصودا فقطع رأسه ، وصلبه على حائط داره ؛ أراد بذلك أخذَ ثأر

أخيه إسحاق لما قتله جعفر وصلبه . وملك القرامطة دمشق ، وأمنوا أهلها ، ثم ساروا إلى الرملة فملكوها ، واجتمع إليهم كثير من الإخشيدية .

وفيها اصطلح قرعونه — مولى سيف الدولة بن حمدان — متولى حلب ، وأبو المعالى شريف بن سيف الدولة ، فخطب له قرعونه بحلب ، وخطبا جميعا فى معاملتيهما للإمام المعز بحلب وحمص .

(١٣٥) ودخلت سنة ستين وثلاثمائة :

فنى المحرم اشتدت الأمراض والوباء بالقاهرة ، وورد جماعة من الوافدين إلى المغرب بجوائز وخِلَع .

وفى صفر ضرب تِبْر بالسوط ، وقُبضت ودائعه .

وفى ربيع الآخر جرح تبر نَفْسَه ، ومات بعد أيام ، فسُلخ بعد موته وصُلب .

وفى جمادى الأولى مَنَعَ جوهر مِنْ بيع الشواء مسموطا ، وأن يُسلخ من جلده .

وفى جمادى الآخرة نقل جوهرُ مجلس المظالم[1] إلى يوم الأحد ، وأطلق لأصحاب الراتب ألف دينار فُرقت فيهم ؛ وورد شمول من الشام مستأمنا ، فخُلع عليه سبعُ خلع ، وحُمل على فرسين ، وأُعطى اثنى[2] عشر كيسا عينا وورقا ؛ وقدم سعادة بن حيان من المغرب فى جيش كبير ، فتلقاه جوهر فترجل له سعادة .

(١) انظر ما فات ، ص ١٦٥ .

(٢) فى الأصل : « اثنا » .

وفى شعبان وردت الرسل من المغرب برأس محمد بن خزر ، ومعه ثلاثة آلاف رأس ، فقرأ عبد السميع يوم الجمعة كتاب المعز بخبر المذكور — وكان محمد بن الخير بن محمد بن خزر الزناتى أكبر ملوك المغرب سلطانا على زناتة وغيرهم ، هجم عليه أبو الفتوح يوسف بن زيرى بن مناد وهو فى قليل من أصحابه بشرب ، فلما أحيط به قتل نفسه بسيفه فى سابع عشر ربيع الآخر سنه ستين وثلاثمائة ، فقدم رأسه على المعز لثلاث بقين منه — .

وفى شوال أنفذ جوهر سعادة بن حيان إلى الرملة والياً عليها ، وقد كثر الإرجاف بالقرامطة ، وأن جعفر بن فلاح قُتل منهم ، و [أنهم] ملكوا دمشق ، فتأهب جوهر لقتالهم ، وعمل الخندق [(١)] ، ونصب عليه البابين الحديد اللذيْن كانا على ميدان الإخشيد [(٢)] ، وبنى القنطرة على الخليج ، وفرّق السلاح على المغاربة والمصريين ؛ ووكل بابن الفرات خادما يبيت معه فى داره ، ويركب معه حيث سار ؛ ووثب أهل تنيس على واليهم وقتلوا جماعة منهم الأيام (؟) فى القبلة ؛ ووُجدت رقاع فى الجامع العتيق فيها التحذير من جوهر ، فجمع الناس ووبخهم فاعتذروا .

---

(١) ذكر المقريزى (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٧٩ — ١٨٠) أن جوهراً قصد باختطاط القاهرة حيث هى « أن تصير حصناً فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونهما ، فأدار السور اللبن على مناخه الذى نزل فيه بعسكره ... واحتفر الخندق من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة إلى القاهرة وما وراءها من المدينة » .

(٢) أنشأ هـذا الميدان الأمير أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد بجوار بستانه الذى عرف فيما بعد بالبستان الكافورى ، وكانت تقف فيه الخيول السلطانية فى الدولة الإخشيدية . انظر : (المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٢٠ — ٣٢١) .

وفى ذى الحجة كبست القرامطة مدينة القُلْزُم [١] ، وأخذوا واليها عبد العزيز بن يوسف [٢] ، وما كان له من خيل و إبل .

وكان القاع خمسة أذرع ، و بلغ ماء النيل سبعة عشر ذراعا وأر بعة أصابع ، وخلع جوهر على ابن أبى الرداد ، وأجازه وحمله .

وفيها مات أبو سعيد يانس أحد قواد الإخشيدية فى المحرم ، وقتل تبر القائد أبو الحسن نفسه بسكين الدواة [٣] فى شهر ربيع الآخر ، فسلخه القائد جوهر ، وصلبه عند المنظر حتى مزقته الرياح .

ودخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

فى المحرم دخل (؟) برؤوس من بنى هلال ؛ وفيه كُبست الفرما ، وعصى أهل تنيس ، وغيّروا الدعوة وسوّدوا ، فحاربهم العسكر ، ودخل بعض المنهزمين من القرامطة ، وتبعهم القرامطة إلى عين شمس ، فاستعد جوهر لقتالهم ، وغلّق أبواب الطابية ، وضبط الداخل والخارج ، وقبض

---

(١) القلزم مدينة قديمة كانت ميناء مصر فى أقصى شمال خليج القلزم ، وبها سمى البحر الأحمر بحر القلزم أيضاً ، وقد خربت هذه المدينة فى القرن الخامس الهجرى ، وعلى أنقاضها نشأت مدينة السويس الحالية فى القرن السادس الهجرى ، انظر تحقيقات المرحوم رمزى بك : (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٥١ — ١٥٢) .

(٢) جاء فى الهامش بالأصل أمام هذا الاسم ما يلى : « عبد العزيز هذا هو الذى أعان المتنبى حين هرب من مصر حين اجتاز به ، فأضافه وحوزه (كذا) ، وله فيه أبيات فى ديوانه » .

(٣) عقد صاحب صبح الأعشى فصلا طويلا تحدث فيه بإسهاب عن الآلات التى تشتمل عليها الدواة كالأقلام والمقلمة والمقط والمحبرة والجونة ، وذكر من بينها : المدية أو السكين ، ثم ذكر أنواعها وأجزاءها وصفاتها وما قيل فيها ... انظر : (ج ٢ ، ص ٤٦٥ ، ٤٦٧) .

على أربعة من الجند المصريين ، وضرب أعناقهم وصلبهم ، و بعث فأخرج ابن[١] الفرات من داره وأسكنه بالقاهرة .

وفى مستهل ربيع الأول التحم القتال مع القرامطة على باب (٣٥ ب) القاهرة ، وكان يوم جمعة ، فقُتل من الفريقين جماعة ، وأُسر عدة ، وأصبحوا يوم السبت متكافئين ، وغدوا يوم الأحد للقتال ، فسار الحسن بن أحمد بهرام الذى يقال له الأعصم — زعيم عسكر القرامطة — بجميع عسكره على الخندق ، والباب مغلق ، فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب ، واقتتلوا قتالا شديدا قُتل فيه خلق كثير ، وانهزم الأعصم ونُهب سواده بالجب ، وأخذت صناديقه وكتبه ، ومرّ فى الليل على طريق القلزم ، فنهبت بنو عقيل و بنو طىّ كثيرا من سواده ، ونادى جوهر فى المدينة : « من جاء بالقرمطى أو برأسه فله ثلاث مائة ألف درهم ، وخمسون خلعة ، وخمسون سرجا تحلى على دوابها » ، فلما كان الغد من وقعة القرمطى ورد أبو محمد الحسن بن عمّار من المغرب ؛ وسار عسكر لقتال أهل تنيس ، وقبض على تسعمائة من جند مصر فى ساعة واحدة وقيدوا[٢] ؛ وأورد جوهر تدبير الأموال إلى جعفر بن الفرات ، وخرج سعادة بن حيان فى عسكر إلى الرملة بسبب القرامطة فدخلها ، ثم قدم عليه الأعصم القرمطى ، فعاد سعادة بمن معه إلى مصر .

وفى شهر رمضان قُبض على عجوز عمياء تنشد فى الطريق وحُبست ،

---

(١) فى الأصل : « أبى » .

(٢) فى الأصل : « وقيد » .

ففرح جماعة من الرعية ، ونادوا بذكر الصحابة ، وصاحوا : «معاوية خال المؤمنين ، وخال على» ، فبعث جوهر ونادى فى الجامع العتيق : أيها الناس : « أقلوا القول ، ودعوا الفضول ، فإننا حبسنا العجوز صيانةً لها ، فلا ينطقن أحد إلا حلّت به العقوبة الموجعة » ، ثم أُطلقت العجوز .

وخرج عبد العزيز بن هيج الكلابى بالصعيد ، وسوّد ودعا لبنى العباس ، فبعث إليه جوهر فى البحر أربعين مركبا عليها بشارة النوبى ، وأنفذ بأزرق فى البر على عسكر ، فأخذ وأدخل به فى قفص مغلولا ، وطيف به وبمن معه . ووافى الأسطول من المغرب وسار إلى الشام فأسر وغنم . وأمر جوهر برفع الدنانير البيض .

وفى آخر ذى الحجة نهبت المغاربة مواضع بمصر ، فثارت الرعيَّة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وركب إليهم سعادة بن حيان ، وغرم جوهر للناس ما نهب لهم ، وقَبِل قولهم فى ذلك .

ودخلت سنة اثنتين وستين وثلاثمائة :

فنى المحرم قدَّر جوهر قيمة الدنانير ، فجعل الأبيض بثمانيـة دراهم ، ولخمس بقين منه توفى سعادة بن حيان ، فحضر جوهر جنازته ، وصلى عليه الشريف مسلم .

وفى ربيع الأول عزَّر سليمان بن عزة[1] المحتسب جماعة من الصيارفة فشغب طائفة منهم ، وصاحوا : « معاوية خال على بن أبى طالب » ، فهمَّ جوهر (١٣٦) باحراق رحبة الصيارفة لولا خوفه على الجامع . وفيه أمر

(١) انظر ما فات ، ص ١٦٩ ، ١٧٢ .

ألاّ يظهر يهودى إلا بغيار(١) . ودخل الحسن بن عمّار ببضع وتسعين أسيرا وشُهِّروا .

ودخل عبد الله بن طاهر الحسينى على جوهر بطَيْلَسان(٢) كحلى — وفى مجلسه القضاة والعلماء والشهود — فأنكر الطيلسان الكحلى ، ومدّ يده فشقّه ، فغضب ابن طاهر وتكلم ، فأمر جوهر بتمزيقه فمُزِّق ، وجوهر يضحك ، وبقى [ابن طاهر] حاسراً بغير رداء ، فقام جوهر وأخرج له عمامة ، ورداء أخضر ، وألبسه وعَمَّمه بيده .

وفى يوم الثلثاء رابع المحرم المذكور زلزلت دمشق وأعمالها زلزلة عظيمة وقتاً من الزمان ، ثم هدأ ، وانهدم بها من (؟) أنطاكية عدة أبرجة .

وفى شهر ربيع الآخر تواترت الأخبار بمسير المعز إلى مصر ، وورد كتابه من قابس ، فتأهب جوهر لذلك ، وأخذ فى عمارة القصر والزيادة فيه .

وفى النصف من جمادى الأولى مات عبد العزيز بن هيج فسلخ وصلب

وفى أول رجب كَدَّ جوهر الناس للقاء المعز ، فتأهبوا لذلك ، وخرج

---

(١) الغيار الملابس التى كان يتميز بها أهل الذمة عن المسلمين فى العصور الوسطى ، وهذا ما يفهم من مدلول اللفظ : أى الملابس التى تغاير ملابس المسلمين . انظر : (محيط المحيط ؛ Dozy : Supp Dict. Arab ؛ السلوك ، ج ١ ، ص ١٣٥ ، هامش ٤) .

(٢) الطيلسان — بفتح اللام وكسرها وضمها ، والفتح أرجح — لفظ فارسى معرب ، ويقال فيه أيضاً : « الطيلس » و « الطالسان » ، وجمعه « طيالسة » ، وهو كما فى المراجع المختلفة ثوب يحيط بالبدن . خال عن التفصيل والخياطة ، وكان يختص بلبسه فى العالم الإسلامى فى العصور الوسطى الفقهاء والعلماء والقضاة ، وفى النصوص ما يفيد أنه كان ينسج من ألوان مختلفة ، انظر : (الجواليقى ، المعرب ، ص ٢٢٧ ؛ اللسان ؛ Dozy : Dict. Vêt) .

أبو طاهر القاضى ، وسائر الشهود والفقهاء ، ووجوه التجار إلى الجيزة مبرزين للقاء المعز ، فأقاموا بها أربعين يوما حتى ورد الكتاب بوصول المعز إلى برقة فسار القاضى ومن معه . وسار الحسن بن عمَّار إلى الحوف فى عشرة آلاف فواقعوا القرامطة هناك .

ولخمس بقين من شعبان ورد الخبر بوصول المعز إلى الاسكندرية ، ولقيه أبو طاهر القاضى ومن معه ، فخاطبهم بخطاب طويل ، وأخبرهم أنه لم يسر لازدياد فى مُلْكٍ ولا رجال ، ولا سار إلا رغبةً فى الجهاد ونصرةً للمسلمين ؛ وخَلَعَ على القاضى وأجازه وحَمَّله .

ولقيه أبو جعفر مسلم فى جماعة الأشراف ، ومعهم وجوه البلد بنواحى (١) محلة حفص ، وترجلوا له كلهم — وكان سائراً فوقف — وتقدم إليه أولا أبو جعفر مسلم ، ثم الناس على طبقاتهم ، وقبّلوا له الأرض وهو واقف ، حتى فرغ الناس من السلام عليه ، ثم سار وسايره أبو جعفر مسلم — وهو يحادثه — وسأل عن الأشراف ، فتقدم إليه أكابرهم : أبو الحسن محمد بن أحمد الأدرع ، وأبو إسماعيل الرسىّ ، وعيسى أخو مسلم ، وعبد الله بن يحيى بن طاهر بن السويح ؛ ثم عزم على الشريف مسلم ، وأمره بركوب قبة لأن الحرَّ كان شديداً وكان الصوم ، فقدمت إليه قبة محلاة على ناقة ، وعادَلَهُ غلامٌ له ، ونزل المعز إلى الجيزة ، فكانت مدة القائد أبى الحسن جوهر أربع سنين وتسعة عشر يوما .

---

(١) فى الأصل : « بنو أخى محله » .

ذكر قدوم المعز لدين الله أبى تميم معد إلى مصر

وحلوله بالقصر من القاهرة المعزية

وما كان من ولاية الخلفاء من بعده

حتى انقضت أيامهم وأناخ بهم حِمامهم

(٣٦ ب) فى يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة دخل المعز لدين الله إفريقية، وفى يوم الاثنين أربع عشر من جمادى الأولى سنة ثنتى وستين نزل بقصره خارج برقة، ووصل إلى الإسكندرية يوم الجمعة لست بقين من شعبان، ونزل تحت منارتها ثم سار.

ونزل المعز إلى الجيزة فخرج إليه جماعة من بقى، وعقد جوهر جسر الجيزة[(١)]، وعقد جسراً آخر عند المجتاز بالجزيرة حتى سار عليه إلى الفسطاط، ثم إلى القاهرة. وزُينت له الفساط فلم يشقها، ودخل معه جميع من كان وفد إليه، [و] جميع أولاده وأخوته وعمومته، وسائر ولد المهدى، وأدخل معه توابيت آبائه: المهدى والقائم والمنصور. وكان دخوله إلى

(١) كان يربط الجزيرة بالفسطاط فى العصر الإسلامى جسر يمر عليه الناس والدواب، كما كان يربطها بالجيزة جسر آخر، وكان هذان الجسران كما يروى المقريزى (الخطط، ج ٣، ص ٢٧٦) يتكونان من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض، وهى موثقة، ومن فوق المراكب أخشاب ممتدة، فوقها تراب، وكان عرض الجسر ثلاث قصبات. انظر أيضاً: (ابن حوقل، المسالك والممالك، ص ٩٦؛ صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٣٥).

القاهرة ، وحصوله فى قصره يوم الثلثاء لسبع خلوْن من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، فصارت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة .

قال الفقيه الحسن بن إبراهيم بن زولاق — رحمه الله — ، ومن خطه نقلت : « حدثنى أحمد بن جعفر قال : كان القائم بأمر الله — عليه السلام — يوما فى مجلس أبيه المهدى جالساً بين يديه ، وكان ابنه المنصور قائما بين يدى جده ، فقال المهدى لابن ابنه المنصور : « ايتنى بابنك » — يعنى المعز لدين الله — ، فجاءت به دايته — وله سنة أو فوقها — ، فأخذه المهدى فى حجره وقبّـله ، وقال لابنه القائم بأمر الله : « يا أبا القاسم : ما على ظهر الأرض مجلس أشرف من هـذا المجلس ، اجتمع فيه أربعة أئمة ، يعنى المهدىُ نفسَه ، وابنَه القائم ، وابنَ ابنه المنصور ، وابنَ ابن ابنه المعز لدين الله ؛ وزادنى أبو الفضل ريْدان — صاحب المظلة — فى هذا الخبر أن المهدى جمعهم فى دُوَّاج (١) وقال : « جمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معه ثلاث أئمة فى كساء سوى نفسه ، وقد جمع هذا الدواج أربعة أئمة » .

قال [ابن زولاق] : « ولما وصل المعز إلى قصره خرَّ ساجداً ، ثم صلى ركعتين ، وصلى بصلاته كل من دخل معـه ، واستقر فى قصره بأولاده وحشمه وخواص عبيده ، والقصر يومئذ مشتمل (٢) على ما فيه من عين

---

(١) الدواج ضرب من الثياب : (اللسان) .

(٢) فى : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٧) : « يشتمل » .

وورق وجوهر وحُلى وفَرْش وأوانٍ(١) وثياب وسلاح وأسفاط وأعدال وسروج ولُجُم ، و بيت المال بحاله بما فيه ، وفيه جميع ما يكون للملوك .

وخرج غد هـذا اليوم — وهو يوم الأربعاء — جماعةُ الأشراف والقضاة والعلماء والشهود ووجوه أهل البلد وسائر الرعيّة لتهنئة المعز .

ولعشر خلوْن من رمضان أمر المعز بالـكتاب على المشايخ فى سائر مدينة مصر : « خير الناس بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أميرُ المؤمنين على بن أبى طالب — عليه السـلام — » ، وأثبت اسم المعز لدين الله ، واسم ابنه عبد الله الأمير . ووقّع المعز بيده إلى محمد بن الحسين ابن مهذب — صاحب بيت المال — : « تقـدم يا محمد بابتياع لنا ولمولاك عبد الله فى كل يوم من الفا كهة الرطبة واليابسة (١٣٧) كذا وكذا(٢) بسعر النـاس ، ولا تعرف الرسول لئلا تقع محاباة ولا مسامحة ، وكذلك حوائج المطبخ » .

وللنصف منه جلس المعز فى قصره على السرير(٣) الذهب الذى عمله جوهر فى الإيوان الجديد ، وأذن بدخول الأشراف أولاً ، ثم بعدهم الأولياء وسائر وجوه الناس ، وجوهرُ قائم بين يديه يقدِّم الناس قوماً بعد قوم ؛ ثم مضى جوهر وأقبل بهديته [التى عبأها(٤)] ظاهرة يراها الناس ، وهى :

---

(١) فى الأصل : « وأوانى » والتصحيح عن الخطط .

(٢) فى الأصل : « كذى وكذى » .

(٣) السرير هنا بمعنى العرش ، وقد سمى سريراً لأن من جلس عليه من أهل الرفعة والجاه يكون مسروراً ، والجمع : أسرة ، وسرر . (محيط المحيط) .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٧) .

من الخيل مائة وخمسون فرساً مسرجة ملجمة ، منها مذهب [١] ، ومنها مرصع ، ومنها معنبر [١] ، وإحدى [٢] وثلاثون قبة على [نوق [٣]] بخاتى بالديباج والمناطق والفرش ، منها تسعة بديباج مثقل ؛ وتسع نوق مجنوبة مزينة بمثقل ؛ وثلاثة وثلاثون بغلا ، منها سبعة مسرجة ملجمة ؛ ومائة وثلاثون بغلا للنقل ؛ وتسعون نجيباً ، وأربعة صناديق مشبكة يُرى ما فيها ، وفيها أوانى الذهب والفضة ؛ ومائة سيف محلى بالذهب والفضة ؛ ودرجان [٤] من فضة مخرّقة فيها جوهر ، وشاشية مرصعة فى غلاف ، وتسعمائة ما بين سفط وتخت [٥] فيها سائر ما أعدّه له من ذخائر مصر .

وأذن المعز لابنه عبد الله فى الجلوس فى مجلسه ، وحمل أبو جعفر مسلم ابن عبيد الله الحسينى هديته ، وهى : أحد عشر سفطاً من متاع تونة [٦] وتنيس ودمياط ، وخيلاً وبغلاً ، وقال : « كنت أشتهى أن يلبس منها المعز لدين الله ثوبا أو يتعمم بالعمامة التى فيها ، فما عمل لخليفة قط مثلها » ؛ وأذن المعز لجماعة بالجلوس فى مجلسه ، وأطلق جماعة المعتقلين من الإخشيدية والكافورية الذين اعتقلهم جوهر ، وعدتهم نحو الألف .

وقال [المعز] للقاضى أبى طاهر : « كم رأيت من خليفة ؟ » فقال : « ما رأيتُ خليفة غير مولانا المعز لدين الله — صلوات الله عليه » فاستحسن

---

(١) فى الأصل : « بذهب وبعنبر » والتصحيح عن الخطط ، نفس الجزء والصفحة.
(٢) فى الأصل : « واحد » والتصحيح عن الخطط .
(٣) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٧) .
(٤) فى الأصل : « درجات » والتصحيح عن الخطط .
(٥) التخت وعاء تصان فيه الثياب ؛ فارسى معرب : (اللسان) .
(٦) قرية قديمة كانت قريبة من تنيس ودمياط ، وكانت مشهورة بثيابها وطرزها .

ذلك منه على البديهة ، مع علم المعز أن أبا طاهر رأى المعتضد والمكتفى والمقتدر والقاهر والراضى والمتقى والمستكفى والمطيع ، فشكره وأعجب بقوله : وركب المعز يوم الفطر — لصلاة العيد — إلى مصلى[1] القاهرة الذى بناه جوهر ، وكان محمد بن أحمد بن الأدرع الحسنى قد بكَّر وجلس فى المصلى تحت القبة ، فجاء الخدم وأقاموه وأقعدوا موضعه أبا جعفر مسلم ، وأقعدوه دونه ، فكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلى ، وأقبل المعز فى زيّه وبنوده وقبابه ، وصلّى بالناس صلاة العيد صلاةً تامةً طويلةً ، قرأ فى الأولى بأم الكتاب ، و « هل أتاك حديث الغاشية » ؛ ثم كبَّر بعد القراءة ، وركع فأطال ، وسجد فأطال . قال ابن زولاق (٣٧ ب) : « أنا سبحتُ خلفه فى كل ركعة وفى كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة ، وكان القاضى النعمان بن محمد يبلِّغ عنه التكبير . وقرأ فى الثانية بأم الكتاب وسورة « والضحى » ، ثم كبَّر أيضاً بعد القراءة ، وهى صلاة جده على بن أبى طالب ، وأطال أيضاً فى الثانية الركوع والسجود ، وأنا سبّحت خلفه نيفا وثلاثين تسبيحة فى كل ركعة وفى كل سجدة ؛ وجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة ، وأنكر جماعة يترسمون بالعلم قراءته قبل التكبير لقلة علمهم وتقصيرهم فى العلوم ؛ فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر ، وسلم على الناس يميناً وشمالا ، ثم نشر البندين[2] اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما[3] ، وكان

---

(١) لاحظ أن المقريزى ينقل هنا عن ابن زولاق المؤرخ المعاصر للمعز ؛ وهو يسمى الجامع الذى بناه جوهر « مصلى القاهرة » ولا يسميه « الجامع الأزهر » .

(٢) فى الأصل : « بالبندين » .

(٣) فى الأصل : « وراها » .

فى أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل ، فجلس عليها بين الخطبتين ، واستفتح الخطبة ببسم الله الرحمن الرحيم ، وكان معه على المنبر جوهر ، وعمّار بن جعفر ، وشفيع — صاحب المظلة — ثم قال : « الله أكبر ، الله أكبر » استفتح بذلك ، وخطب وأبلغ وأبكى الناس ، وكانت خطبته بخضوع وخشوع .

فلما فرغ من خطبته انصرف فى عساكره ، وخلفه أولاده الأربعة بالجواشن (١) والخوذ على الخيل بأحسن زى ، وساروا بين يديه بالفيلين . فلما حصل فى قصره أحضر الناس فأكلوا ونشّطهم إلى الطعام ، وعتب على من تأخر ، وتهدد من بلغه عنه صيام العيد » .

وردّ إلى أبى سعيد عبد الله بن أبى ثوبان أحكام المغاربة ومظالمهم ، وتحاكم إليه جماعة من المصريين فحكم بينهم وسجّل ، فكان شهود مصر يشهدون عنده ويشهدون على أحكامه ، ولم يُرَ هذا بمصر قبل ذلك ؛ واستخلف [أبو سعيد] أحمد بن محمد الداودى .

ومنع المعز من النداء بزيادة النيل ، وألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى جوهر ، فلما تم أباح النداء [يعنى لما تم ست عشرة ذراعاً (٢)] .

---

(١) الجواشن جمع جوشن وهو الدرع . انظر : (محيط المحيط) .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (الخطط ، ج ١ ، ص ٩٧) حيث نقل المقريزى هذه الحقيقة أيضاً عن سيرة المعز لابن زولاق ، وعقب عليها بتفسير الحكمة فى هذا الإجراء فقال ما ملخصه : « فتأمل ما أبدع هذه السياسة ، فإن الناس دائماً إذا توقف النيل فى أيام زيادته أو زاد قليلا يقلقون ، ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون أيديهم على الغلال ، ويمتنعون عن بيعها رجاء ارتفاع السعر ، ويجتهد من عنده مال فى خزن الغلة ، إما لطلب السعر ، أو لطلب ادخار قوت عياله ، فيحدث بهذا الغلاء ، =

وخَلَعَ على جوهر خلعةً مذهبةً ، وعمامةً حمراء ، وقلَّده سيفا ، وقاد بين يديه عشرين فرساً مسرجة ، وحمل بين يديه خمسين ألف دينار ، ومائتى ألف درهم ، وثمانين تختا من ثياب .

وركب المعز إلى المقس ، وأشرف على أسطوله (١) ، وقرأ عليه وعوّذه ، وخلفه جوهر والقاضى النعمان ووجوه أهل البلد ، ثم عاد إلى قصره . وضُربت أعناق جماعة عاثوا بنواحى القرافة .

وفى ذى القعدة احترق سوق القاهرة ، وأعيد ؛ وركب المعز لكسر (٢) خليج القاهرة ، فكُسر بين يديه ، وسار على شط النيل ، ومرّ على سطح الجرف ، وعطف على بركة الحبش (٣) ، ثم على الصحراء إلى الخندق الذى

= فإن زاد الماء انحل السعر وإلا كان الجدب والقحط ، ففى كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة وأجل عائدة » .

(١) ذكر المقريزى (الخطط ، ج ٣ ، ص ٣١٧) — نقلا عن ابن أبى طى — أن المعز هو الذى أنشأ دار الصناعة التى بالمقس ، وأنه أنشأ بها ستمائة مركب « لم ير مثلها فى البحر على ميناء » .

(٢) مما يستحق الالتفات أن هذا أول ركوب للمعز لكسر الخليج . وقد كان الفاطميون يحتفلون بهذا الركوب احتفالا خاصاً رائعاً بعد ذلك ؛ انظر وصفه فى : (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥١٢ — ٥١٧) .

(٣) كانت تقع هذه البركة جنوبى الفسطاط بين النيل والجبل ، وذكر المقريزى عند كلامه عن البرك فى الجزء الثانى من الخطط أنها كانت تعرف ببركة المغافر ، وبركة حمير ، واصطبل قرة ، وباصطبل قامش ، وبركة الأشراف ، وبركة الحبش ، وهو الاسم الذى اشتهرت به . وقال المرحوم محمد رمزى بك فى تحقيقاته : (النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٨٢) : « وهذه البركة لم تكن بركة عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة ، وإنما كانت تطلق على حوض من الأراضى الزراعية التى يغمرها ماء النيل وقت فيضانه سنويا بواسطة خليج بنى وائل الذى كان يأخذ ماءه من النيل جنوبى مصر القديمة ، فكانت الأرض وقت أن يغمرها الماء تشبه البرك ، ولهذا سميت بركة ... ويستفاد مما ذكره أبو صالح الأرمنى فى كتاب الديارات أن هذه الجنان عرفت بالحبش لأنها كانت لطائفة من الرهبان الحبش » .

حفره جوهر فى موكب عظيم ، وخلفه وجوه (١٣٨) أهل البلد ، وأبو جعفر أحمد بن نصر يعرِّفه بالمواضع . و بلغ المعز أن محمداً أخا أبى إسماعيل الرسى يريد الفرار إلى الشام ، فقبض عليه وسُجن مقيداً .

وفى يوم عرفة نصب المعز الشمسية التى عملها للكعبة على إيوان قصره وسعتها إثنا عشر شبرا فى مثلها ، وأرضها ديباج أحمر ، ودورها إثنا عشر هلال ذهب ، فى كل هلال أترجة ذهب مشبك ، جوف كل أترجة خمسون درة [كبار][1] كبيض الحمام ، وفيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق[2] ، وفى دورها مكتوب[3] آيات الحج بزمرد[4] أخضر ، وحشو الكتابة دُر كبار[5] لم يُرَ مثله ، وحشو الشمسية المسك المسحوق ، فرآها الناس فى القصر ومِنْ خارجه لعلو موضعها ، ونصبها عدة فراشين ، وجروها لثقل وزنها .

[و] أول من عمل الشمسية للكعبة أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله ، فبعث بسلسلة من ذهب كانت تعلق مع الياقوتة التى بعثها المأمون ، وصارت تُعلق كل سنة فى وجه الكعبة ، وكان يؤتى بهذه السلسلة فى كل موسم وفيها شمسية مكللة بالدر والياقوت والجوهر قيمتها شىء كثير ، فتقدم

---

(١) ما بين الحاصرتين عن : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٧) .

(٢) ذكر ابن الأكفاني (نخب الذخائر ، ص ٢ — ١٣) أن الياقوت أربعة أصناف : الأحمر وهو أعلاها رتبة وأغلاها قيمة ، والأصفر والأزرق والأبيض ، ثم قسم كل صنف من هذه إلى أنواع ، هـذا وقد ذكر صاحب اللسان أن لفظ « ياقوت » فارسى معرب ، بينما ذكر الأب أنستاس الكرملى (المرجع السابق ، ص ٢ ، هامش ١) أنه معرب عن اليونانية .

(٣) فى الخطط : « كتابة » .

(٤) انظر الكلام عن الزمرد بتفصيل فى : (نخب الزخائر ، ص ٤٨ — ٥٢)

(٥) فى الخطط : « كبير » .

بها قائد يُبعث به من العراق ، فتدفع إلى حَجَبَة الكعبة ، ويشهد عليهم بقيدها ، فيعلقونها يوم سادس الثمان ، فتكون على الكعبة ثم تُنزع يوم التروية .

وغدا المعز لصلاة عيد النحر فى عساكره ، وصلى كما ذُكر فى صلاة الفطر من القراءة والتكبير وطول الركوع والسجود ، وخطب وانصرف فى زيِّه ، فلما وصل إلى القصر أَذِنَ للناس عامة فدخلوا والشمسية منصوبة على حالها ، فلم يبق أحد حتى دخل — من أهل مصر والشام والعراق — فذكر أهل العراق وأهل خراسان ، ومن يواصل الحج أنهم لم يروا قط مثل هذه الشمسية ، وذكر أصحاب الجوهر ووجوه التجار أنه لا قيمة لما فيها ، وأن شمسية بنى العباس كان أكثرها مصنوعا ومن شبه ، وأن مساحتها مثل ربع هذه ، وكذلك كانت شمسية كافور التى عملها لمولاه أونوجور بن الإخشيد ، وكان يسير بها إلى الحرم جعفر بن محمد الموسوى ، ثم ابنه أبو الحسين ، ثم بعده ابنه مسلم ، ثم أبو تراب بعد أخيه ، إلى أن أخذها القائد جوهر من أبى تراب ؛ وأمر المعز للناس بالطعام فأكلوا .

وورد الخبر بوصول أسطول القرامطة إلى تنيس فى البحر ، فكانت بينهم وبين أهل تنيس حرب انهزم فيها أصحاب القرامطة ، وأخذ منهم عدة مراكب ، وأسر طائفة منهم ، وأن أسكر (؟) نهبت . فعظم ذلك على المعز ، واشتد خوف الناس فى المقابر حتى كانوا يصلون على الجنائز ولا يتبعونها ، ويمضى بها الحفارون ؛ فأنكر المعز ذلك ، وأمَّن الناس .

ولثمانى عشرة من ذى الحجة ، وهو يوم غدير خُمّ ، تجمع خَلق من

أهل مصر والمغاربة [وَمَنْ تبعهم[١]] للدعاء ، فأعجب المعز ذلك ، وكان هذا أول ما عُمل عيد الغدير بمصر .

وقدم من تنيس مائة وثلاثة وسبعون رجلاً أسارى ، وعدة رؤوس ، ومعهم أعلام القرامطة منكوسة وسلاحُ لهم ، فشُهِّر ذلك فى البلد ، وجلس المعز حتى (٣٨ ب) ثووْا بين يديه وهو فى علو باب قصره .

وكانت فتنة فى البلد نهبت المغاربة فيها جماعة من الرعيّة ، فركب جوهر فى طلب النهابة ، وأخذهم وجلدهم .

وفى سلخ ذى الحجة شُلخ (كذا) إمام جامع القرافة محمد بن عبد السميع فى طريق القرافة ، وانصرف الناس من جامع القرافة عن غير جمعة ؛ وأحضر جوهر جماعة من أهل تنيس ، وطلبهم بديات المغاربة الذين قُتلوا عندهم ، وألزموا بمائتى ألف دينار ، ثم استقر أمرهم على ألف ألف دينار .

---

(١) ما بين الحاصرتين عن : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣) حيث نقل المقريزى نبأ الاحتفال بعيد الغدير فى عهد المعز عن ابن زولاق . هذا وخم موضع بين مكة والمدينة به غدير أو بطيحة وحوله شجر كثير ، ويقال إن الرسول عليه السلام لما عاد من مكة بعد حجة الوداع سنة ١٠ هـ نزل بغدير خم وآخى على بن أبى طالب ثم قال : « على منى كهرون من موسى ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه وانصر من نصره ، واخذل من خذله » ، ويعلق الشيعة على هذا الحديث أهمية كبرى إذ يعتبرونه بمثابة مبايعة علنية من الرسول قبيل وفاته لعلى بن أبى طالب . انظر : (دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، الترجمة العربية ، ص ٢٣ — ٢٦) . ويذكر المقريزى (الصفحات المذكورة سابقا) أن هذا العيد لم يكن « مشروعا ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم ، وأول ما عرف فى الإسلام بالعراق أيام معز الدولة بن بويه فإنه أحدثه فى سنة ٣٥٢ فاتخذه الشيعة من حينئذ عيداً ... وهو أبدا يوم الثامن عشر من ذى الحجة » وفى الصفحات السالف ذكرها من الخطط تفاصيل ممتعة عن مراسم الاحتفال بهذا العيد فى العهد الفاطمى ، انظر أيضا : (معجم البلدان لياقوت) .

وانتهى النيل فى نقصانه إلى ست أذرع و إصبعين ، و بلغ بزيادة الماء الجديد سبع عشرة ذراعا و إصبعين ، وأطلق المعز لمتولى المقياس الجائزة والخلع والحملان ، فزاده على رسمه .

وفيها مات أبو عمرو محمد بن عبد الله السهمى — قاضى مكة — ومات الإشبيلى — قاضى المغاربة[(١)] بمصر — .

٣٦٢ هـ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة :

وأمير المؤمنين المعز لدين الله وخليفته القائد جوهر . والقاضى أبو طاهر محمد بن أحمد . والخراج نصفين إلى على بن محمد بن طباطبا ، وعبد الله بن عطاء الله ؛ والنصف الآخر إلى الحسن بن عبد الله ، والحسين بن أحمد الروذبارى . وصاحب بيت المال محمد بن الحسين بن مهذب : وصاحب المظلة شفيع الصقلبى . وطبيبه موسى بن العازار . والشرطة السفلى[(٢)] إلى عروبة ابن ابراهيم ، وشبل المعرضى . والشرطة العليا إلى حبر [بن القاسم][(٣)] وإمام الجامع العتيق والخطبة إلى عبد السميع بن عمر العباسى . و إمام الصلوات الخمس الحسن بن موسى الخياط .

(* ولست عشرة بقيت من المحرم قَلَّد المعز الخراج ، ووجوه الأموال جميعها ، والحسبة ، والسواحل ، والأعشار ، والجوالى ، والأحباس ، والمواريث ، والشرطتين ، وجميع ما ينضاف إلى ذلك ، وما يطوى فى مصر وسائر الأعمال أبا الفرج يعقوب بن يوسف الوزير ، وعسلوج بن الحسن ،

---

(١) لاحظ هذا فكأنه كان للمغاربة قاض خاص بهم فى مصر بعد الفتح الفاطمى
(٢) انظر ما فات ، ص ١٥٦ ، هامش ٣ .
(٣) أكملنا الاسم بعد مراجعة ما يلى هنا ، انظر ص ١٩٩ ، ٢٠٣ .

وكتب لهما بذلك سجلاً قرئ يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون ؛ وقبضت أيدى سائر العمال والمتضمنين ، وجلسا غد هذا اليوم فى دار الإمارة[١] فى جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الأموال وحضر الناس للقبالات وطالبوا بالبقايا من الأموال مما على المالكين والمتقبلين والعمال[*] ، واستقصيا فى الطلب ، ونظرا فى المظالم .

وفيه تبسطت المغاربة فى نواحى القرافة والمعافر ، فنزلوا فى الدور ، وأخرجوا الناس من دورهم ، ونقلوا السكان وشرعوا فى السكنى فى المدينة ، وكان المعز أمرهم أن يسكنوا فى أطراف المدينة ، فخرج الناس واستغاثوا إلى المعز ، فأمر أن يسكنوا نواحى (١٣٩) عين شمس ، وركب المعز بنفسه حتى شاهد المواضع التى ينزلون فيها ، وأمر لهم بمال يبنون به ، وهو الموضع الذى يُعرف اليوم بالخندق ، وخندق العبيد ؛ وجعل [لهم] والياً وقاضياً ؛ وأسكن أكثرهم فى المدينة مخالطين لأهل مصر ، ولم يكن جوهر يبيحهم سكنى المدينة ولا المبيت فيها ، وحظّر ذلك عليهم ، وكان مناديه ينادى كل عشيّة : « لا يبيتنّ فى المدينة أحدٌ من المغاربة » .

وفى يوم عاشوراء انصرف خلق من الشيعة وأتباعهم من المشاهد من

(١) يذكر المقريزى هنا أن هذه الدار كانت فى جامع ابن طولون ، غير أنه عقد لها فصلا خاصا فى (الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٢) ذكر فيه أن هذه الدار كانت بجوار الجامع الطولونى ، « أنشأها أحمد بن طولون عندما بنى الجامع ، وجعلها فى الجهة القبلية ، ولها باب من جدار الجامع يخرج منه إلى المقصورة بجوار المحراب والمنبر ... ولم تزل هذه الدار باقية إلى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب فكان يستخرج فيها أموال الخراج ... » ثم ذكر هذا الخبر الوارد هنا نقلا عن ابن زولاق .

(*) أورد المقريزى هذا الخبر أيضا وبنصه فى : (الخطط ، ج ١ ، ص ١٣٢) . وذكر هناك أنه ينقله عن سيرة المعز لابن زولاق .

قبر كُلثُم بنت محمد بن جعفر بن محمد الصادق ، ونفيسة(١) ، ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين ، وكسروا أوانى السقائين فى الأسواق ، وشققوا الروايا ، وسبوا من ينفق فى هذا اليوم وثارت إليهم جماعة ، فخرج إليهم أبو محمد الحسن بن عمّار ، ومنع الفريقين ، ولولا ذلك لعظمت الفتنة لأن الناس كانوا غلقوا الدكاكين وعطلوا الأسواق ، وقويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر ، وكانت مصر لا تخلو من الفتن فى يوم عاشوراء عند قبر كُلثُم وقبر نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب فى الأيام الإخشيدية والكافورية ؛ وكان سودان كافور يتعصبون على الشيعة ، ويتعلق السودان فى الطرق بالناس ويقولون للرجل : « مَنْ خالك ؟ » فإن قال : « معاوية » أكرموه ، وإن سكت لقى المكروه ، وأُخذت ثيابه وما معه ، حتى كان كافور يوكل بأبواب الصحراء ، ويمنع الناس من الخروج .

ولما جلس يعقوب بن كِلّس وعسلوج بن الحسن الونهاجى لعقد الضياع توفرت الأموال ، وزيد فى الضياع ، وتكاشف الناس .

وفى صفر طيف بنحو مائتى رأس قُدم بها من المغرب . ومات ابن عم للمعز ، فصلى عليه المعز ، وكبّر سبعاً ، وكبّر على غيره خمسا ، وهذا مذهب

---

(١) هى السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، ولى أبوها إمرة المدينة لأبى جعفر المنصور مدة ، ثم قبض عليه وحبسه إلى أن أطلقه المهدى وردّ عليه جميع ما كان أخذه المنصور منه ، ورحلت السيدة نفيسه مع زوجها إسحاق ابن جعفر الصادق من المدينة إلى مصر ، فأقامت بها إلى أن ماتت فى شهر رمضان سنة ٢٠٨ ، وقبرها معروف بالقاهرة يزار حتى اليوم . انظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٨٥ — ١٨٦) .

على بن أبى طالب : أنه يكبّر على الميت على قدر منزلته . ومات إسحاق ابن موسى طبيب المعز ، فجعل موضعه أخاه إسماعيل بن موسى .

وامتنع يعقوب وعسلوج أن يأخذا فى الاستخراج إلا ديناراً معزياً ، فاتَّضع الدينار الراضى وانحط ، ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار ، فخسر الناس كثيراً من أموالهم ، وكان صرف المعزى خمسة عشر درهما ونصف واشتد الاستخراج ، وأكَّد المعز فيه ليرد ما أنفقه فى أمواله على مصر ، لأنه قدم مصر يظن أن الأموال مجتمعة ، فوجدها قد فرقتها مؤن مصر وكثرة عساكرها ، وكان الذى أنفقه المعز على مصر مالا يضبط أو يعرفه إلا هو أو خزانه .

وحدثنى [٣٩ ب] بعض كتاب ماله قال : « حملنا إلى مصر أكياساً فارغة — أُنفق ما كان فيها — فى أربعة أعدال على جملين » .

وكدَّ يعقوب وعسلوج أنفسهما فى الاستخراج ، فاستُخرج فى يوم نيف وخمسون ألف دينار معزية ، وكان استخراجا بغير براءة ولا خرج ولا حوالة ؛ واستُخرج فى يوم مائة وعشرون ألف دينار معزية ، وفى يوم آخر من مال تنيس ودمياط والأشمونين أكثر من مائتى ألف وعشرين ألف دينار ، وهذا لم يُسمع بمثله قط فى بلد إلا أن[ه] فى أيام العزيز استخرج حبر بن القاسم ، وعلى بن عمر العداس ، وعبد الله بن خلف المرصدى فى ثلاثة أيام مائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار عزيزية ، منها فى أول يوم أربعة وسبعين ألف دينار ، والباقى [فى] يومين ، وذلك فى أول سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

وفى شهر ربيع الآخر كثر الإرجاف بالقرامطة وانتشارهم فى أعمال الشام ، وكان معهم عبد الله بن عبيد الله أخو أبى جعفر مسلم ، فكتب إليه المعز بعد ما شكاه إلى أخيه مسلم .

وفيه دخل الناس إلى قصر المعز وفيهم : الأشراف والعمال والقواد وسائر الأولياء من كتامة وغيرهم ، فقال إنسان لبعض الأشراف : « اجلس يا شريف » ، فقال بعض الكتاميين : « وفى الدنيا شريف غير مولانا ؟ ! لو ادعى هذا غيرُه قتلناه » ، ثم خرج الإذنُ للناس ، و بلغ المعزَّ هذا ، فلما جلس على سريره وأذن للناس بالجلوس قال : « يا معشر الأهل و بنى العم من ولد فاطمة : أنتم الأهل ، وأنتم العدة ، وما نرضى بما بلغنا من القول ، وقد أخطأ من تكلم بما قيل لنا ، لكم بحمد الله الشرف العلى ، والرَّحِمُ القريبة ، ولئن عاود أحد لمثل ما بلغنا لَنُنَكِلَنَّ به نكالا مشهوراً » فقبَّلت الجماعةُ الأرض ، ودعوا وشكروا ، وكان المتكلم حاضراً فانقمع وندم .

وحدَّث المعز أنه رأى فى منامه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كأنه جالس (١) و بين يديه سيوف منها ذو الفقار ، فأخذ على بن أبى طالب ذا الفقار فضرب به عنق القرمطى الأعصم (٣) ، وضرب حمزةُ عنقَ أخى (٢) الأعصم (٣) ، وضرب جعفر عنق آخر ؛ وانكب المعز يقبل رجل النبى — صلى الله عليه وسلم — فنسج الناس هذه الرؤيا .

---

(١) فى الأصل « جالسا » .

(٢) فى الأصل « أخا » .

(٣) فى الأصل — هنا وفيما يلى — : « الأعسم » وسيدأب الناشر على تصحيح الاسم دون الإشارة إلى ذلك .

وحُمل مال الأحباس من المودع[1] إلى بيت المال الذى لوجوه البر ، وطولب أصحاب الأحباس بالشرائط ليحملوا عليها ، ولما وقف المعز على حبس عمرو بن العاص ، وأن محمد بن أبى بكر كان قبضه وضرب عليه صافية لأمير المؤمنين على بن أبى طالب — أهل الحق — وأن عمرو بن العاص إنما حبسه لما (١٤٠) عاد إلى مصر فى أيام معاوية . أخرج ذلك — من كتاب أبى عمر الكندى — القاضى النعمانُ بن محمد ، فحمله إلى المعز ، فقال : « هذا مال لنا ، فليُحمل إلينا مفرداً من مال الأحباس » ، ففُعل ذلك .

وفى ربيع الآخر ثارت المغاربة فى صحراء المقابر ، ونهبوا الناس ، فأنكر المعز ذلك ، وقُبض على جماعة ؛ وفيه اعتلّ المعز واحتجب ، فاضطربت الرعيةُ ، ولم يَرَه أحد .

وفى جمادى الأولى أُرجف بالقرامطة ، وقوى الاستخراج ، ومُنع الناس من الحضور فى الديوان لئلا يقفوا على مبلغه ؛ وجلس المعز للناس فسروا بسلامته .

---

(١) المودع صندوق كان يعد لحفظ مال مخصص لجهة معينة أو لغرض معين ، ويعهد بحفظه إلى القاضى ، وأول ما استعمل فى مصر الإسلامية لحفظ أموال اليتامى ، وأول من استحدثه القاضى عبد الرحمن بن عبد الله العمرى (١٨٥ — ١٩٤) وكان هذا المودع يسمى أيضا « تابوت القضاة » . انظر : (الكندى ، القضاة ، ص ٤٠٥) حيث يذكر أن العمرى : « أول من عمل تابوت القضاه الذى كان فى بيت المال... أنفق عليه أربعة دنانير — كانت تجمع فيه أموال اليتامى ومال من لا وارث له وكان مودع القضاة بمصر » وذكر المقريزى (الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤٩) أن « مودع الحكم الذى فيه أموال اليتامى والغياب ، كان فى عهده فى فندق مسرور ، انظر أيضا : المقريزى (السلوك ، ج ١ ص ، ٨٦٤ ؛ (Dozy, Sup. Dict. Arab.

وحمل أبو جعفر مسلم إلى المعز المصحف الكبير الذى يُذكر أنه كان ليحيى بن خالد بن برمك ، وكان شراؤه أربعمائة دينار على مسلم ، فلما رآه المعز قال : « أراك معجباً به ، وهو يستحق الإعجاب ، ولكن نفاخرك نحن أيضاً » فدعا بمصحف نصفيْن ما رؤى أحسن منهما خطاً و إذهاباً وتجليداً ، فقال : « هذا خط المنصور ، و إذهابه وتجليده بيده » ، فقال له مسلم « فثمَّ مصحف بخط مولانا المعز لدين الله — عليه السلام — ؟» فقال « نعم » ، وأخرج له نصفيْن ، فقال : « ما رأيتُ أصبح من هذا الخط » فقال المعز : « بعد مشاهدتك لخط المنصور تقول : ما رأيت أصبح من هذا الخط ، ولكنه أصبح من خطك » ثم ضحك وقال : « أردت مداعبتك » وكان أبو جعفر مسلم إذا ذُكر المعز يقول : « وددت أن أبى وجدى شاهداه ليفتخرا به ، فما أقدر أقرن به أحداً من خلفاء بنى أمية ولا بنى العباس » .

وتوفى محمد بن الحسن بن أبى الحسين — أحد خواص المعز — فخرج المعز وهو فى بقايا علته ، وتقدم إلى القاضى النعمان بن محمد بغسله و بكفنه ، وصلى عليه المعز ، وفتح تابوته وأضجعه . و بعد تسعة عشر يوما توفى القاضى النعمان بن محمد أول رجب ، فخرج المعز يبين الحزن عليه ، وصلى عليه ، وأضجعه فى التابوت ، ودُفن فى داره بالقاهرة .

وفى شعبان دخل أبو جعفر مسلم على المعز ، فلما توسط صحن الإيوان قال له أخوه عيسى : « إن الأمير عبد الله فى المجلس فَسَلِّمْ عليه » وكان فى المجلس جماعة ، فدخل أبو جعفر على المعز وقبَّل الأرض ، وقام قائما ، وقال :

« يا أمير المؤمنين : حدثني أبي عن أبيه عن جده عن إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد قال : « دخلت أنا وأخي عبد الله على يعقوب بن صالح بن المنصور — وهو يومئذ أمير المدينة — فقال : من أين أقبل الشيخان ؟ فقالا : من عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سلّمنا عليه وأتيناك ، فقال : سلمتما (٤٠ ب) على صاحبيْه ؟ فقلنا : لا ، فقال سبحان الله ، كيف لم تسلما على صاحبيْه ؟ فقال له أخي عبد الله : سألتك بالله أيها أيها الأمير أيهما[1] أقرب ؟ ابنك هذا منك أو صاحبيْ رسول الله من رسول الله ؟ فقال : ابني هذا ، فقال : ما سلمنا على ابنك في مجلسك إجلالا لك ، نسلم على صاحبي رسول الله بحضرة رسول الله ؟ فقال : والله ما قصرتما » ، ثم قال مسلم : « تأذن يا أمير المؤمنين في السلام على الأمير عبد الله ؟ » فأذن له ، قال عيسى : « وكان المعز لمسلم مكرما » .

وفيه كثر الإرجاف بالقرامطة ودخول مقدمتهم أرياف مصر وأطراف المحلة ، و [أنهم] نهبوا واستخرجوا الخراج ثم رجعوا إلى أعمال الشام .

وأمر المعز المغاربة بالخروج من مصر والسكنى بالقاهرة ففعلوا ؛ ورد المعز الشرطة العليا إلى حبر بن القاسم فاستقصى على المغاربة في الخروج إلى القاهرة . وعاودت المعزَّ العلةُ فاحتجب أياما لا يراه أحد ، ثم جلس للناس فهنوه ، وعرضوا أنفسهم للقتال فشكرهم على ذلك .

ووصلت سرية القرامطة إلى أطراف الحَوْف ، وأنفذ القرمطي عبد الله ابن عبيد الله — أخا مسلم — إلى الصعيد ، فنزل في نواحي أسيوط و إخميم ،

---

(١) في الأصل : « إنما » .

وحارب العمال ، واستخرج الأموال ، فثقل ذلك على المعز ، وعاتب أبا جعفر مسلم ، فاعتذر إليه ، وتبرأ من أفعاله ، ونزل الأعصم القرمطى بعسكره بلبيس ، وتأهب المعز لمنعه ورده .

وقد أحببت أن أورد هنا جملة من أخبار القرامطة لتكرُّر دخولهم إلى مصر :

ذكر طرف من أخبار القرامطة

وذلك أن الحسين الأهوازى لما خرج داعية إلى العراق لقى حمدان بن الأشعث قرمط بسواد الكوفة ومعه ثور ينقل عليه فتماشيا ساعة ، فقال حمدان للحسين : « إنى أراك جئت من سفر بعيد ، وأنت معيى فاركب ثورى هذا » ، فقال الحسين : « لم أُومر بذلك » ، فقال له حمدان : « كأنك تعمل بأمر آمر لك ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « ومن يأمرك وينهاك ؟ » ، قال : « مالكى ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة » ، فبُهت حمدان قرمط يفكر ، ثم قال له : « يا هذا : ما يملك ما ذكرته إلا الله » ، قال : « صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء » . قال حمدان : « فما تريد فى القرية التى سألتنى عنها ؟ » — وكان الحسين لما رأى قرمط فى الطريق سأله : كيف الطريق إلى قَسّ بَهرام (١) ، فعرّفه قرمط أنه قاصد إليه ، فسأله عن قرية تعرف « بباتنورا » (١) فى السواد ، فذكر أنها قريبة من قريته ، وكان

---

(١) لم أعثر فى المعاجم الجغرافية التى بين يدى على تعريف لهذه المواقع .

قرمط من قرية تعرف « بالدور »[١] على نهر « هد »[١] من (١٤٢)
رُسْتَاق[٢] « مهروساً »[١] من طَسُّوج[٣] « فرات بادفلى »[١] ، وإنما قيل
له قرمط لأنه كان قصيراً ورجلاه قصيرتين ، وخطوه متقاربا ، فسُمى
لذلك قرمطا[٤].

فلما قال للحسين : « ما تريد فى القرية التى سألتنى عنها ؟ » قال له :
« دُفع إلىّ جرابٌ فيه علم وسر من أسرا الله ، وأُمرت أن أشفى هذه
القرية ، وأغنى أهلها وأستنقذهم ، وأملكهم أملاك أصحابهم » وابتدأ
يدعوه ، فقال له حمدان قرمط : « يا هذا : نشدتُك الله إلا دفعت إلىّ من
هذا العلم الذى معك ، وأنقذتنى ينقذك الله » قال له : « لا يجوز ذلك
أو آخذ عليك عهداً وميثاقاً أخذه الله على النبيين والمرسلين ، وألقى إليك
ما ينفعك » ، فما زال يضرع إليه حتى جلسا فى بعض الطريق ، وأخذ
عليه العهد ، ثم قال له : « ما اسمك ؟ » ، قال له قرمط : « قم معى إلى منزلى
حتى تجلس فيه ، فإن لى إخواناً أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد
للمهدى » ؛ فصار معه إلى منزله ، وأخذ على الناس العهد ، وأقام بمنزل
حمدان قرمط ، فأعجبه أمره ، وعظّمه ؛ وكان الحسين على غاية ما يكون من

---

(١) لم يعثر الناشر على تحقيق لهذه المواقع .

(٢) الرستاق — والرسداق أيضا — . والجمع (رساتيق) . عرفها الجواليقى (المعرب ، ص ١٥٨) بأنها أرض السواد والقرى . واللفظ معرب عن الفارسية . انظر أيضا : (شفاء الغليل ، ص ١٠٧) .

(٣) جاء فى (اللسان) أن الطسوج معرب وهو الناحية ، ثم قال : والطسوج واحد من طساسيج السواد . والطسوج أيضا وزن من الأوزان .

(٤) انظر مافات ، ص ٣٠ ، هامش ١ .

الخشوع ، صائماً نهاره ، قائماً ليله ، فكان المغبوط مَنْ أخذه إلى منزله ليلة ؛ وكان يخيط لهم الثياب و يكتسب بذلك ، فكانوا يتبركون به و بخياطته .

وأدرك الثمر ، فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوى — وكان أحد وجوه الكوفة ومن أهل العلم والفضل — إلى عمل ثمره[1] ، فوُصف له الحسين الأهوازى ، فنصبه لحفظ ثمره[1] ، والقيام فى حظيرته[2] ، فأحسن حفظها ، واحتاط فى أداء الأمانة ، وظهر منه من التشدد فى ذلك ما خرج به عن أحوال الناس فى تساهلهم فى كثير من الأمور — وذلك فى سنة أربع وستين ومائتين .

واستحكمت ثقة الناس به ، وثقته هو بحمدان قرمط ، وسكونه إليه ، فأظهر له أمره (١٤١) ، وكان مما دعا إليه أنه جاء بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرج بن عثمان [وهو من قرية يقال لها نصرانة][3] إنه داعية المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدى ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ؛ و إن المسيح تصور فى جسم إنسان ، وقال [له][3] : إنك الداعية ، و إنك الحجة ، و إنك الناقة ، و إنك الدابة ، و إنك يحيى بن زكريا ، و إنك روح القدس ؛ وعرّفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها[4] ؛ وأن الآذان فى كل صلاة أن يقول المؤذن :

---

(١) فى الأصل : « ثمره » .
(٢) فى الأصل : « خطيرته » .
(٣) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٧ ، ص ١٧٨) .
(٤) فى ابن الأثير : « بعد غروبها » .

الله أكبر ثلاث مرات .

أشهد ألا إله إلا الله مرتين .

أشهد أن آدم رسول الله

أشهد أن نوحاً رسول الله

أشهد أن إبراهيم رسول الله

[أشهد أن موسى رسول الله] (١)

أشهد أن عيسى رسول الله

أشهد أن محمداً رسول الله

أشهد أن أحمد بن محمد [بن] الحنفية رسول الله .

والقراءة فى الصلاة : الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المنجد (٢) لأوليائه بأوليائه ، « قل إن الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلموا (٣) عدد السنين والحساب والشهور والأيام وباطنها لأوليائى الذين عرفوا عبادى وسيلتى » (٤) فاتقونى يا أولى الألباب وأنا الذى لا أسأل عمّا أفعل وأنا العليم الحكيم وأنا الذى أبلو عبادى وأمتحن خلقى فمن صبر على بلائى ومحنتى واختبارى أدخلته فى جنتى ، وأخلدته فى نعيمى ؛ ومن زال عن أمرى ، وكذّب رسلى أخلدته مهانا فى عذابى ، وأتممت أجلى ، وأظهرت أمرى على أَلْسِنَة (٤١ ب) رسلى ؛ وأنا الذى لم يَعْلُ [علىّ (٥)] جبارٌ إلا وضعته ، ولا عزيز

(١) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ج ٧ ، ص ١٧٨) .

(٢) فى ابن الأثير : « المتخذ » .

(٣) فى ابن الأثير : « ليعلم » .

(٤) فى ابن الأثير : « سبيلى » .

(٥) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٧ ، ص ١٧٩) .

إلا أذلته ، وليس الذى أصرَّ على أمره ، وداوم على جهالته ، وقال إن نبرح عليه عاكفين و به موقنين ، أولئك هم الكافرون . ثم يركع (١) .

ومن شرائعه : صيام يومين فى السنة هما : المهرجان (٢) ، والنوْروز (٣) . وأن [النبيذ حلال و (٤)] الخمر حلال . ولا غُسْل من جنابة ، ولكن الوضوء كوضوء الصلاة . وأن لا يؤكل ماله ناب ولا مخلب ، ولا يُشرب النبيذ . وأن القِبْلَة إلى بيت المقدس ، والحجَّ إليه . وأن الجمعة يوم الاثنين لا يُعمل فيه شغل .

ولما حضرته الوفاةُ جعل مقامَه حمدان بن الأشعث قرمط ، وأخذ على أكثر أهل السواد ، وكان ذكيا داهية (٥) .

---

(١) فى ابن الأثير بعد هذا اللفظ جملة تكميلية هذا نصها : « ويقول فى ركوعه : سبحان ربى رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون ، يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلى ، الله أعظم ، الله أعظم » .

(٢) كان المهرجان من أعياد الفرس القديمة ، وقد عرّفه الخفاجى (شفاء الغليل ، ص ٢٠٦) فقال : « هو أول نزول الشمس فى برج الميزان ، وقع فى شعر السرى والبحترى ، ولم يرد فى الكلام القديم » .

(٣) النوروز — ويقال النيروز — لفظ فارسى معرب ، ومعناه اليوم الجديد ، وكان الفرس يتخذونه عيدا أيضا ، وكان يوافق عندهم يوم الاعتدال الربيعى — ٢١ مارس — ، وذكر المقريزى فى (الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ — ٣٩١) أن القبط كانوا يحتفلون به ، وإنما كان يوافق عندهم أول توت ، أى أول السنة القبطية ، كما ذكر أن الفاطميين كانوا يحتفلون به عيداً من أعيادهم ، وأن أول من فعل ذلك المعز فى سنة ٣٦٣ ، أى بعد مجيئه إلى مصر بسنة واحدة ، ثم دأبوا على الاحتفال به إلى آخر الدولة ، وانظر مراسم الاحتفال به فى نفس المرجع ، ولتفسير اللفظ انظر أيضا (المعرب للجواليقى) .

(٤) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير .

(٥) فى الأصل : « داهيا » .

وكان ممن أجابه : مِهْرَوَيْه بن زكرَوَيه السلمانى ، وجلندى الرازى ، وعكرمة البابلى ، وإسحاق السودانى ، وعطيف النيلى ، وغيرهم . وبثَّ دعاته فى السواد يأخذون على الناس .

وكان أكبر دعاته عبدان ، وكان فطناً خبيثاً ، خارجا عن طبقة نظر (كذا) أنه من أهل السواد ، ذا فهمٍ وحذق ، وكان يعمل عند نفسه على نصب له من غير أن يتجاوز به إلى غيره ، ولا يظهر غير التشيع والعلم ، ويدعو (٤٢ ب) إلى الإمام من آل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — [وهو] محمد بن إسماعيل بن جعفر . فكان أحد من تبع عبدان زكرَوَيه ابن مهرويه ، وكان شابا ذكيا فطناً من قرية بسواد الكوفة على نهر هد ، فنصبه عبدان على إقليم نهر هد وماوالاه ومِنْ قِبَله جماعة دعاة متفرقون (١) فى عمله .

وكان داعيةُ عبدان على فرات بادفلى الحسن بن أيمن ؛ وداعيته على طسوج تُستر المعروف بالبورانى — وإليه نُسب البورانية — ؛ وداعيته على جهة أخرى المعروف بوليد ؛ وفى أخرى أبو الفوارس . وهؤلاء رؤساء دعاة عبدان ، ولهم دعاة تحت أيديهم ؛ فكان كل داع يدور فى عمله ، ويتعاهده فى كل شهر مرة ، وكل ذلك بسواد الكوفة .

ودخل فى دعوته من العرب طائفةٌ ، فنصب فيهم دعاةً ، فلم يتخلف عنه رفاعى ولا ضبعى ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن إلادخل فى الدعوة منه ناس كثير أو قليل : من بنى عابس ، وذهل ، وعنزة

(١) فى الأصل « متفرقين » .

وتيم الله ، و بنى ثعل ، وغيرهم من بنى شيبان ؛ فقوى قرمط ، وزاد طمعه ، فأخذ فى جمع الأموال من قومه :

فابتدأ يفرض عليهم أن يؤدوا درهما عن كل واحد ، وسمى ذلك « الفطرة » على كل أحد من الرجال والنساء ، فسارعوا إلى ذلك . فتركهم مديدة ، ثم فرض « الهجرة » وهو دينار على كل رأس أدرك ، وتلا قوله تعالى : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [١] » ، وقال « هذا تأويل هذا» ، فدفعوا ذلك إليه ، وتعاونوا عليه ، فمن كان فقيرا أسعفوه . فتركهم مديدة ، ثم فرض عليهم « البُلْغة » وهى سبعة دنانير ، وزعم أن ذلك هو البرهان الذى أراد الله بقوله : « قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [٢] » ، وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الإيمان ، والدخول فى السابقين المذكورين [٣] فى قوله تعالى : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ [٤] » ؛ وصنع طعاما طيبا حلوا لذيذا ، وجعله على قدر البنادق ، يطعم كل من أدى إليه سبعة دنانير منها واحدة ، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل إلى الإمام ، فكان ينفذ إلى كل داعٍ منها مائة بلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، لكل واحدة منها سبعة دنانير .

فلما توطأ له الأمر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون ،

---

(١) الآية ١٠٢ ، السورة ٩ (التوبة) .
(٢) الآية ١١١ ، السورة ٢ (البقرة) .
(٣) فى الأصل « المذكورون » .
(٤) الآيتان ١٠ و ١١ ؛ السورة ٥٦ (الواقعة) .

وتلا عليهم : « واعْلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ[١] » — الآية — ، فقوّموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره (١٤٣ ا) وأدوا ذلك إليه فكانت المرأة تُخرج خُمْسَ ما تغزل ، والرجل يخرج خُمْس ما يكسبه .

فلما تم ذلك فرض عليهم الأُلفة ، وهو أن يجمعوا أموالهم فى موضع واحد ، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لا يفضل أحدٌ منهم صاحبه وأخاه فى ملك يملكه ، وتلا عليهم : « واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا[٢] » — الآية — ، وقوله تعالى : « لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[٣] » ؛ وعرّفهم أنه لا حاجة بهم إلى أموال تكون معهم لأن الأرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال : « هذه محنتكم التى امتحنتم بها ليُعلم كيف تعملون » ، وطالبهم بشراء السلاح وإعداده ، وذلك كله فى سنة ست وسبعين ومائتين .

وأقام الدعاةُ فى كل قرية رجلا مختارا من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم وحلى ومتاع وغيره ، وكان يكسو عاريهم ، وينفق على سائرهم ما يكفيهم ، ولا يدع فقيرا بينهم ولا محتاجا ولا ضعيفا ؛ وأخذ كل رجل منهم بالانكماش فى صناعته والمكسب جهده ، ليكون له الفضل فى رتبته ؛ وجمعت المرأة كسبها من مغزلها ، والصبى أجرة نظارته للطير ؛ وأتوه

(١) الآية ٤١ ، السورة ٨ (الأنفال) .
(٢) الآية ١٠٣ ، السورة ٣ (آل عمران) .
(٣) الآية ٦٣ ، السورة ٨ (الأنفال) .

به ، فلم يتملك أحد منهم إلا سيفه وسلاحه . فلما استقام له ذلك أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ، و يختلطن بالرجال ، و يتراكبن ولا يتنافرن ، فإن ذلك من صحة الود والألفة بينهم .

فلما تمكن من أمورهم ، ووثق بطاعتهم ، وتبيّن مقدار عقولهم ، أخذ فى تدريجهم ، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية ، فسلكوا معه فى ذلك حتى يقضى ما كان يأمرهم به فى مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقى ، وظهر [١] منهم بعد تدين كثير إباحة الأموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأخبرهم أن ذلك كله موضوع عنهم ، وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق تغنى [عن] كل شىء ، ولا يُخاف معه إثم ولا عذاب — يعنى إمامه الذى يدعو إليه ، وهو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق — وأنه الإمام المهدى الذى يظهر فى آخر الزمان ويقيم الحق ، وأن البيعة له ، وأن الداعى إنما يأخذها على الناس له ، وأن ما يجمع من الأموال مخزون له إلى أن يظهر ، وأنه حىّ لم يمت ، وأنه يظهر فى آخر الزمان ، وأنه مهدىّ الأمة .

فلما أظهر (٣٤ ب) هذه الأمور كلها بعد تعلقه بذكر الأئمة والرسل والحجة والإمام ، وأنه المعول والمقصد والمراد و به اتسقت هذه الأمور ، ولولا هذه لهلك الخلق وعدم الهدى والعلم ، ظهر فى كثيرمنهم الفجور ، و بسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء ، وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم — جزعاً منهم — .

---

(١) فى الأصل : « طهر » .

ثم إن الدعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعا يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون إليها ، ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة — فى طسوج الفرات من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات — قريةً تُعرف « بمهتاباذ » ، فحاذوا إليها صخرا عظيما ، و بنوا حولها سورا منيعا عرضه ثمانى أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك فى أسرع وقت ، و بنوا فيها البناء العظيم ، وانتقل إليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسميت دار الهجرة ، وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين ؛ فلم يبق حينئذ أحدٌ إلا خافهم ، ولا بقى أحد يخافونه لقوتهم وتمكنهم فى البلاد .

وكان الذى أعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج ، وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان ، وخراب العراق ، وتركه لتدبيره ، وركوب الأعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفر ، وتلاف الرجال ، وفساد البلدان ، فتمكن هؤلاء ، و بسطوا أيديهم فى البلاد ، وعلت كلمتهم .

وكان منهم مهرويه أحد الدعاة فى مبدأ أمره ينطر (١) النخل و يأخذ أجرته تمراً فيفرغ منه النوا و يتصدق به ، و يبيع النوا و يتقوّت به ، فعظم فى أعين الناس قدره ، وصارت له مرتبة فى الثقة والدين ، فصار إلى صاحب الزنج لما ظهر على السلطان وقال له : « ورائى مائة ألف ضارب سيف أعينك بهم » ، فلم يلتفت إلى قوله ، ولم يجد له فيه مطمعا فرجع ، وعظم بعد ذلك فى السواد ، وانقاد إليه خلق كثير ، فادعى أنه من ولد

(١) ينطر بمعنى ينظر أو يحرس ، ومنها الناطور — أو الناظور — وهو ما يقام من أشباه الناس وسط الزرع لحراسته من الطير . انظر : المعرب للجواليقى ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥) .

عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ، فقيل له : « لم يكن لمحمد بن إسماعيل ابن يقال له عبد الله » ، فكفَّ عن هذه الدعوى ، وصار بعد ذلك فى قبة على جمل ، ودُعى بالسيد ، وظهر بسواد الكوفة ؛ وسيأتى ذكر ابنه زكرَويه ، وابن ابنه الحسين بن زكرويه إن شاء الله .

وكان رجل من أهل قرية جَنَّابة [١] يعمل الفراء ، يقال له أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى [٢] ، أصله من الفرس ، سافر إلى (١٤٤) سواد الكوفة ، وتزوج من قوم يقال لهم « بنو القصار » كانوا من أصول هذه الدعوة ، فأخذ عن عبدان ، وقيل بل أخذ عن حمدان قرمط ، وسار داعيةً فنزل القطيف — وهى حينئذ مدينة عظيمة — فجلس بها يبيع الرقيق ، فلزم الوفاء والصدق ، وكان أول من أجابه الحسينَ بن سنبر ، وعلى بن سنبر

---

(١) فى الأصل : « جنابا » دون ضبط ، وما هنا عن ياقوت حيث عرفها بقوله إنها بلدة صغيرة من سواحل فارس ؛ ثم ذكر أنه رآها غير مرة وأنها : « ليست على ساحل البحر الأعظم ، إنما يدخل عليها فى المراكب فى خليج من البحر الملح يكون بين المدينة والبحر نحو ثلاثة أميال أو أقل ، وقبالتها فى وسط البحر جزيرة خارك وفى شمالها من جهة البصرة مهروبان . . الخ » .

(٢) جاء فى الهامش — بالأصل — تعريف بأبى سعيد هذا نصه : « اختلف فى أبى سعيد الجنابى ، فقال قوم : اسمه الحسن بن على بن محمد بن عيسى بن زيد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب ، وأنه صاحب الزنج القائم بالبصرة منذ سنة خمسين ومائتين ، وأن علي بن محمد كان مقيما بهجر ، ويعرف أنه شريف ، ويكرم ويعطى ، ثم إنه خرج وجمع ، فقاتله العريان بن إبراهيم بأرض البحرين ، فانصرف إلى القطيف وبنى بأم أبى سعيد على سبيل الاستحلال ، وخرج من القطيف إلى الأحساء ، وظهر الحمل بأم أبى سعيد ، فلما ولدته سمته الحسن ، وكنته بأبى سعيد ، وكتمته سنة خوفاً عليه ، وتزوجت برجل من أهل جنابة ، فنسب أبو سعيد إليه ، ونشأ على أنه رجل من أهل جنابة ، ينتسب إلى من هو ربيه ؛ وقيل ما ذكر فى الأصل » .

وحمدان بن سنبر فى قوم ضعفاء ، ما بين قصّاب وحمّال وأمثال ذلك ، فبلغه أن بناحيته داعياً يقال له أبو زكريا ، أنفذه عبدان قبل أبى سعيد ، وكان قد أخذ على بنى سنبر من قبل ، فعظم أمره على أبى سعيد وقتله ، فحقد عليه بنو سنبر قَتْلَه .

واتفق أن البلد كان واسعاً ، ولأهله عادة بالحروب ، وهم رجال شداد جُهّال ، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته فى تلك الديار ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، حتى اشتدت شوكته ، وكان لا يظفر بقرية إلا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس ، وأجابه كثير منهم ، وفرَّ منه خلق كثير إلى بلدان شتى خوفاً من شره ، ولم يمتنع عليه إلا هَجَر [1] — وهى مدينة البَحْرَيْن [2] ومنزل سلطانها وبها التجار والوجوه — فنازلها شهوراً يقاتل أهلها ، ثم وكل بها رجلا ؛ وارتفع فنزل الأحساء [3] — وبينها وبين هَجَر ميلان — فابتنى بها داراً ، وجعلها منزلا ، وتقدم فى زراعة الأرض وعمارتها ، وكان يركب إلى هَجَر ، ويحارب أهلها ، ويعقب قومه على حصارها ، ودعا العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب ، وساروا إليه بحرمهم وأموالهم ، فأنزلهم الأحساء ، وأطمعوه فى بنى كلاب ، وسائر من يقرب منه من العرب فضم إليهم رجالا ، وساروا فأكثروا من القتل ، وأقبلوا بالحريم والأموال

---

(١) لم يزد ياقوت فى تعريفه هجر عما جاء فى المتن هنا ، فقد قال : « وهى قاعدة البحرين » وإنما ذكر أن هناك عدة مدن — غير هجر البحرين — تحمل نفس الاسم

(٢) قال ياقوت : « البحرين اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان » .

(٣) ذكر فى الهامش أمام هذا اللفظ : « الأحسا مدينة على البحر الفارسى تقابل جزيرة أوال ، والأحسا مدينة صغيرة بها أسواق » .

والأمتعة إلى الأحساء ، فدخل الناس فى طاعته ، فوجّه جيشاً إلى بنى عقيل فظفر بهم ، ودخلوا فى طاعته .

فلما اجتمع إليه العرب مَنَّاهم مُلْكَ الأرض كلها ، وردَّ إلى من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم مِن أهل وولد ، ولم يرد عبداً ولا أمة ولا إبلا ولا صبيا إلا أن يكون دون الأربع سنين ، وجمع الصبيان فى دور وأقام عليهم قوماً ، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه ، ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم ونصب لهم عرفاء ، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان ، فنشأوا لا يعرفون غير الحرب[1] ، وقد صارت دعوته طبعاً لهم ، وقبض كل مالٍ فى البلد ، والثمارَ ، والحنطةَ ، والشعيرَ ؛ وأقام رعاةً (٤٤ ب) للإبل والغنم ، ومعهم قوم لحفظها ، والتنقل معها على نوب معروفة ؛ وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل لأحد غير مايطعمه[2] .

هذا وهو لا يغفل عن هَجَر ، وطال حصاره لهم على نيف وعشرين شهرا حتى أكلوا الكلاب ، فجمع أصحابه ، وعمل دبابات ، ومشى بها الرجال إلى السور ، فاقتتلوا يومهم ، وكثر بينهم القتلى ، ثم انصرف عنهم إلى الأحساء ، وباكرهم فناوشوه فانصرف إلى قرب الأحساء ، ثم عاد فى خيل فدار حول هَجَر يفكر فيما يكيدهم به ، فإذا لهجَر عين عظيمة كثيرة الماء ، تخرج من نشز من الأرض غير بعيد منها ، فيجتمع ماؤها فى نهر يستقيم حتى يمر بجانب هَجَر ، ثم ينزل إلى النخل فيسقيه ، فكانوا

(١) لاحظ الشبه الشديد بين هذا النظام ونظام تدريب الجند المماليك فى دولة المماليك فى مصر فيما بعد فكأن القرامطة كانو أول من أوجد هذا النظام .

(٢) فى الأصل : « يطمعه » .

لا يفقدون الماء فى حصارهم ؛ فلما تبيَّن له أمر العين انصرف إلى الأحساء ثم غدَا فأوقف على باب المدينة رجالا كثيراً ، ورجع إلى الأحساء ، وجمع الناس كلهم ، وسار فى آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان وَوَبَر وصوف ، وأمر بجمع الحجارة و نقلها إلى العين ، وأعدَّ الرمل والحصى والتراب ، ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب فى العين ، وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة فقذفته[١] العين ، ولم يغير مافعله شيئاً ، فانصرف إلى الأحساء بمن معه .

وغدا فى خيل فضرب البر حتى عرف أن منتهى العين بساحل البحر وأنها تنخفض كلما نزلت ، فرد جميع من كان معه ، وانحدر على النهر نحواً من ميلين ، ثم أمر بحفر نهر هناك ، وأقبل يركب هو وجمعه فى كل يوم والعمال يعملون فى حفره إلى السباخ ، ومضى الماء كله فصب فى البحر ، ثم سار فنزل على هَجَر — وقد انقطع الماء عنهم — ففر بعضهم فركب البحر ، ودخل بعضهم فى دعوته ، وخرجوا إليه فنقلهم إلى الأحساء ، و بقيت طائفة لم يفروا لعجزهم ولم يدخلوا فى دعوته فقتلهم ، وأخذ ما فى المدينة ، وأخربها فبقيت خرابا ، وصارت مدينة البحرين هى الأحساء .

ثم أنفذ سرية إلى عمان فى ستمائة ، وأردفهم ستمائة أخرى ، فقاتلهم أهل عمان حتى تفانوا ، و بقى من أهل عمان خمسة نفر ومن القرامطة ستة نفر فلحقوا بأبى سعيد ، فأمر بهم فقُتلوا ، وقال : « هؤلاء خاسوا بعهدى

---

(١) فى الأصل : « فقد فيه » وما هنا قراءة ترجيحية .

ولم يواسوا أصحابهم الذين قُتلوا » ، وتطير بهلاك السرية ، وكفَّ عن أهل عمان .

واتصل بالمعتضد بالله خبره فخاف منه على البصرة ، فأنفذ العباس ابن عمرو الغنوى فى ألفى رجل ، وولاه البحرين فخرج فى سنة تسع وثمانين ومائتين ، والتقى مع أبى سعيد ، فانهزم أصحابه ، وأسر (١٤٥) العباس فى نحو من سبعمائة رجل من أصحابه ، واحتووا على عسكره ، وقتل من غد يومه جميع الأسرى ، ثم أحرقهم وترك العباس ؛ ومضى المنهزمون فتاه أكثرهم فى البر ، وتلف كثير منهم عطشا ، وورد بعضهم إلى البصرة ، فارتاع الناس وأخذوا فى الرحيل عن البصرة .

ثم لما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد العباس بن عمرو وقال له : « أتحب أن أطلقك ؟ » قال . « نعم » ، قال : « على [أن] تبلغ عنى ما أقولُ صاحبَك » قال : « أفعل » ، قال : « تقول له : الذى أنزل بجيشك ما أنزل بَغْيُك . هذا بلدٌ خارجٌ عن يدك ، غلبتُ عليه ، وقمتُ به وكان فىّ مِنَ الفضل ما آخذُ به غيرَه فما عرضتُ لما كان فى يدك ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلا ، ولا نلتُ أحداً من رعيتك بسوء ؛ فتوجيهك إلىّ الجيوش لأى سبب ؟ اعلم أنى لا أخرج عن هذا البلد ، ولا توصل إليه وفى هذه العصابة التى معى روح ، فا كفنى نفسَك ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة ، ولا تصل إلى مرادك منه إلا ببلوغ القلوب الحناجر » . وأطلقه ، و بعث معه من يرده إلى مأمنه ، فوصل إلى بغداد فى شهر رمضان ، وقد كان الناس يعظمون أمره [و] يكثرون ذكره ،

ويسمونه « قائد الشهداء » فلما وصل إلى المعتضد عاتبه على تركه التحرز فاعتذر ، ولم يبرح حتى رضى عنه .

وسأله [المعتضدُ] عن خبره ، فعرّفه جميعَه وبلّغه ما قال القرمطى ، فقال : « صدق . ما أخذ شيئا كان فى أيدينا » ، وأطرق مفكرا ثم رفع رأسه وقال : « كذب عدوُ الله الكافرُ . المسلمون رعيتى حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بى [ال] عمر لأشخصن بنفسى إلى البصرة وجميع غلمانى ، ولأوجهنّ إليه جيشا كثيفا ، فإن هزمه وجهتُ جيشا ، فإن هزمه خرجت فى جميع قوادى وجيشى إليه حتى يحكم الله بينى وبينه » ؛ فشُغل المعتضد عن القرمطى بأمر وصيف — غلام أبى الساج — ثم ، توفى فى ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، ومازال يذكر أبا[1] سعيد الجنابى فى مرضه ، ويتلهف ويقول : « حسرة فى نفسى كنتُ أحب أن أبلغها قبل موتى ، والله لقد كنتُ وضعتُ عند نفسى أن أركب ثم أخرج نحو البحريْن ، ثم لا ألقى أحداً أطول من سيفى إلا ضربت عنقه ، وإنى أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة » .

وأقبل أبو سعيد — بعد إطلاق العباس — على جمع الخيل ، وإعداد السلاح ، ونسج الدروع والمغافر ، واتخاذ الإبل ، وإصلاح الرجال ، وضرب السيوف والأسنة ، واتخاذ (٤٥ ب) الروايا والمزاد والقوت ، وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الأعراب عن قريته ، وسد الوجوه التى يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال ، وإصلاح أراضى المزارع وأصول النخل ، وإصلاح

---

(١) فى الأصل « أبى » .

مثل هذه الأمور وتفقدها ، ونَصَبَ الأمناء على ذلك ، وأقام العرفاء على الرجال ، واحتاط على ذلك كله ، حتى بلغ مِنْ تَفَقّدِهِ أن الشاةَ إذا ذُبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من ترسم لهم ، ويدفع الرأس والأكارع والبطن إلى العبيد والإماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله ، ثم يدفعه إلى من ينسجه عُبيا وأكسية وغرائر وجوالقات ، ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد إلى الدباغ ، ثم إلى خرّازى القرب والروايا ، والمزاد ؛ وما كان من الجلود يصلح نعالا وخِفافا عُمل منه ، ثم يجمع ذلك كله إلى خزائن .

فكان ذلك دأبه لا يغفله ، ويوجه كل قليل خيلاً إلى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت ، وتصير بهم إليه ويستعبدهم ، فزادت بلاده ، وعظمت هيبته فى صدور الناس .

وواقع بنى ضبة وقائع مشهورة فظفر بهم ، وأخذ منهم خلقاً ، وبنى لهم حبساً عظيما جمعهم فيه ، وسدّه عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فصاحوا فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهراً ، ثم فتح عليهم فوجد أكثرهم موتى ، و[وجد] يسيراً بحال الموتى وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فخصاهم وخلاهم فمات أكثرهم

وكان [أبو سعيد] قد أخذ من عسكر العباس خادماً له جعله على طعامه وشرابه ، فمكث مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا صلاةً واحدة ، ولا يصوم فى شهر رمضان ، ولا فى غيره ، فأضمر الخادم قتله ، حتى إذا دخل الحمّام معه — وكانت الحمّام فى داره — فأعدّ الخادم خنجرا

ماضيا — والحمام خالٍ — فلما تمكّن منه ذبحه ، ثم خرج فقال : «يُدعى فلان» لبعض بنى سنبر ، فأُحضر ، فلما دخل قبضه وذبحه ، فلم يزل ذلك دأبه حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه ، فدخل آخرهم فإذا فى البيت الأول دم جارى ، فارتاب وخرج مبادراً ، وأعلم الناس ، فحضروا الخادم حتى دخلوه ، فوجدوا الجماعة صرعى ، وذلك فى سنة إحدى وثلاثمائة ، وقيل اثنتين وثلاثمائة ، وكان قتله بأحساء من البحرين ، وكانت سنة يوم قتله [الخادم] نيفا وستين سنة .

وترك أبو سعيد من الأولاد : أبا القاسم سعيدا ، وأبا طاهر سليمان ، وأبا منصور أحمد ، وأبا إسحاق إبراهيم ، وأبا العباس محمداً ، وأبا يعقوب يوسف . وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته ، وأوصى إن حدث به موت [أن] يكون القيّم بأمرهم سعيدٌ ابنه إلى أن يكبر أبو طاهر ، وكان أبو طاهر أصغر سناً من سعيد ، فإذا كبر أبو طاهر كان (١٤٦) المدبر ؛ فلما قُتل [أبو سعيد] جرى الأمر على ذلك . وكان قد قال لهم سيكون الفتوح له . فجلس سعيد يدبّر الأمر بعد قتل [أبيه] ، وأمر فشُدَّ الخادم بالحبال ، وقُرض لحمه بالمقاريض حتى مات ؛ فلما كان فى سنة خمس وثلاثمائة سلم سعيد إلى أخيه أبى طاهر سليمان الأمر ، فعظموا أمره .

وكان ابتداء أمر أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى بالقطيف وما والاها فى سنة ست وثمانين ومائتين ؛ وكانت مدته نحو خمس عشرة سنة .

الصناديقى

وفيها استولى النجار أبو القاسم الحسن بن فرج الصناديقى على اليمن ، وكانت جيوشه بالمُذَيْخِرَة(١) وسَهْغنة(٢) ، وكان ابن أبى الفوارس — أحد دعاة عبدان — أنفذه داعياً إلى اليمن ، وكان من أهل النَرْس(٣) — موضع يُعمل فيه الثياب النرسى ، وكان يُعمل من الكتان — فصار [الصناديقى] إلى اليمن ، ودخل فى دعوته خلق كثير ، فأظهر العظائم ، وقتل الأطفال ، وسبى النساء ، وتسمى برب العزة ، وكان يُكاتَبُ بذلك ، وأعلن سبَّ النبى — صلى الله عليه وسلم — وسائرَ الأنبياء ؛ واتخذ دار إفاضة(٤) سمّاها « دار الصفوة » يجتمع فيها النساء ، ويأمر الرجال بمخالطتهن ووطئهن ، ويحفظ من يحبل منهن فى تلك الليلة ومن تلد من ذلك ، ويتخذ تلك الأولاد لنفسه خَوَلاً ، ويسميهم «أولاد الصفوة» . قال بعضهم : «دخلتُ إليها لأنظر فسمعتُ امرأة تقول « يا بنى » ، فقال : « يا أمه نريد أن نُمضى أمرَ ولى الله فينا » . وكان [الصناديقى] يقول : « إذا فعلتم هذا لم يتميز مالٌ من مال ولا ولدٌ من ولد ، فيكونوا كنفس واحدة » .

---

(١) المذيخرة كما عرفها ياقوت قلعة حصينة فى رأس جبل صَبِر من أعمال صنعاء باليمن .

(٢) لم أجد فى معجم ياقوت ذكراً لهذه المدينة .

(٣) ذكر ياقوت أن نرْس نهر يأخذ من الفرات ، عليه عدة قرى وإليه تنسب الثياب النرسية .

(٤) كذا فى الأصل ولعلها « دار إضافة » .

فعظمت فتنته باليمن ، وأجلا أكثر أهله عنه ، وأجلا السلطان ، وقاتل القاسم بن أحمد بن يحيي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسنى الهادى ، وأزاله عن عمله من صَعْدَة ، ففرّ منه بعياله إلى الرسّ ، ثم أظفره الله به فهزمه بأمر إلهى ، وهو أن الله جلَّت قدرته ألقى على عسكره وقد بايته برداً وثلجاً قُتل به أكثر أصحابه فى ليلة واحدة ، وقلما عُرف مثل ذلك فى تلك الناحية ، وسلَّط الله عليه الأَكَلَة ، وذلك أن القاسم أنفذ إليه طبيباً بِمبْضَع فَصَدَهُ به فقتله ؛ وأنزل الله بالبلدان التى غلب عليها بَثْراً يخرج فى كتف الرجل منهم بثرة فيموت سريعاً ، فسُمى ذلك البثر — بتلك البلاد — « حَبَّةُ القرمطى » مدةً من الزمان ، وأخرب الله أكثر تلك البلاد التى ملكها ، وأفنى أهلها بموت ذريع ، فاعتصم ابنه بجبال وأقام بها ، وكاتب أهل دعوتهم ، وعَنْوَنَ كتبه : « من ابن رب العزة » فأهلكه الله ، و بقى منهم بقية فاستأمنوا إلى القاسم بن أحمد الهادى ، ولم يبق للنجار — لعنه الله — ولا لمن كان على دعوته بقية .

وكان قرمط يكاتب من بسلمية ، فلما مات من كان فى وقته وخلفه ابنه من بعده كتب إلى قرمط فأنكر منه أشياء ، فاستراب [قرمط] و بعث ابن مليح — أحدَ دعاته — ليعرف الخبرَ فامتنع ، فأنفذ عبدان وعرف موت الذى كانوا يكاتبونه ، فسأل ابنه عن الحجة ، ومَنْ الإمام الذى يدعو إليه ، فقال الابن : « ومن الإمام ؟ » (٤٦ب) فقال عبدان : « محمد بن إسماعيل بن جعفر صاحب الزمان » ، فأنكر [الابن] ذلك وقال : « لم يكن إمام غير أبى ، وأنا أقوم مقامه » ، فرجع عبدان إلى قرمط ، وعرّفه

الخبرَ ، فجمع الدعاةَ وأمرهم بقطع الدعوة حنقاً من قول صاحب سلمية : « لا حق لمحمد بن إسماعيل فى هذا الأمر ولا إمامة » وكان قرمط إنما يدعو إلى إمامة محمد بن إسماعيل . فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم لأنها امتدت فى سائر الأقطار ، ومن حينئذ قطع الدعاةُ مكاتبةَ الذين بسلمية[١] .

وكان رجل منهم قد نفذ إلى الطالقان يبث الدعوة ، فلما انقطعت المكاتبة طال انتظاره ، فَشَخَصَ يسأل عن قرمط ، فنزل على عبدان بسواد الكوفة ، فعتبه وعتب الدعاة فى انقطاع كتبهم ، فعرّفه عبدان قَطْعَهم الدعوةَ ، وأنهم لا يعودون فيها ، وأنه تاب من هذه الدعوة حقيقةً ، فانصرف [الرجل] عنه إلى زكرويه بن مهرويه ليدعو كما كان أبوه ويجمع الرجال ، فقال زكرويه : « إن هذا لا يتم مع عبدان لأنه داعى البلد كله والدعاةُ مِنْ قِبَله ، والوجه أن نحتال على عبدان حتى نقتله » وما ظن (؟) على ذلك جماعةً من قرابته وثقاته وقال لهم : « إن عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة » فبيتوه ليلاً وقتلوه ، فشاع ذلك ، وطلب الدعاةُ وأصحابُ قرمط زكرويه بن مهرويه ليقتلوه فاستتر ، وخالفه القوم كلهم إلا أهل دعوته وتنقل فى القرى — وذلك فى سنة ست وثمانين والقرامطة تطلبه إلى سنة ثمان وثمانين — فأنفذ ابنه الحسن إلى الشام ، ومعه من القرامطة رجل يُقال

---

(١) المقصود بالذين بسلمية دعاة الفاطميين قبل انتقالهم إلى المغرب وظهورهم ، وهذه إشارة هامة إلى بدء قطع العلاقات بين دعاة الفاطميين فى الشام والقرامطة بعد أن كانت الدعوتان متفقتين .

له أبو الحسين القاسم بن أحمد ، وأمره أن يقصد بنى كلاب ، وينتسب إلى محمد بن إسماعيل ، ويدعوهم إلى الإمام من ولده ، فاستجاب له فَخْذٌ من بنى العليص ومواليهم وبايعوه ، فبعث إلى زكرويه يخبر[ه] من استجاب له بالشام ، فضمّ إليه ابن أخيه — فتسمى بالمدثر لقبا ، وبعبد الله اسما ، وتأوّل أنه المذكور فى القرآن بالمدثر (١) — ، وغلاما من بنى مهرويه يتلقب بالمطوّف — وكان شيّافاً (٢) — ، وكتب إلى ابنه الحسن يعرّفه أنه ابن الحجة (٣) ، ويأمره بالسمع والطاعة له ، فسار حتى نزل فى بنى كلب ، فلقيه الحسن بن زكرويه ، وسُرَّ به ، وجمع له الجمع ، وقال : « هذا صاحب الإمام » ، فامتثلوا أمره ، وسُروا به ، فأمرهم بالاستعداد للحرب ، وقال : « قد أظلكم النصر » ، ففعلوا ذلك .

واتصلت أخبارهم بشبل الديلمى مولى (٤) المعتضد فى سنة تسع وثمانين ، فقصدهم فحاربوه وقتلوه فى عدة من أصحابه بالرصافة من غربى الفرات ، ودخلوها فأحرقوا مسجدها ونهبوا ، وساروا نحو الشام يقتلون ويحرقون

---

(١) جاء فى الهامش — بالأصل — : « ويقال إن المدثر هذا اسمه عيسى بن مهدى ، وأنه تسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وعهد إليه صاحب الخال من بعده » .

(٢) كذا بالأصل ولعلها « سيافاً » .

(٣) جاء فى الهامش — بالأصل — : « ابن الحجة هذا ادعى أنه محمد بن عبد الله وقيل على بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأنكر قوم هذا النسب ، وقالوا إنما اسمه يحيى بن زكرويه بن مهرويه ، وكنيته أبو القاسم ، ويلقب بالشيخ ، ويعرف بصاحب الناقة وبصاحب الجمل ، وهو أخو صاحب الخال القائم من بعده » .

(٤) فى الأصل : « مولد » .

القرى و ينتهبونها إلى أن وردوا أطراف دمشق ، (١٤٧) وكان عليها طغج ابن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون — فبرز إليهم فهزموه وقُتل كثير من أصحابه ، والتجأ إلى دمشق فحصروه وقاتلوه — وكان القرمطى يحضر الحرب على ناقة ، ويقول لأصحابه : « لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فإذا سارت فاحملوا فإنه لا تُرد لكم راية ، إذ كانت مأمورة » ، فسُمى بذلك : « صاحب الناقة » ، فأقام طُغْج سبعة أشهر محصوراً بدمشق ، فكتب إلى مصر بأنه محصور وقد قُتل أكثر أصحابه وخرب البلد ، فأُنفذ إليه بدر الكبير — غلام ابن طولون المعروف بالحمامى — فسار حتى قرب من دمشق فاجتمع هو وطُغْج على محاربة القرمطى بقرب دمشق فقُتل القرمطى واحتمى أصحابه وانحازوا فمضوا . وكان [القرمطى] قد ضرب دراهم ودنانير وكتب عليها : « قل جاء الحق وزهق الباطل » ، وفى الوجه الآخر : « قل لا أسألكم[1] عليه إلا المودة فى القربى[1] » .

فلما انصرف القرامطة عن دمشق وقد قُتل محمد بن عبد الله « صاحب الناقة » بايعوا الحسن بن زكرويه — وهو الذى يُقال له أحمد بن عبد الله ، ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويعرف « بصاحب الخال » — ، فسار بهم ، وافتتح عدةَ مدن من الشام ، وظهر على حمص ، وقتل خلقاً وتسمى بأمير المؤمنين المهدى على المنابر وفى كتبه ، وذلك فى سنة تسع وثمانين وبعض سنة تسعين .

ثم صاروا إلى الرقة فخرج إليهم مولى المكتفى وواقعهم فهزموه وقتلوه ،

---

(١) فى الأصل : « اسلكم » و « القرى » .

واستباحوا عسكره ، ورجعوا إلى دمشق وهم ينهبون جميع ما يمرون به من القرى ، و يقتلون و يسبون ؛ فخرج إليهم جيش كثيف عليه بشير — غلام طُغْج — فقاتلهم حتى قُتل فى خلق من أصحابه ، واتصل ذلك بالمكتفى بالله فندب أبا الأغرّ السلمى — فى عشرة آلاف — وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة تسعين ، فسار حتى نزل حلب ، ثم خرج فوافاه جيش القرامطة غفلة يقدمهم المطوّق ، فانهزم أبو الأغرّ ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون و يأسرون حتى حجز بينهم الليل وقد أتوا على عامة العسكر ، ولحق أبو الأغر بطائفة من أصحابه ، فالتجأوا بحلب ، وصار فى نحو الألف ، فنازله القرامطة ، فلم يقدروا منه على شىء فانصرفوا .

وجمع الحسن بن زكرويه بن مهرويه أصحابَه وسار بهم إلى حمص ، فخُطب له على منابرها ، ثم سار إلى حماة والمعرّة ، فقتل الرجال والنساء والأطفال ، ورجع إلى بعلبك فقتل عامة أهلها ، ثم صار إلى سلمية فحارب أهلها وامتنعوا منه فأمنهم ، ودخلها فبدأ بمن فيها من بنى هاشم — وكانوا جماعة فقتلهم — ثم كرّ على أهلها فقتلهم أجمعين (٤٧ ب) وخرّبها ، وخرج عنها وما بها عينٌ تطرف ، فلم يمر بقرية إلا أخربها ولم يدع فيها أحداً ، فخرّب البلاد وقتل الناس ، ولم يقاومه أحد ، وفنيت رجال ... وبقى فى عدة يسيرة فكانت القرامطة بقصر دمشق فلا يقاتلهم إلا العامة وقد أشرفوا على الهلكة ، فكثر الضجيج ببغداد ، واجتمعت العامة إلى يوسف بن يعقوب القاضى ، وسألوه إنهاء الخبر إلى السلطان ، ووردت الكتب من مصر إلى المكتفى بخبر قتل عسكرهم الذى خرج إلى الشام بيد القرامطة وخراب الشام ،

فأمر المكتفى الجيش بالاستعداد ، وخرج إلى مضربه فى القواد والجند لاثنتى عشرة خلت من رمضان ، ومضى نحو الرقة بالجيوش حتى نزلها ، وانبثت الجيوش بين حلب وحمص ، وقلّد محمد بن سليمان حربَ الحسن بن زكرويه ، واختار له جيشاً كثيفاً — وكان صاحب ديوان العطاء — .

وعارض الجيش فسار إليهم ، والتقاهم لست خلون من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، فاقتتلوا قتالا شديداً حتى حجز الظلام بينهم ، وقُتل عامة رجال القرامطة فولوا مدبرين .

وكان الحسن بن زكرويه . . . . اصطفى مقاتلة ممن معه ورتّب أحوالهم ، فلما . . . . رحل من وقته ، وتلاحق به مَنْ أفلت ، فقال لهم : « أبيتم من قتل أنفسكم . . . . كم لم تصدقوا الله » ؛ وحرّضهم على المعاودة إلى الحرب ، فاعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فقال لهم : « قد كاتبنى خلق من أهل بغداد بالبيعة لى ، ودعاتى بها ينتظرون أمرى ، وقد خَلَت من السلطان الآن ، وأنا شاخص نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم بن أحمد — صاحبى — ، وكتبى ترد عليه بما يعمل فاسمعوا له وأطيعوا » ، فضمنوا ذلك له ، وشَخَصَ معه قريبه عيسى بن أخت مهرويه المسمى بالمدثِّر (١) ، وصاحبه المعروف بالمطوّق ، وغلام له رومى ، وأخذ دليلا يرشدهم إلى الطريق ، فساروا يريدون سواد الكوفة ، وسلك البر ، وتجنّب القرى والمدن حتى صار قريباً من الرحبة بموضع يقال له الدالية

(١) فى (ابن الأثير ، ج ٧ ، ص ٢١٠) أن المدثر كان ابن عم صاحب الشامة

فأمر الدليلَ فمال بهم إليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجَّه بعض من معه لابتياع ما يصلحه ، فدخل القرية فأنكر بعض أهلها زيّه ، وسأله عن أمره فورى وانخلج ، فارتاب به ، وقبض عليه ، وأتى به واليها — ويُقال له أبو خبزة يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات ، والدالية قرية من . . . . . الفرات — ، فسأله (١٤٨) أبو خبزة ورهب عليه ، فعرّفه أن القرمطى الذى خرج الخليفة المكتفى فى طلبه خلف رابية أشار إليها ، فسار الوالى مع جماعة بالسلاح فأخذوهم وشدوهم وثاقا ، وتوجه بهم إلى ابن كشمرد ، فصار بهم إلى المكتفى — وهو بالرقة — فشهّرهم بالرقة وعَلَى الحسين بن زكرويه دُرَّاعة[١] ديباج وبُرْنُس[٢] حرير ، وعلى المدثِّر دراعة وبرنس حرير ، وذلك لأربع بقين من المحرم .

وقدم محمد بن سليمان بجيوشه إلى الرقة — ومعه الأسرى — فخلّف المكتفى عساكره مع محمد بن سليمان بالرقة ، وشخص فى خاصته وغلمانه ، وتبعه وزيره القاسم بن عبيد الله إلى بغداد ومعه القرمطى وأصحابه ، فلما صار إلى بغداد عُمل له كرسى سُمْكه ذراعان ونصف ، ورُكِّب على فيل

(١) الدراعة والمدرع ضرب من الثياب التى تلبس ، وقيل جُبة مشقوقة المقدم . انظر : اللسان ؛ (Dozy. Dict. Vêts.; Supp. Dict. Arab.) .

(٢) البرنس — ويقال بَرنوس وبُرنوس — قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام ، أو كل ثوب رأسه منه — دراعة كان أوجبة أو ممطراً — ومنه برنسه فتبرنس أى ألبسه البرنس فلبسه . انظر : (محيط المحيط ؛ Dozy, Dict. Vêts; Snpp. Dict. Arab.) .

وأركب عليه ، ودخل المكتفى وهو بين يديه مع أصحابه الأسرى ، وذلك ثالث ربيع الأول ، ثم سجنوا .

فلما وصل محمد بن سليمان ببقية القرامطة لاثنتى عشرة خلت منه أمر المكتفى القوادَ بتلقيه والدخول معه ، فدخل فى زيٍّ حسن وبين يديه نيف وسبعون أسيراً ، فخُلع عليه ، وطُوِّق بطوق من ذهب ، وسُوِّر سوارين من ذهب ، وخُلع على جميع من كان معه من القواد ، وطُوِّقوا وسُوِّروا .

وأمر [المكتفى] ببناء دكة فى الجانب الشرقى مربعة ، ذرعها عشرون ذراعا فى مثلها وارتفاعها عشرة أذرع ، يُصعد إليها بدرج ، فلما كان لأربع بقين منه خرج القواد والعامة ، وحُمل القرامطة على الجمال إلى الدكة ، وقُتلوا جميعاً وعدتهم ثلاثمائة وستون ، وقيل دون ذلك ، وقُدم الحسن بن زكرويه ، وعيسى بن أخت مهرويه إلى أعلى الدكة ومعهما أربعة وثلاثون إنسانا من وجوه القرامطة ممن عرف بإنكائه ، وكان الواحد منهم يُبطح على وجهه ، وتُقطع يده اليمنى فيُرمى بها إلى أسفل ليراها الناس ، ثم تُقطع رجله اليسرى ، ثم رجله اليمنى ويُرمى بهما ، ثم يُضرب عنقه ويرمى بها . ثم قُدم المدثِّر ففُعل به كذلك بعد ما كوى ليُعذب ، وضُربت عنقه . ثم قُدِّم الحسن بن زكرويه فضُرب مائتى سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، وكُوى وضُربت عنقه ، ورُفع رأسه على خشبة ، وكَبَّرَ مَنْ على الدكة فكبَّرَ الناس وانصرفوا ، وحُملت الرؤوس فصُلبت على الجسر ، وصُلب بَدَنُ القرمطى فمكث نحو سنة .

ومن كتب الحسن بن زكرويه [صاحب الشامة][1] إلى [بعض][1] عماله ما هذه نسخته بعد البسملة :

« من عبد الله [أحمد بن عبد الله][1] المهدى ، المنصور بالله ، الناصر لدين الله ، (٤٨ ب) القائم بأمر الله ، [الحاكم بحكم الله][1] ، الداعى إلى كتاب الله ، الذاب عن حرم[2] الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، ومُذِلِّ المنافقين ، وخليفة الله على العالمين ، وحاصد الظالمين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المبصرين[3] ، [وضياء المستضيئين][1] ، ومشتت المخالفين ، والقيّم[4] بسنة [سيد][1] المرسلين ، وولد خير الوصيين — صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وسلم [كثيرا][1] — كتابٌ إلى فلان[5] : سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلى على محمد جدى رسول الله ، أما بعد فقد أنهى إلينا ما حدث قِبَلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك [وأظهروه][1] من الظلم والعيث والفساد فى الأرض ، فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن نُنفذ إلى ما هنالك من جيوشنا مَنْ ينتقم اللهُ به من أعدائه الظالمين الذين يسعون[6]

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (الطبرى ، ج ١١ ، ص ٣٨٤) .

(٢) فى الأصل : « حريم الله » والتصحيح عن الطبرى .

(٣) فى الأصل : « المستبصرين » والتصحيح عن الطبرى .

(٤) فى الأصل : « والمقيم » والتصحيح عن الطبرى .

(٥) ذكر (الطبرى ، ج ١١ ، ص ٣٨٤) اسم المرسل إليه وهو « جعفر بن حميد الكردى » .

(٦) فى الأصل : « يشعون » والتصحيح عن الطبرى .

فى الأرض فساداً ؛ فأنفذنا [عُطَيرا][1] داعيتنا وجماعةً من المؤمنين إلى مدينة حمص ، [وأمددناهم بالعساكر][1] ونحن فى أثرهم ، وقد أوعزنا[2] إليهم فى المصير إلى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا ، ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا فى أمثالهم ، فينبغى أن تشدَّ قلبك وقلوبَ من اتبعك[3] من أوليائنا ، وتثق بالله و بنصره الذى لم يزل يعودناه فى كل من مرَقَ عن الطاعة ، وانحرف عن الإيمان ، وتبادر إلينا بأخبار الناحية وما يحدث[4] فيها ، ولا تُخْفِ عنا شيئا من أمرها ، [إن شاء الله] ، سبحانك اللهم وتحيتهم[5] فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على جدى [محمد][1] رسوله وعلى أهل بيته وسلم كثيراً »[6] .

وكانت عماله تكاتبه بمثل هذا الصدر ؛ وسلم القاسم بن أحمد أبو الحسين — خليفة الحسن بن زكرويه — فقدم سواد الكوفة إلى زكرويه بن مهرويه ، فأخبرهم خبر القوم الذين استخلفه ابنه عليهم ، وأنهم اضطربوا فخافهم وتركهم ، فلامه زكرويه على قدومه لوماً شديداً ، وقال له :

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (الطبرى ، ج ١١ ، ص ٣٨٤) .

(٢) فى الأصل : « أعوزنا » . والتصحيح عن الطبرى .

(٣) فى الطبرى : « من معك » .

(٤) فى الطبرى : « وما يتجدد » .

(٥) فى الأصل : « ومحنتهم » .

(٦) هذا الخطاب وثيقة هامة ، ويكمله أن نحصل على نموذج آخر لخطاب أحد العمال للحسن بن زكرويه ، وفى : (الطبرى ، ج ١١ ، ص ٣٨٤ — ٣٨٥) نموذج لهذا الخطاب فانظره هناك .

« ألا كاتبتني قبل انصرافك إليّ ؟ » ووجده مع لك على خوف شديد من طلب السلطان ومن طلب أصحاب عبدان .

ثم إنه[١] أعرض عن أبى الحسين ، وأنفذ إلى القوم — فى سنة ثلاث وتسعين — رجلاً من أصحابه كان معلماً يُقال له محمد بن عبد الله ابن سعيد ، ويكنى بأبى غانم ، فتسمى نصراً ليعمى[٢] أمره ، وأمَرَه أن يدور أحياء كلب ويدعوهم ، فدار ودعاهم ، فاستجاب له طوائف من الأصبغيين ومن بنى العليص ، فسار بهم نحو الشام ، وعامل (١٤٩) المكتفى بالله يومئذ على دمشق والأردن أحمد بن كيغلغ ، وهو[٣] بمصر فى حرب ابن الخليج[٤] ، فاغتنم ذلك محمد[٥] بن عبد الله المعلم وسار[٦] إلى بُصرى وأذرعات [من كورتى حوران والبثنية][٧] فحارب أهلها ، وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم ، وقتل مقاتلهم ، وسار يريد دمشق ، فخرج إليه جيش مع صالح بن الفضل خليفة أحمد بن كيغلغ ، فظهروا عليه ، وقتلوا عسكره ، وأسروه فقتلوه ، وهمّوا بدخول دمشق فدافعهم أهلها ، فمضوا إلى طبرية ،

---

(١) الضمير هنا عائد على زكرويه بن مهرويه .

(٢) فى الأصل : « ليعى » والتصحيح عن : (الطبرى : ج ١١ ، ص ٣٩٤) .

(٣) فى الأصل : « وهم » والتصحيح عن : (ابن الأثير ، ج ٧ ، ص ٢١٤ ؛ والطبرى ، ج ١١ ، ص ٣٩٤) .

(٤) انظر أخبار ثورة ابن الخليج فى : (الكندى ، الولاة ، ص ٢٥٨ — ٢٦٣) .

(٥) المقريزى يلخص هنا عن الطبرى ، وهو يسمى هذا الرجل هناك : « عبد الله ابن سعيد » .

(٦) فى الأصل : « وصار » والتصحيح عن (ابن الأثير ، ج ٧ ، ص ٢١٤) .

(٧) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (الطبرى ، ج ١١ ، ص ٣٩٤) .

فكانت لهم وقعة على الأردن غُلبوا فيها ونهبوا طبرية وقتلوا وسبوا النساء ، فبعث المكتفى بالحسين بن حمدان فى طلبهم مع وجوه من القواد ، فدخل دمشق وهم بطبرية ، فساروا نحو السماوة ، وتبعهم ابن حمدان فى البرية ، فأخذوا يغوِّرون ما يرتحلون عنه من الماء ، فانقطع [ابن حمدان](١) عنهم لعدم الماء ، ومال نحو رحبة مالك بن طوق ، فأسرى القرامطة إلى هيت وأغاروا عليها لقسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ، ونهبوا الربض والسفن التى فى الفرات ، وقتلوا نحو مائتى إنسان ، ثم رحلوا بعد يومين بما غنموه ، فأنفذ المكتفى إلى هيت محمد بن إسحاق بن كنداج فى جماعة من القواد بجيش كثيف ، وأتبعه بمؤنس ، فإذا هم قد غوّروا المياه ، فأنفذ إليهم من بغداد بالروايا والمزاد ، وكتب إلى ابن حمدان بالنفوذ إليهم من الرحبة ، فلما أحسوا بذلك ائتمروا بصاحبهم المعلم ، ووثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذئب بن القائم فقتله وشخص إلى بغداد متقرباً بذلك ، فأُسنيت له الجائزة ، وكف عن طلب قومه ، وحُملت رأس القاسم المسمى بنصر المعلم إلى بغداد .

ثم إن قوماً من بنى كلب أنكروا فعل الذئب وقَتْله المعلم ، ورضيه آخرون ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وافترقوا فرقتين ، فصارت الفرقة التى رضيت قَتْل المعلم إلى عين التمر وتخلفت الأخرى . و بلغ ذلك زكرويه — وأحمد بن القاسم عنده — فردّه إليهم ، فلما قدم عليهم جمعهم ووعظهم وقال : « أنا رسول وليّكم ، وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن

(١) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (الطبرى ، ج ١١ ، ص ٣٩٤) .

القائم ، وأنكم قد ارتددتم عن الدين » ، فاعتـذروا وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم ، وأعلموه بما كان بينهم من الخلف والحرب ، فقال لهم : « قد جئتكم الآن بما لم يأتـكم به أحد تقدمنى ، يقول لـكم وليكم : قد حضر أمركم ، وقرب ظهوركم ، وقد بايع له من أهل الـكوفة أربعون ألفا ، ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم [الذى] ذكره الله [فى شأن موسى صلى الله عليه وسلم وعدوه فرعون إذ يقول][1] « موعدكم يوم (٤٩ ب) الزينة وأن يُحشر الناس ضحى » ، فاجمعوا أمركم ، وسيروا إلى الـكوفة ، فإنه لا دافع لـكم عنها ، ومنجز وعدى الذى جاءتكم به رسلى » ، فسروا بذلك ، وارتحلوا نحو الـكوفة فنزلوا دونها بستة وثلاثين ميلاً قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ، فخلفوا هناك الخدم والأموال ، وأمرهم أن يلحقوا به على ستة أميال من القادسية ، ثم شاور الوجوه من أصحابه فى طروق الـكوفة أى وقت ، فاتفقوا على أن يكمنوا فى النجف ، فيريحوا الخيل والدواب ، ثم يركبوا عمود الصبح فيشنوها غارة والناس فى صلاة العيد ، فركبوا وساروا ، ثم نزلوا فناموا ، فلم يوقظهم إلا الشمس يوم العيد لطفاً من الله بالناس ، فلم يصـلوا إلى الـكوفة إلا وقد انقضت الصلاة ، وانصرف الناس وهم متبددون فى ظاهر الـكوفة ، ولأمير البـلد طلائع يتفقد [ون] ، وكان قد أرجف فى البلد بحدوث فتن فأقبلوا ودخلت خيل منهم الـكوفة ، فوضعوا السيف وقتلوا كثيرا من الناس وأحرقوا ، فارتجت الـكوفة ، وخرج الناس بالسلاح ، وتـكاثروا عليهم يقذفونهم بالحجارة ،

---

(١) ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير ، ج ٧ ، ص ٢١٥) .

فقتلوا منهم عدة ، وأقبل بقيتهم ، فخرج إليهم إسحاق بن عمران فى يسير من الجند ، وتلاحق به الناس فاقتتلوا قتالا شديداً فى يوم صائف شديد الحر ، فانصرف القرامطة مكدودين ، فنزلوا على ميلين من الكوفة ، ثم ارتحلوا عشاء نحو سوادهم ، واجتازوا بالقادسية وقدتأهبوا لحربهم ، فانصرفوا عنها ، وبعث أمير الكوفة بخبر ذلك إلى بغداد .

وسار القرامطة إلى سواد الكوفة ، فاجتمع أحمد بن القاسم بز كرويه ابن مهرويه — وكان مستتراً — فقال للعسكر : « هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذى تنتظرونه » . فترجل [1] الجميع وألصقوا خدودهم بالأرض ، وضربوا لز كرويه مضربا عظيما ، وطافوا به ، وسروا سروراً عظيما ، واجتمع إليهم أهل دعوته من السواد ، فعظم الجيش جداً ، فسيّر المكتفى جيشاً عظيما ، فساروا بالأثقال والنهود والبراة [2] (؟) على غير تعبية مستخفين بالقوم ، فوصلوا وقد تعب ظهرهم وقلّ نشاطهم ، فلقيهم القرامطة وقاتلوهم وهزموهم ووضعوا فيهم [3] السيوف ، فقُتل الأكثر ونجا الأقل إلى القادسية فأقاموا فى جمع الغنائم ثلاثاً ، فكان من قتل من الجيش نحو الألف وخمسمائة فقويت القرامطة بما غنموا ، وبلغ المكتفى [ذلك] فخاف على الحاج ، وبعث محمد بن إسحاق بن كنداج لحفظ الحاج وطلَب القرامطة ، وضم إليه خلقاً عظيما .

فسار القرامطة (١٥١) وأدركوا الحاج ، فأخذوا الخراسانية

---

(١) فى الأصل : فترحل » .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعلها « البنود والبزاة » .

(٣) فى الأصل : « وفيهم » .

لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة أربع وتسعين ، ووضعوا فيهم السيف فقتلوا خلقاً عظيما ، واستولى زكرويه على الأموال . وقدم ابن كنداج فأقام بالقادسية — وقد أدركه من هرب من حاج خراسان — وقال : « لا أغدر بجيش السلطان » . وقدمت قافلة الحاج الثانية والثالثة فقاتلوا القرامطة قتالا شديداً حتى غلبوا ، وقُتل كثير من الحاج ، واستولوا على جميع ما فى القافلة ، وأخذوا النساء فلم يطلقوا منهن إلا من لا حاجة لهم فيها ، ومات كثير من الحاج عطشاً ، ويقال إنه هلك نحو من عشرين ألفاً ، فارتجت بغداد لذلك .

وأخرج المكتفى الأموال لإنفاذ الجيوش من الكوفة — لإحدى عشرة بقيت من المحرم — وخزائن السلاح ؛ ورحل زكرويه فلم يدع ماء إلا طرح فيه جيف القتلى ، وبث الطلائع فوافته القافلة التى فيها القواد والشمسية — وكان المعتضد جعل فيها جوهراً نفيساً — ومعهم الخزانة ووجوه الناس والرؤساء ومياسير التجار ، وفيها من أنواع المال ما يخرج عن الوصف ، فناهضهم زكرويه بالهَبِير [1] ، وقاتلهم يومه ، فأدركتهم قافلة العمرة ، وكان المعتمرون يتخلفون للعمرة بعد خروج الحاج ، ويخرجون إذا دخل المحرم ، وينفردون قافلة ، وانقطع ذلك من تلك السنة فاجتمع الناس وقاتلوا يومهم وقد نفد الماء ، فملك القافلة ، وقتل الناس ، وأخذ ما فيها من

---

(١) قال ياقوت فى معجم البلدان : « الهبير من الأرض أن يكون مطمئناً وما حوله أرفع منه ... والهبير رمل زرود فى طريق مكة كانت عنده وقعة ابن أبى سعيد الجنابى القرمطى بالحاج يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢ ، قتلهم وسباهم وأخذ أموالهم » .

حريم ومال وغـيره ، وأفلت ناس فمات أكثرهم عطشاً ، وسار فأخذ أهل فَيد[1] .

وأما بغداد فإنه حصل بها وبالكوفة وجميع العراق مصابٌ بحيث لم يبق دار إلا وفيها مصيبة وعَبْرَة سايلة وضجيج وعويل ، واعتزل المكتفى النساء هماً وغماً ، وتقدم بالمسير خلف زكرويه ، وأنفذ الجيوش فالتقوا مع زكرويه اسبع بقين من ربيع الأول ، فاقتتلوا قتالا شديداً صبر فيه الفريقان حتى انهزم زكرويه ، وقُتل أكثر من معه ، وأسر منهم خلق كثير ، وطُرحت النار فى قبته ، فخرج من ظهرها ، وأدركه رجـل فضربه حتى سقط إلى الأرض ، فأدركه رجـل يعرفه ، فأركبه نجيباً فارهاً ، وسار به إلى نحو بغداد ، فمات من جراحات كانت به ، وصُـبِّر وأدخل به إلى بغداد ميتاً فشُهر كذلك ، ومعه حرمه[2] وحرم أصحابه وأولادهم والأسرى ورؤوس من قُتـل بين يديه فى الجوالقات ؛ ومات خير (٥١ ب) القرامطة بموت زكرويه . ودعوتهم ذكرها شائع .

فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من السواد من الزط يُعرف بأبى حاتم الزطى ، فقصد أصحاب البورانى داعياً — وهم يُعرفون بالبورانية — وحرّم عليهم الثوم والبصل والكراث والفجل ، وحرّم عليهم إراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم أن يتمسكوا بمذهب البورانى ،

---

(١) عرفها ياقوت فى معجمه بأنها « بليدة فى نصف طريق مكة من الكوفة عامرة يودع الحاج فيها أزوادهم وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها ، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم ووهبوا لمن أودعوها شيئاً من ذلك » .

(٢) فى الأصل : « حرمته » .

وأمرهم بما لا يقبله إلا أحمق ، وأقام فيهم نحو سنة ، ثم زال فاختلفوا بعده ، فقالت طائفة : « زكرويه بن مهرويه حيّ و إنما شُبه على الناس به » . وقالت فرقة : « الحجة لله محمد بن إسماعيل » .

ثم خرج رجل من بنى عجل قرمطى يقال له محمد بن قطبة ، فاجتمع عليه نحو مائة رجل ، فمضى بهم نحو واسط ، فنهب وأفسد ، فخرج إليه أمير الناحية ، فقتلهم وأسرهم .

ثم خمدت أحوال القرامطة إلى أن تحرك أبو طاهر بن أبى سعيد الجنابى ، وعمل على أخذ البصرة سنة عشر وثلاثمائة ، فعمل سلالم عراضاً يصعد على كل مرقاة اثنان بزرافين ، إذا احتيج إليها نصبت ، وتُخلع إذا حُملت ، فرحل (١) يريد البصرة ، فلما قاربها فرَّق السلاح ، وحشى الغرائر بالرمل وحملها على الجمال ، وسار إلى السور قبل الفجر ، فوضع السلالم وصعد عليها قوم ، ونزلوا فوضعوا السيف وكسروا الأقفال فدخل الجيش ، فأول ماعملوا أن طرحوا الرمل المحمول فى الأبواب ليمنع من غلقها ، وندد بهم الناس ومعهم الأمير ، فقاتلوا وقُتل الأمير ، فأقاموا النهار يقتتلون حتى حجز بينهم الظلام ، فخرجوا وقد قُتل من الناس مقتلة عظيمة ، فباتوا ثم باكروا البلد فقتلوا ونهبوا ، ثم رحلوا إلى الأحساء ، فأنفذ السلطان عسكراً — وكان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان قد قُلد أعمال الكوفة والسواد وطريق مكة — فرحل فى أثرهم وأسر منهم وعاد . فلما قدمت قوافل الحاج اعترضها أبو طاهر القرمطى فقتل منهم ، فأدركهم أبو الهيجاء بن حمدان بجيوش

---

(١) فى الأصل : « فزحل » .

كثيرة ، فحملت القرامطة عليهم فهزموهم ، وأخذ أبو الهيجاء أسيراً ، فلما رآه أبو طاهر تضاحك وقال له : « جئناك عبدالله ، ولم نكلفك[1] قصدنا » فتلطف له أبو الهيجاء حتى استأمنه ، وأمر بتمييز الحاج ، وعزل الجمالين والصناع ناحية ، فأخذوا ما مع الحاج وخلوهم فوردوا بِشَرّ حال فى صورة الموتى ، ورحل من الغد من بعد أن أخذ من أبى الهيجاء وحده نحو عشرين ألف دينار مع أموال لا تحصى[2] كثرةً ، ثم أطلق أبا الهيجاء بعد أشهر فورد بغداد .

فلما كان فى سنة إثنتى عشرة (٢٥١) وثلاثمائة خرج من بغدد جيش كثيف لحفظ الحاج ، فاقى أبو طاهر القرمطى الحاج بالعقبة ، فرجع الحاج إلى الكوفة ، فتبعهم القرمطى حتى نزل بظاهرها لثلاث خلت من ذى القعدة ، فناوشه الناس وانكفأ راجعاً ، ثم باكرهم بالقتال ، وخرجت اليه جيوش السلطان فقاتلهم وهزمهم وقَتَل قوادهم وكثيراً من العامة ، ونهب البلد إلى العشرين منه ، فرحل عن البلد .

فلما كان فى سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج القرمطى من بلده لقتال ابن أبى الساج ، وقد كان السلطان أنزله فى جيش كثير بواسط ليسير إلى بلد القرمطى ، فاستصعب مسيره لكثرة من معه ، وثقل عليه سيره فى أرض قفر ، فاحتال على القرمطى ، وكاتبه باظهار المواطأة ، وأطمعه فى أخذ بغداد ومعاضدته ، فاغترّ بذلك ، ورحل بعيال وحشم وأتباع ، وجيشه على أقوى ما يمكنه ، وأقبل يريد الكوفة . ورحل ابن أبى الساج بجيشه عن واسط

(١) فى الأصل : « يكلفك » .
(٢) فى الأصل : « يحصى » .

إلى الكوفة ، وقد سبقه القرمطى ودخلها لسبع خلون من شوال ، فاستولى عليها وأخذ منها الميرة ، وأعدّ مايحتاج إليه ؛ وأقبل ابن أبى الساج على غير تعبئة ، وعبر مستهينا بأمر القرمطى مستحقراً له ، ثم واقعه وهو فى جيش تضيِّق عنه موضعه ولا تملك تدبيره ، وقد تفرّق عنه عسكره ، وركبوا — من نهب القرى وأذى الناس وإظهار الفجور — شيئا كثيراً ، فأقبل إليه القرمطى وقاتله ، فانهزمت عساكر ابن أبى الساج بعد ما كثرت بينهما القتلى والجراح ، فقتلوا الناس قتلاً ذريعاً حتى صاروا فى بساط واحد نحو فرسخين (١) أو أرجح ، واحتوى على عسكره ، ونهب الأكرة من أهل السواد ماقدروا عليه ، وأقام أربعين يوما ؛ وخرج بعد أن يئس من مجىء عسكر إليه ، فقصد بغداد ، ونزل بسواد الأنبار ، وعبر الفرات إلى الجانب الغربى ، وتوجه بين الفرات ودجلة يريد بغداد ، فجيش الجيش إليه ؛ وسار مؤنس حتى نازله على نحو ثلاثة فراسخ (١) من بغداد ، وقاتل القرامطة قتالا شديداً ، وورد كتاب المقتدر يأمر مؤنساً بمعاجلته القتال ، ويذكر ما لزم من صرف الأموال إلى وقت وصوله .

فكتب إليه : « إن فى مقامنا — أطال الله بقاء مولانا — نفقة المال ، وفى لقائنا نفقة الرجال ، ونحن أحرياء باختيار نفقة المال على نفقة الرجال » ؛ ثم أنفذ إلى القرمطى يقول له : « وَيْلك ، ظننتنى كمن لقيك أبر ذلك رجالى ، والله ما يسرنى أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابى ،

---

(١) فى الأصل : « فرسجين » و « فراسج » .

ولكني[1] أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا (٥٢ ب) حتى آخذك أخذاً بيدى إن شاء الله » .

وأنفذ يلبق فى جيش للإيقاع بمن فى قصر ابن هبيرة ، فعظم ذلك على القرمطى واضطرب ، وأخذ أصحابه يحتالون فى الهرب ، وتركوا مضاربهم ، فنهب مؤنس ما خلّفوه ، وسار جيش القرمطى من غربى الفرات ، وسار مؤنس من شرقيه ، إلى أن وافى القرمطى الرحبة ، ومؤنس يحتال فى إرسال زواريق فيها فاكهة مسمومة ، فكان القرامطة يأخذونها ، فكثرت الميتة فيهم ، وكثر بهم الذرب ، وظهر جهدهم ، فكروا راجعين وقد فل الظهر معهم ، فقاتلوا أهل هيت وانصرفوا مفلولين ، فدخل الكوفة على حال ضعف وجراحات وعلل — لثلاث خلون من رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة — فأقام بها إلى مستهل ذى الحجة ، ولم يقتل ولا نهب ثم رحل .

فلما كان فى سنة سبع عشرة رحل بجيشه ، فوافى مكة لثمان خلون من ذى الحجة ، فقتل الناس فى المسجد قتلاً ذريعاً ، ونهب الكعبة ، وأخذ كسوتها وحليها ، ونزع الباب وستائره ، وأظهر الاستخفاف به ، وقلع الحجر الأسود وأخذه معه — وظن أنه مغناطيس القلوب — ، وأخذ الميزاب أيضا ، وعاد إلى بلده فى المحرم سنة ثمانى عشرة وقد أصابه كدٌّ شديد ، وقد أخذ ستة وعشرين ألف حمل خفا ، وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار ، واستملك من النساء والغلمان والصبيان ماضاق بهم النعت ، وحاصرته

---

(١) فى الأصل : « ولكنك » .

هذيل فأشرف على الهلكة حتى عدل به دليل إلى غير الطريق المعروف إلى بلده .

فلما كان فى شهر رمضان سنة تسع عشرة سار إلى الكوفة ، فعاث عسكره فى السواد ، وأسروا خلقاً ، [و] اشتروا أمتعة ، ورجعوا — بعد خمسين ليلة أقاموا بها — إلى بلدهم .

و بعث أبو طاهر سرية فى البحر نحو أر بعين مركبا فوضعوا السيف فى أهل الساحل ، ولم يلقوا أحداً إلا قتلوه — من رجل وامرأة وصبى — فما نجا منهم إلا من لحق بالجبال[1] ، وسبوا النساء ، واجتمع الناس ، فقتلوا منهم — فى الحرب معهم — خلقاً كثيراً ، وأسروا جماعة ، ثم تحاملوا عليهم ، وتبادوا بالشهادة ، وجدوا فقتلوا أكثرهم ، وأخذوا جميع من بقى أسرا بحيث لم يفلت منهم أحد ، وحملت الأسرى إلى بغداد مع الرؤوس — وهم نحو المائة رجل ومائة رأس — فحبسوا ببغداد ، ، ثم خلصوا وصاروا إلى أبى طاهر فكانوا يتحدثون بعد خلاصهم إلى أبى طاهر أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون إليهم بما يتقربون به إليهم . وكان سبب خلاصهم مكاتبة جرت بينهم بالمهادنة على أن يردوا الحجر الأسود ، ويُطلق الأسرى ، ولا يعترضوا الحاج ؛ فجرى الأمر على ذلك .

ودخل القرمطى — فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة — إلى الكوفة والحاج قد خرج فى ذى القعدة ، فعاد الحاج إلى الكوفة ، ولم يقدر على (١٠٣) مقاومتهم ، فظفر بمن ظفر منهم ، فلم يكثر القتل ، وأخذ ما وجد .

---

(١) فى الأصل « بالحبال » .

و بلغ القرمطى أن رجلا من أصحابه قال : « والله ماندرى ماعند سيدنا أبى طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الأرض وغربها ، واتخاذهم ومَنْ وراءهم أعداء ، وما يفوز بأكثر أموالهم إلا الأعراب والشُّذّاذ من الناس ، فلو أنه حين يظفر بهم دعاهم إلى أن يؤدى كل رجل منهم ديناراً ويطلقهم ويؤمنهم لم يكره ذلك منهم أحد ، وخفّ عليهم وسهل ، وحج الناسُ من كل بلد ، لأنهم ظمأى [1] إلى ذلك جداً ، ولم يبق ملك إلا كاتبه وهاداه واحتاج إليه فى حفظ أهل بلده وخاصته ، وجاء [2] فى كل سنة من المال مالا يصير لسلطان مثله من الخراج ، واستولى على الأرض وانقاد له الناس ؛ وإن منع من ذلك سلطان اكتسب المذمة ، وصار عند الناس هو المانع من الحج » . فاستصوب القرمطى هذا الرأى ، ونادى من وقته فى الناس بالأمان ، وأحضر الخراسانيةَ ، فوطّأ أمرهم على أنهم يحجوا ويؤدوا إليه المال فى كل سنة ، ويكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم ؛ وأخرج أهل مصر أيضاً عن الحاج ضرائب من مال السلطان ؛ ثم وَلِىَ تدبيرَ العراق مَنْ لم يَرَ ذلك دناءة [3] ولا منقصة [4] ، فصار لهم على الحاج رسما بالكوفة .

فلما كان سنة خمس وعشرين كبس أبو طاهر الكوفة ، وقبض على شفيع اللؤلؤى — أميرها — بأمانٍ ، فبعثه إلى السلطان يُعرّفه أنهم

(١) فى الأصل : « ظمأ » .

(٢) فى الأصل : « فجاء » .

(٣) فى الأصل : « دناه » .

(٤) فى الأصل : « منصقه » .

صعاليك لا بد لهم من أموال ، فإن أعطاهم مالاً لم يفسدوا عليه ، وخدموه فيما يلتمسه ، وإلا فلا يجدوا بداً من أن يأكلوا بأسيافهم . وبرّ (١) [أبو طاهر] شفيعاً ووصله ، فوصل شفيع إلى السلطان وعرّفه ، فبعث إليهم رجلا فناظر القرمطى ، وملأ صدره من السلطان وأتباعه ، فزاده انكساراً ، وسار عن البلد ، فابتلاه الله بالجدرى وقتله ؛ فملك التدبير بعده أخوته وابن سنبر .

فلما كان فى سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس فحملوا الحجر الأسود إلى الكوفة ، ونصبوه فيها على الاسطوانة بالجامع . وكان قد جاء عن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب — الملقب زين العابدين (٢) — « أن الحجر الأسود يُعلق فى مسجد الجامع بالكوفة فى آخر الزمان » .

ثم قدم به سنبر بن الحسن بن سنبر إلى مكة — وأمير مكة معه — فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط كان معه مصوناً ، وعلى الحجر ضباب فضة قد حملت عليه ، تأخذه طولا وعرضاً ، تضبط شقوقا حدثت فيه بعد انقلاعه ؛ وكان قد أحضر له صانع معه جصّ يشد به الحجر ، وحضر جماعة من حَجَبَة البيت ، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجرَ بيده فى موضعه — ومعه الحجبة — وشدّه الصانع بالجصّ — وبعد ضعه — وقال [سنبر] لما ردّه : « أخذناه بقدرة الله ، ورددناه بمشيئته » ؛ ونظر

---

(١) فى الأصل : « وبز شفيعاً » .

(٢) الملقب بزين العابدن هو على بن الحسين لا محمد ابنه .

الناس إليه وقبلوه واقتمسوه[١] ، وطاف سنبر بالبيت . وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الإثنين لأربع عشرة خلت من ذى القعدة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وكان ردُّه يوم الثلثاء لعشر خلون من ذى الحجة — يوم النحر — سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ؛ وكانت مدة كينونته عند الجنّابى وأصحابه اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام .

(٥٣ ب) وكان فى سنة ...... بسواد الكوفة انصراف أبى طاهر القرمطى عن بغداد إلى الشام ، ووافوا إلى دار هجرتهم فكثروا ، وكبسوا نواحى واسط ، وقتلوا خلقا كثيراً ، وملكوا ماحواه العسكر هناك من سلاح وغيره ، فقوى أمرهم ، وسار بهم عيسى بن موسى والحجارى — وهما داعيان — وكان الحجارى بالكوفة يبيع[٢] الخبز ، فصحب يزيد النقاش واجتمع عليهما غلمان ، وساروا فنهبوا وأخافوا ، والبلد ضعيف لاتصال الفتن وتخريب البورانى لسواده وضعف يد السلطان ، وطالبوا جميع أهل السواد بالرحيل إليهم ، فاجتمعوا نحو العشرة آلاف ، وفرقوا العمال ، ورحلوا إلى الكوفة فدخلوها عنوة ، وهرب واليها ، وولوا على خراجها وعلى حربها ، وأحدثوا فى الأذان ما لم يكن فيه ؛ فأنفذ السلطان إليهم جيشاً فواقعهم فانهزموا ، وقتل منهم مالا يحصى ، وغرق منهم وهرب الباقون ، وحملت الأسرى إلى بغداد فقتلوا وصُلبوا ، وحُبس عيسى بن موسى مدة ، ثم تخلص بغفلة السلطان وحدوث الفتن آخر أيام المقتدر ، فأقام ببغداد يدعو الناس ،

---

(١) كذا فى الأصل ولعلها « ولمسوه » .

(٢) فى الأصل : « يبياع » .

ووضع كتباً نسبها إلى عبدان الداعى ، نسبه فيها إلى الفلسفة ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، فصار له أتباع ، وأفسد فساداً عظيما ، وصار له خلفاء من بعده مدة .

وأما خراسان فقدم إليها بالدعوة أبو عبد الله الخادم فأول[1] ماظهرت بنيسابور ، فاستخلف عند موته أبا سعيد الش . . . . . وصار منهم خلق كثير هناك من الرؤساء وأصحاب السلاح ، و . . . . . الرى من رجل يُعرف بخلق الحلاّج ، وكان يحلج القطن ، فعرف بها طاعة بالخلفية (؟) وهم خلق كثير ، ومال إليهم قوم من الديلم وغيرهم ، وكان منهم . . . . . . قتل مرداويج أسفار[2] عظمت شوكة القرامطة فى . . . . . . يقتلون الناس غيلة حتى أفنوا خلقاً كثيراً .

ثم خرج مرداويج إلى جرجان لقتال نصر بن أحمد السامانى ، فيعز عليهم وقتلهم مع صبيانهم ونسائهم حتى لم يبق منهم أحد ، وصار بعضهم إلى مفلح — غلام ابن أبى الساج — فاستجاب له ، ودخل القرامطة الشام .

[فلما] كان فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وقد استعد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة لقتال من يرد عليه من قبل جوهر القائد ، فورد . . . . . . الرملة يقصده ، ووافت الرملة فهزموا الحسن بن عبيد الله

---

(١) فى الأصل : « فاضل » وما هنا قراءة ترجيحية .

(٢) هذه الفقرة مضطربة فى الأصل لكثرة ما بها من بياض ؛ وأسفار هذا هو أسفار بن شيرويه وهو قائد ديلمى غلب على قزوين سنة ٣١٥ ثم وثب عليه قائده مرداويج فقتله وملك إقليم الرى والجبال مكانه ، وظل يحكمها إلى أن قتله جماعة من مماليكه سنة ٣٢٢ . أنظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ٢٤٤ — ٢٤٥)

(١٥٤) ثم جرى بينهم صلح ، وصاهر إليهم فى ذى الحجة منها ، فأقام القرمطى بظاهر الرملة ثلاثين يوماً ورحل .

وسار جعفر بن فلاح من مصر فهزم الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وقتل رجاله ، وأخذه أسيراً ، فسار إلى دمشق فنزل بظاهرها فمنعه أهل البلد وقاتلوه قتالا شديداً ؛ ثم إنه دخلها بعد حروب ، وفرّ منه جماعة — منهم ظالم بن موهوب العقيلى ، ومحمد بن عصودا — فلحقا بالأحساء إلى القرامطة ، وحثوهم على المسير إلى الشام ، فوقع ذلك منهم بالموافقة لأن الإخشيدية كانت تحمل إليهم فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، فلما صارت عساكر المعز إلى مصر مع جوهر ، وزالت الدولة الإخشيدية انقطع المال عن القرامطة ، فسارت . . . . . . بعد أن بعثوا عرفاءهم لجمع العرب ، فنزلوا الكوفة وراسلوا السلطان ببغداد ، فأنفذ إليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة(١) ألف درهم على أبى تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان ، ورحلوا إلى الرحبة — وعليها أبو تغلب — فحمل إليهم العلوفة والمال الذى كتب به لهم .

وجمع جعفر بن فلاح أصحابه واستعد لحربهم ، فتفرّق الناس عنه إلى مواضعهم ، ولم يفكروا بالموكلين على الطرق ، وكان رئيس القرامطة الحسن ابن أحمد بن أبى سعيد الجنابى ، فبعث إليه أبو تغلب يقول : « هذا شىء أردت أن أسير أنا فيه بنفسى وأنا مقيم فى هذا الموضع إلى أن يرد علىّ خبرك ، فإن احتجتَ إلى مسيرى سرتُ إليك » ، ونادى فى عسكره : « من أراد المسير من الجند الإخشيدية وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد

---

(١) فى الأصل : « بعر بعماية »

(٥٤ ب) فلا اعتراض لنا عليـــه » ؛ وقد أذنا له فى المسير ، والعسكران واحد ، فخرج إلى عسكر القرمطى جماعة من عسكر أبى تغلب ، وفيهم كثير من الإخشيدية الذين كانوا بمصر ، صاروا إليه — لما دخل جوهر — من مصر وفلسطين ؛ وكان سبب هذا الفعل من أبى تغلب أن جعفر بن فلاح كان قد أنفذ إليـــه من طبرية داعياً يُقال له أبو طالب التنوخى — من أهل الرملة — يقول له : « إنى سائر إليك فنقيم الدعوة » ، فقال له أبو تغلب — وكان بالموصـل — : « هذا ما لا يتم لأنا فى دهليز بغداد ، والعساكر قريبة منا ، ولـكن إذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ما ذكرتم » . فانصرف من عنده على غير شىء[١] ، وبلغ ذلك القرمطى فسرّه وزاده قوةً ، وسار عن الرحبة ، فأشار أصحاب جعفر — لما قارب القرامطة دمشق — أن يقاتلهم بطرف البرية ، فخرج إليهم وواقعهم ، فانهزم ، وقُتل لست خلوْن من ذى القعدة سنة ستين وثلاثمائة .

ونزل القرمطى ظاهر المزة فجبي مالاً ، وسار يريد الرملة — وعليها سعادة بن حيان — فالتجأ إلى يافا ، ونزل عليـه القرمطى ، وقد اجتمعت إليه عرب الشام وأتباع من الجند ، فناصبها القتال حتى أكل أهلها الميتة ، وهلك أكثرهم جوعا[٢] ؛ ثم سار عنها ، وترك على حصارها ظالم العقيلى

---

(١) فى الأصل : « على شىء غير » وما هنا قراءة ترجيحية .

(٢) ورد فى الهامش — بالأصل — أمام هذا اللفظ ما يلى : « أبو المنجا هو عبد الله بن على بن المنجا أحد أصحاب أبى على الحسن بن أحمد بن الحسين بن بهرام القرمطى المنعوت بالأعصم ، وكان يرجع إليه لرأيه وسياسته ، استخلفه على دمشق حين رحل إلى الأحساء بعد انهزامه من أبى محمود إبراهيم بن جعفر الـكتامى ، فقصده ظالم بن =

وأبا المنجا بن منجا ، وأقام القرامطة الدعوة للمطيع لله العباسى فى كل بلد فتحوه ، وسوّدوا أعلامهم ، ورجعوا عما كانوا يمخرقون به ، وأظهروا أنهم كأمراء النواحى الذين من قبل الخليفة العباسى (١) .

ونزل على مصر أول ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلاثمائة فقاتله جوهر على الخندق وهزمه ، فرحل إلى الأحساء ؛ وأنفذ جوهر جيشا نحو يافا فملكوها ، ورحل المحاصرون لها إلى دمشق ،ونزلوا بظاهرها ، فاختلف ظالم العقيلى وأبو المنجا بسبب الخراج ، فكان كل منهما يريد أخذه للنفقة فى رجاله ، وكان أبو المنجا أثيراً عند القرمطى يولّج إليه أموره ، ويستخلفه على نذيره ، ورجع الحسن بن أحمد القرمطى من الأحساء فنزل الرملة ، ولقيه أبو المنجا وظالم ، وبلغه ما جرى بينهما من الاختلاف ، فقبض على ظالم واعتقله مدة ثم خلى عنه .

وطرح القرمطى مراكب فى البحر ، وشحنها بالمقاتلة ، وسيّرها (٢) إلى تنّيس وغيرها من سواحل مصر ، وجمع من قدر عليه من العرب وغيرهم ، وتأهب للمسير فى مصر هذا بعد أن كان القرامطة أولا يمخرقون بالمهدى ، ويوهمون أنه صاحب المغرب ، وأن دعوتهم إليه ، ويراسلون الإمام المنصور إسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدى ، ويخرجون إلى أكابر أصحابهم أنهم من أصحابه إلى أن افتضح كذبهم بمحاربة القائد جوهر لهم ، وقتله

= موهوب العقيلى من بعلبك بمراسلة ، فاستأمن إلى ظالم عدة من أصحاب أبى المنجا لمنعه عنهم العطاء وقلة ماله ، فأسره ظالم يوم السبت لعشر خلون من رمضان سنة ثلاثة وستين وثلاثمائة ، وجهزه أبو محمود هو وابنه فى قفصين إلى مصر فحبسا بها » .

(١) فى الأصل : « العبسى » .

(٢) فى الأصل : « ويسيرها » .

كثيراً منهم ، وكسره القبة التى كانت لهم .

فلما نزل المعز لدين الله بالقاهرة عند ما قدم من المغرب وقد تيقّن أخبار القرامطة كتب إلى الحسن بن أحمد القرمطى كتاباً[١] عنوانه :

« من عبد الله ووليّه ، وخيرته وصفيّه ، معد أبى تميم المعز لدين الله ، أمير (١٥٥) المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل على أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد » :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، رسوم النطقاء ، ومذاهب الأئمة والأنبياء ، ومسالك الرسل والأوصياء ، السالف والآنف منا ، صلوات الله علينا وعلى آبائنا ، أولى الأيدى والأبصار ، فى متقدم الدهور والأكوار ، وسالف الأزمان والأعصار ، عندقيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله ، الابتداء بالإعذار ، والانتهاء بالإنذار ، قبل إنفاذ الأقدار فى أهل الشقاق والاصار ، لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسب ما قال الله جلّ وعز : « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً[٢] » ، « وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ[٣] » ، وقوله سبحانه : « قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا

(١) هذا الخطاب وثيقة هامة لمن يريد بحث العلاقات بين الفاطميين والقرامطة . وقد انفرد المقريزى — فيما نعلم حتى الآن — برواية هـذا الخطاب وإن كان ناقصاً فى آخره .

(٢) الآية ١٥ ، السورة ١٧ (الإسراء) .

(٣) الآية ٢٤ ، السورة ٣٥ (فاطر) .

مِنَ الْمُشْرِكِينَ[١] » ، « فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ[٢] » .

أما بعد أيها الناس فإنا نحمد الله بجميع محامده ، ونمجده بأحسن مماجده ، حمداً دائماً أبداً ، ومجداً عالياً سرمداً ، على سبوغ نعمائه ، وحسن بلائه ، ونبتغى إليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة على طاعته ، والتسديد فى نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى ، ونستزيد[٣] منه إتمام الصلوات ، و إفاضات البركات ، وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التالين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتخبين ، الذى قضوا بالحق وكانوا به يعدلون .

أيها الناس : « قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا »[٤] ليذكر من يذكر ، و ينذر من أبصر واعتبر ؛ أيها الناس : إن الله جلّ وعز إذا أراد أمراً قضاه ، و إذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحاً ، وأبرزنا أرواحاً ، بالقدرة مالكين ، و بالقوة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا شمس تضىء ، ولا قمر يسرى ، ولا كوكب يجرى ، ولا ليل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق ، ولا جناح يخفق ، ولا ليل ولا نهار ، ولا فلك دوّار ، ولا كوكب

---

(١) الآية ١٠٨ ، السورة ١٢ (يوسف).
(٢) الآية ١٣٧ ، السورة ٢ (البقرة) .
(٣) فى الأصل : « نستريد » .
(٤) الآية ١٠٤ ، السورة ٦ (الأنعام) .

سيّار ؛ فنحن أول الفكرة وآخر العمل ، بقدر مقدور ، وأمر فى القِدَم مبرور ، فعند تكامل الأمر وصحة العزم ، و إنشاء الله — جلّ وعزّ — المنشآت ، و إبداء الأمهات من الهَيُولات ، طبعنا أنواراً وظلما ، وحركة وسكونا ، وكان من حكمه السابق فى (٥٥ ب) علمه ما ترون من فلك دوّار ، وكوكب سيّار ، وليل ونهار ، وما فى الآفاق من آثار معجزات وأقدار باهرات ، ومما فى الأقطار من الآثار ، وما فى النفوس من الأجناس والصور والأنواع ، من كثيف ولطيف، وموجود ومعدوم،وظاهر و باطن ، ومحسوس وملموس ، ودانٍ وشاسع ، وهابط وطالع ؛ كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالةً علينا و إشارةً إلينا ، يهدى به الله من كان له لب سُجيح ، ورأى صحيح ، قد سبقت له الحسنى ، فدان بالمعنى .

ثم إنه جلّ وعلا[1] أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم ، آدم وحواء أبوين ذكرا وأنثى سبباً لإنشاء البشرية ، ودلالة لإظهار القدرة القوية ؛ وزاوج بينهما فتوالدا الأولاد ، وتكاثرت الأعداد ، ونحن ننتقل فى الأصلاب الزكية ، والأرحام الطاهرة المرضية ، كلما ضمنا صلب ورحم أُظهر منا قدرة وعلم ، وهلمَّ جرًّا إلى آخر الجد الأول ، والأب الأفضل ، سيّد المرسلين ، و إمام النبيين ، أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله فى كل نادٍ ومشهد ، فحسن آلاؤه ، و بان غناؤه ، وأباد المشركين ، وقصم الظالمين ، وأظهر الحق ، واستعمل الصدق ، وظهر بالأحدية ، ودان بالصمدية ، فعندها سقطت الأصنام ، وانعقد الإسلام ، وانتشر الإيمان ،

---

(١) فى الأصل : « على » .

و بطل السحر والقربان ، وهربت الأوثان ، وأتى بالقرآن ، شاهداً بالحق والبرهان ، فيه خير ما كان وما يكون إلى يوم الوقت المعلوم ، منبئاً عن كتب تقدمت فى صحف قد تنزلت ، تبياناً لكل شىء ، وهدى ورحمة ونوراً وسراجاً منيراً .

وكل ذلك دلالات لنا ، ومقدمات بين أيدينا ، وأسباب لإظهار أمرنا هدايات وآيات وشهادات ، وسعادات قدسيات ، إلاهيات أزليات ، كائنات منشآت ، مبدئات معيدات ، فما من ناطق نطق ، ولا نبى بُعث ، ولا وصى ظهر ، إلا وقد أشار إلينا ، ولوّح بنا ، ودلّ علينا ، فى كتابه وخطابه ، ومنار أعلامه ، ومرموز كلامه ، فيما هو موجود غير معدوم ، وظاهر و باطن ، يعلمه من سمع الندا ، وشاهد ورأى ، من الملأ الأعلى ؛ فمن أغفل منكم أو نسى ، أو ضلّ أو غوى ، فلينظر فى الكتب الأولى ، والصحف المنزلة وليتأمل إلى القرآن ، وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم ، فقد أمر الله عزّ وجلّ بالسؤال ، فقال : « فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١) » ، وقال سبحانه وتعالى : « فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا (١٥٦) قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (٢) » ؛ ألا تسمعون قول الله حيث يقول : « وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٣) » ، وقوله تقدست

---

(١) الآية ٤٣ ، السورة ١٦ (النحل) .
(٢) الآية ١٢٢ ، السورة ٩ (التوبة) .
(٣) الآية ٢٨ ، السورة ٤٣ (الزخرف) .

أسماؤه : « ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) » ، وقوله له العزة : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ (٢) » ؛ ومثل ذلك فى كتاب الله تعالى جده كثير (٣) ، ولولا الإطالة لأتينا (٤) على كثير منه .

ومما دل به علينا ، وأنبأ به عنا ، قوله عز وجل : « كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٥) » ، وقوله فى تفضيل الجد الفاضل والأب الكامل محمد ، صلى الله عليه ، وعليه السلام ، إعلاما بجليل قدرنا ، وعلو أمرنا : « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٦) » هذا مع ما أشار ولوّح ، وأبان وأوضح ، فى السر والإعلان ، من كل مثل مضروب وآية وخبر وإشارة ودلالة ، حيث يقول : « وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ

---

(١) الآية ٣٤ ، السورة ٣ (آل عمران) .
(٢) الآية ١٣ ، السورة ٤٢ (الشورى) .
(٣) فى الأصل : « كبير » .
(٤) فى الأصل : « لابيتا » .
(٥) الآية ٣٥ ، السورة ٢٤ (النور) .
(٦) الآية ٨٧ ، السورة ١٥ (الحجر)

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ[١] » ، وقال سبحانه وتعالى : « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ[٢] » ، وقوله جل وعز : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ[٣] » ؛ فإن اعتبر معتبر وقام وتدبر ما فى الأرض وما فى الأقطار والآثار ، وما فى النفس من الصور المختلفات ، والأعضاء المؤتلفات ، والآيات والعلامات ، والاتفاقات[٤] والاختراعات ، والأجناس والأنواع ، وما فى كون الإبداع ، من الصور البشرية ، والآثار العلوية ، ومايشهد به حروف المعجم ، والحساب المقوم ، وما جمعته الفرائض والسنن ، وما جمعته السنون من فصل وشهر ويوم ، وتصنيف القرآن من تحزيبه وأسباعه ، ومعانيه وأرباعه ، وموضع الشرائع المتقدمة ، والسنن المحكمة ، وما جمعته كلمة الإخلاص فى تقاطيعها وحروفها وفصولها ، وما فى الأرض من إقليم وجزيرة ، وبر وبحر ، وسهل وجبل ، وطول وعرض ، وفوق وتحت ، إلى ما اتفق عليه فى جميع[٥] الحروف من أسماء المدبرات السبعة والأيام السبعة النطقا ، والأوصيا والخلفا ، وما صدرت به الشرائع (٥٦ ب) من فرض وسنة وحدوسة ، وما فى الحساب من آحاد وأفراد

---

(١) الآية ٤٣ ، السورة ٢٩ (العنكبوت)

(٢) الآية ١٩٠ ، السورة ٣ (آل عمران) .

(٣) الآية ٥٣ ، السورة ٤١ (فصلت) .

(٤) فى الأصل : « الانفاقات » .

(٥) فى الأصل : « جمع » .

وأزواج[١] ، وأعداد تثاليثه وترابيعه واثنا عشريته وتسابيعه ، وأبواب العشرات والمئين والألوف ، وكيف تجتمع وتشتمل على ما اجتمع عليه [و] ما تقدم من شاهد عدل وقول صدق وحكمة حكيم وترتيب عليم ؛ فلا إله إلا هو له الأسماء الحسنى والأمثال العلى ، « وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا[٢] » ، « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ[٣] » ، « وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ[٤] » ، وليعلم من الناس من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، أنا كلمات الله الأزليات ، وأسماؤه التامات ، وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ، ومصابيحه البينات ، وبدائعه المنشآت ، وآياته الباهرات وأقداره النافذات ، لا يخرج منا أمر ، ولا يخلو منا عصر ؛ وإنا لكما قال الله سبحانه وتعالى : « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[٥] » . فاستشعروا النظر فقد نقر فى الناقور ، وفار التنور[٦] ، وأتى

---

(١) فى الأصل ، « أزوج » .

(٢) الآية ٣٤ ، السورة ١٤ (إبراهيم) .

(٣) الآية ٧٦ ، السورة ١٢ (يوسف) .

(٤) الآية ٢٧ ، السورة ٣١ (لقمان) .

(٥) الآية ٧ ، السورة ٥٨ (المجادلة) .

(٦) فى الأصل : « التبور » .

النذير بين يدى عذاب شديد ، فمن شاء فلينظر ، ومن شاء فليتدبر ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ووقت مذكور ، فلا نرفع قدما ولا نضع قدما إلا بعلم موضوع ، وحكم مجموع ، وأجل معلوم ، وأمر قد سبق ، وقضاء قد تحقق ؛ فلما دخلنا وقد قدر المرجفون من أهلها أن الرجفة تنالهم ، والصعقة تحل بهم ، تبادروا وتعادوا شاردين ، وجلوا عن الأهل والحريم والأولاد والرسوم ، وأنا لنار الله الموقدة ، التى تطلع على الأفئدة ، فلم أكشف لهم خبراً ، ولا قصصت لهم أثراً ، ولكنى أمرت بالنداء ، وأذنت بالأمان ، لكل بادٍ وحاضر ، ومنافق ومتشاقق ، وعاصٍ ومارق ، ومعاند ومسابق ، ومن أظهر صفحته وأبدى لى سوءته ، فاجتمع الموافق والمخالف ، والباين والمنافق ، فقابلت الولىّ بالإحسان ، والمسىء بالغفران ، حتى رجع الناد والشارد ، وتساوى الفريقان ، واتفق الجمعان ، وانبسط القطوب ، وزال الشحوب ، جريا على العادة بالإحسان والصفح والامتنان[1] ، والرأفة والغفران ، فتكاثرت الخيرات ، وانتشرت (١٥٧) البركات ؛ كل ذلك بقدرة ربّانية ، وأمرة برهانية ، فأقمت الحدود بالبيّنة والشهود ، فى العرب والعبيد ، والخاص والعام ، والبادى والحاضر ، بأحكام الله — عزّ وجلّ — وآدابه ، وحقه وصوابه ، فالولىّ آمن جذل ، والعدو خائف وجل .

فأما أنت الغادر الخائن ، الناكث البائن ، عن هدى آبائه وأجداده ،

---

(١) فى الأصل : الامتيان » .

المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده . والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة ، فلم أغفل أمرك ، ولا خفى عنى خبرك ، ولا استتر دونى أثرك ، وإنك منى لبمنظر ومسمع ، كما قال الله جل وعز : « إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى[١] » ، « مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا[٢] » ، فعرفنا على أى رأى أصلت ، وأى طريق سلكت ؛ أما كان لك بجدك أبى سعيد أسوة ، و بعمل أبى طاهر قدوة ؟ أما نظرت فى كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أ كنت غائباً عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟ ألم تعلم[٣] أنهم كانوا عباداً لنا أولى بأس شديد وعزم شديد وأمر رشيد وفعل حميد ، يفيض إليهم موادنا ، وينشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الأعمال ودان لهم كل أمير ووال ، ولقبوا بالسادة فسادوا ، منحة منا واسماً من أسمائنا ، فعلت أسماؤهم ، واستعلت هممهم ، واشتد عزمهم ، فسارت إليهم وفود الآفاق ، وامتدت نحوهم الأحداق ، وخضعت لهيبتهم الأعناق ، وخيف منهم الفساد والعناد ، وأن يكونوا لبنى العباس أضداد ، فعبئت الجيوش ، وسار إليهم كل خميس بالرجال المنتجبة ، والعدد المهذبة ، والعساكر الموكبة ، فلم يلقهم جيش إلا كسروه[٤] ، ولا رئيس إلا أسروه ، ولا عسكر إلا كسروه ، وألحاظنا ترمقهم[٥] ، ونصرنا يلحقهم ، كما قال الله جل وعز :

(١) الآية ٤٦ ، السورة ٢٠ (طه) .
(٢) الآية ٢٨ ، السورة ١٩ (مريم) .
(٣) فى الأصل : « تعمل » .
(٤) فى الأصل : « كروه » .
(٥) فى الأصل : « يرمقهم » .

« إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا[١] » ، « وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ[٢] » ، وإن حزبنا لهم المنصورون .

فلم يزل ذلك دأبهم[٣] ، وعين الله ترمقهم ، إلى أن اختاره لهم ما اختاروه من نقلهم من دار الفناء إلى دار البقاء ، ومن نعيم يزول إلى نعيم لا يزول ، فعاشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين ، إلى روح وريحان وجنات النعيم فطوبى لهم وحسن مآب[٤] .

ومع هذا فما من جزيرة فى الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون إلينا ، [و] يدلون علينا ، ويأخذون تبعتنا ، ويذكرون رجعتنا ، وينشرون علمنا ، وينذرون بأسنا ، ويبشرون بأيامنا ، بتصاريف اللغات (٥٧ ب) واختلاف الألسن ، وفى كل جزيرة وإقليم رجالٌ منهم يفقهون ، وعنهم يأخذون ، وهو قول الله عز وجل : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ[٥] » ، وأنت عارف بذلك ، فيأيها الناكث الحانث ما الذى أرداك وصدك ؟ أشىء شككت فيه ؛ أم أمر استربتَ به ، أم كنتَ خليًا من الحكمة ، وخارجا عن الكلمة ، فأزالك وصدك ، وعن السبيل ردك ؛ إن هى إلا فتنة لكم ومتاع إلى حين ؛ وأيم الله لقد كان الأعلى لجدك ، والأرفع لقدرك ، والأفضل لمجدك ، والأوسع لوفدك ،

---

(١) الآية ٥١ ، السورة ٤٠ (غافر)

(٢) الآية ١٧٣ ، السورة ٣٧ (الصافات) .

(٣) فى الأصل : « دانهم » .

(٤) فى الأصل : « ما أت » .

(٥) الآية ٤ ، السورة ١٤ (إبراهيم) .

والأنصر لعودك ، والأحسن لعذرك ، الكشف عن أحوال سلفك و إن خفيتْ عليك ، والقفو لآثارهم و إن عميت لديك ، لتجرى على سننهم ، وتدخل فى زمرهم ، وتسلك فى مذهبهم ، أخذاً بأمورهم فى وقتهم ، وزمرهم فى عصرهم ، فتكون (١) خلفاً قفا سلفاً بجد وعزم مؤتلف ، وأمر غير مختلف ؛ لكن غلب الران على قلبك ، والصدى على لبك ، فأزالك عن الهدى ، وأزاغك عن البصيرة والضيا ، وأمالك عن مناهج الأوليا ، وكنت من بعدهم كما قال الله عز وجل : « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٢) » ، ثم لم تقنع فى انتكاسك وترديتك فى ارتكاسك ، وارتبا كك وانعكاسك ، من خلافك الأبا ، ومشيك القهقرى ، والنكوص على الأعقاب ، والتسمى بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، وعصيانك مولاك ، وجحدك ولاك ، حتى انقلبت على الأدبار ، وتحملتَ عظيم الأوزار ، لتقيم (٣) دعوة قد درست ، ودولة قد طمست ، إنك لمن الغاوين ، و إنك لفى ضلال مبين ، أم تريد أن ترد القرون السالفة ، والأشخاص الغابرة ؟ أما قرأت كتاب السفر ، وما فيه من نص وخبر ؟ فأين يذهبون إن هى إلا حياتكم الدنيا ، تموتون وتظنون أنكم لستم بمبعوثين ، « قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (٤) » ، أما علمت أن المطيع آخر ولد العباس ، وآخر المترايس

(١) فى الأصل : « فيكون » .

(٢) الآية ٥٩ ، السورة ١٩ (مريم)

(٣) جاء فى الهامش أمام هذا اللفظ : « يعنى أنه يريد إقامة دولة بنى العباس بكونه أخذ منهم السلاح والمال من أبى تغلب بن حمدان ، وقدم يقاتل المعزة نصرة لهم »

(٤) الآية ٧، السورة ٦٤ (التغابن) .

فى الناس ، أما تراهم « كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ [(١)] » ، ختم والله الحساب ، وطوى الكتاب ، وعاد الأمر إلى أهله ، والزمان إلى أوله ، وأزفت الآزفة ، ووقعت الواقعة ، وقرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ، والآية من وطنها ، وجيء بالملائكة والنبيين وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية لله الحق ، والملك لله الواحد القهار ، فله الأمر من قبل ومن بعد . (١٥٨) ويومئذ يفرح المؤمنون [(٢)] بنصر الله ينصر الله من يشاء [(٣)] ، « يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَـكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ [(٤)] » ؛ فقد ضلَّ عملك ، وخاب سعيك ، وطلع نحسك ، وغاب سعيك ، حين آثرت الحياة الدنيا على الآخرة ، ومال [(٥)] بك الهوى ، فأزالك عن الهدى ، فإن تكفر أنت ومن فى الأرض جميعاً فإن الله هو الغنى الحميد .

ثم لم يكفك ذلك — مع بلائك وطول شقائك — حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك ، وحشدت أوباشك وأقلاسك ، وسرتَ قاصداً إلى دمشق وبها جعفر بن فلاح فى فئة قليلة من كتامة وزويلة ، فقتلته وقتلتهم ، — جراة على الله ورد الأمرة — ، واستبحتَ أموالهم ، وسبيتَ نساءهم ،

---

(١) الآيتان ٧ ، ٨ السورة ٦٩ (الحاقة) .

(٢) فى الأصل : « المؤمتين » .

(٣) فى الأصل « بنصر الله من نشا »

(٤) الآية ٢ ، السورة ٢٢ (الحج) .

(٥) فى الأصل : « ومالك » .

وليس بينك و بينهم تِرَةٌ ولا ثأر ، ولا حقد ولا أضرار ، فِعْلَ بنى الأصفر والترك والخزر ؛ ثم سرتَ أمامك ولم ترجع ، وأقمتَ على كفرك ولم تقلع ، حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيان فى زمرة قليلة وفرقة يسيرة ، فاعتزل عنك إلى يافا ، مستكفياً شرك ، وتاركا حربك ، فلم تزل[1] ما كنّاً على نكثك باكراً وصابحاً ، وغاديا ورائحاً ، تقعد لهم بكل مقعد ، وتأخذ عليهم بكل مرصد ، وتقصدهم بكل مقصد ، كأنهم ترك وروم وخزر ، لا ينهك عن سفك الدماء دين ، ولا يردعك عهد ولا يقين ، قد استوعب من الردى[2] حيزومك ، وانقسم على الشقاء خرطومك ؛ أما كان لك مذكر ، وفى بعض أفعالك مزدجر ؛ أوما كان لك فى كتاب الله عز وجل معتبر حيث يقول : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً[3] » ، فحسبك بها فعلة يلقاك يوم ورودك وحشرك حين لا مناص ، ولا لك من الله خلاص ولم تستقبلها[4] ، وكيف تستقبلها وأنى لك مقيلها ؟ هيهات هيهات ، هلك الضالون ، وخسر هنالك المبطلون ، وقلّ النصير ، وزال العشير ؛ ومن بعد ذلك تماديك فى غيّك ، ومقامك فى بغيك ، عداوة لله ولأوليائه ، وكفراً لهم وطغياناً ، وعمى[5] وبهتاناً ، أتراك تحسب أنك مخلد أم لأمر الله راد ؟

---

(١) فى الأصل : « يزل » .
(٢) فى الأصل : « الردا » .
(٣) الآية ٩٣ ، السورة ٤ (النساء)
(٤) فى الأصل : « تستقلها » .
(٥) فى الأصل : « عما »

أم « يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ [يأبى] اللهُ [إلا أن] يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ(١) »، هيهات لاخلود لمذكور ، ولا مرد لمقدور ، ولا طافىء لنور ، ولا مقر لمولود ، ولا قرار لموعود ، لقد (٥٨ ب) خاب منك الأمل ، وحان لك الأجل ، فإن شئت فاستعد للتوبة باباً ، وللنقلة جلباباً ، فقد بلغ الكتاب أجله ، والوالى أمله ، وقد رفع الله قبضته عن أفواه حكمته ، ونطق من كان بالأمس صامتاً ، ونهض من كان هناك خائفاً ، ونحن أشباح فوق الأمر والنفس ، دون العقل وأرواح فى القدس ، نسبة ذاتيـة وآيات لدنية ، نسمع ونرى ، « مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا(٢) » ، « وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ(٣) » .

ونحن معرضون ثلاث خصال — والرابعة أردى لك ، وأشقى لبالك ، وما أحسبك تحصل إلا عليها — فاختر : إما قدْت نفسك لجعفر بن فلاح ، واتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة ابن الحيان ، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير — وهى أسهل ما يرد عليك — و إما أن تردهم أحياء فى صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم — ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار — ، و إما سرت ومن معك بغير ذمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريكم على إحدى ثلاث : إما قصاص ، و إما منا

(١) الآية ٣٢ ، السورة ٩ (التوبة) .
(٢) الآية ٥٢ ، السورة ٤٢ (الشورى)
(٣) الآية ١٩٨ ، السورة ٧ (الأعراف) .

بعد (؟) و إما فدى . فعسى أن يكون تمحيصاً لذنوبك ، و إقالة لعثرتك ؛ وإن أبيت إلا فعل اللعين : « فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ، وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (١) » ، اخرج منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ، وقيل اخسئوا فيها ولا تكلمون ، فما أنت إلا كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، فلا سماء تظلك (٢) ، ولا أرض تقلك ، ولا ليل يجنك ، ولا نهار يكنك ، ولا علم يسترك ، ولا فئة تنصرك ؛ قد تقطعت بكم الأسباب ، وأعجزكم الذهاب ، فأنتم كما قال الله عز وجل : « مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ (٣) » فلا ملجأ لكم من الله يومئذ ولا منجى (٤) منه ؛ وجنود الله فى طلبك قافية ، لا يزال ذو أحقاد ، وثوار أمجاد ، ورجال أنجاد ، فلا تجد فى السماء مصعداً ، ولا فى الأرض مقعداً ، ولا فى الأرض ولا فى البحر منهجاً ، ولا فى الجبال مسلكا ؛ ولا إلى الهوا (٥) سلماً ، ولا إلى مخلوق ملتجا . حينئذ يفارقك أصحابك ، ويتخلى عنك أحبابك ، و يخذلك أترابك ، فتبقى وحيداً فريداً ، وخائفاً طريداً ، وهائماً شريداً ، قد ألجمك العرق ، وكظك القلق ، وأسلمتك ذنوبك ، وازدراك خزيك ، كلا لا وزر إلى ربك . . . . » (٦)

---

(١) الآيتان ٣٤ ، ٣٥ ؛ السورة ١٥ (الحجر) .

(٢) فى الأصل : « تطلك » . (٣) الآية ١٤٣ ، السورة ٤ (النساء) .

(٤) فى الأصل : « منجا » . (٥) فى الأصل : « الهوى » .

(٦) هكذا ورد الخطاب ناقصا ولم أجد تكملته فى المراجع الأخرى ، وقد انفرد (على بن ظافر الأزدى ، الدول المنقطعة ، ص ١٤٩ ، مخطوطة دار الكتب بالقاهرة) بذكر الرد على هذا الخطاب ، قال : « ولم ينفع هذا الكتاب ، بل كان نص جواب القرمطى له : وصل كتابك الذى كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، والجواب ما تراه » .

(١٥٠) سنة أربع وتسعين وثلاثمائة : قتل الحاكم بأمر الله جماعةً ، منهم : الفكرى — منجمه — وله أخبار ، وأبو على عسلوج الدنهاجى ، وابن عشرة الكتامى ، وعلى بن البدونى — الشاعر الأعمى — وعباس ابن رينوط الكتامى ، والقداد بن جعفر — الشاعر — وعلى بن سلمان الكتامى — سقاه أخوه عقيب خروجه من الحمام شربة سويق فمات عند وصوله إلى بيته — ، وقال . « قتلته قتلةً مستورةً ، وكانت أحب إلىّ من ضرب عنقه وإحراقه بالنار على عيون الأعداء » .

وقتل ابن أبى خريطة صاحب برجوان [١] ، وابن المغازلى — المنجم — وجعفر بن محمد الرايض ، وأبو غالب — أخو فهد بن إبراهيم — وأبو إبراهيم سهل بن كِلّس — أخو يعقوب الوزير — ورشيق الحمدانى ، وإسماعيل ابن سوار — صاحب برجوان — ، وابن سمود الكتامى ، ويخلف بن عبد الله بن الكتامى ، ويحيى بن سلمان الكتامى ، ومحمد بن على بن فلاح ، وابن قيطونة الكتامى .

(٥٠ ب) الحمد لله تم .

القاضى الأجل أمين [٢] الدولة أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار [٣] بن الحسين بن قندس بن عبد الله بن إدريس بن أبى يوسف الطائى ، توفى بطرابلس الشام ليلة السبت نصف رجب سنة أربع وستين وأربعمائة .

---

(١) فى الأصل : « رحوان » .

(٢) فى (النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٨٩) « أمير الدولة » وقد ذكر هناك أنه كان « الحاكم على طرابلس الشام والمتولى عليها ، وكان كريما ، كثير الصدقة ، عظيم المراعاة للعلويين » .

(٣) فى المرجع السابق : « بن عثمان » .

أمير الجيوش المظفر ، مصطفى الملك ، عدة الإمام وسيفه ، منتجب الدولة ، أنوشتكين الدِزْبَرى [١] تروح شواقه (؟) ابنه صمصام الدولة .

القاضى الأعز الأجل سيّد الحكام ، جلال الدولة وعمادها ، ذو المعالى ، صفىّ أمير المؤمنين (؟) .

القاضى الناصح ، ثقة النقاب ، عين الدولة ، أبو الحسن محمد بن عبد الله ابن على بن عياض .

الوزير الأجل شرف الوزراء ، تاج الرؤساء ، العادل الأمين ، الأوحد المكين ، معز الدين ، مغيث المسلمين ، عمدة أمير المؤمنين ، أبو الفضل يحيى بن أحمد بن المدبر ، تقلد الوزارة أولاً سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

الوزير الأجل ، الكامل الأوحد ، صفى أمير المؤمنين وخالصه ، أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن [٢] المغربى ، الأفضل عباس بن أبى الفتوح بن يحيى [٣] بن تميم بن المعز بن باديس وزير مصر .

---

(١) صواب الاسم : « التزبرى » فقد ترجم له ابن القلانسى (تاريخ دمشق ، ص ٧١) فقال هو « الأمير المظفر ، أمير الجيوش ، عدة الإسلام ، سيف الخلافة ، عضد الدولة ، شرف المعالى ، أبو منصور أنوشتكين ، مولده ما وراء النهر فى بلد الترك ، فى البلد المعروف بختل وسبى منه وحمل إلى كاشغر ، وهرب إلى بخارة وملك بها وحمل إلى بغداد ثم إلى دمشق ، وكان شتيم (كريه) الوجه ، بين التركية ، وكان وصوله سنة ٤٠٠ فاشتراه القائد تزبر بن أونيم الديلمى الخ » أنظر أيضا نفس المرجع (ص ٧٢ — ٧٩) و (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٥٢ ، ٢٦٨) .

(٢) ما بين الحاصرتين عن (Zambaur, Op. Cit, P. 96.) وقد تولى الوزارة فى ٢٥ ربيع الثانى سنة ٤٥٠ للمستنصر الفاطمى . أنظر أيضا نفس المرجع ، ص ١٥

(٣) كان أبو الفتوح أخاً ليحى لا ابناً له ، وبهذا يكون النسب الصحيح : العباس بن أبى الفتاح بن تميم بن المعز بن باديس ، وقد تولى الوزارة فى المحرم سنة ٥٤٨ للخليفة الفاطمى الظافر ، وتوفى فى ٢٣ ربيع الأول سنة ٥٤٩ ، وقد كانت أمه « بلارة » هاجرت إلى مصر وتزوجت الوزير ابن السلار ؛ أنظر (ابن خلكان ؛ Zambaur, Op Cit, PP. 71, 96)

الملاحق

الملحق الأول

ذكر الخلفاء الفاطميين

(عن الخطط ، ج ٢ ص ١٦٧ — ١٧٦)

قال بعد الفراغ من ترجمة المعز :

« ... وقام من بعده ابنه :

العزيز بالله أبو منصور نزار

فأقام فى الخلافة إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً ، ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما ، فى الثامن والعشرين من رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة بمدينة بلبيس ، وحمل إلى القاهرة ، وقام من بعده ابنه :

الحاكم بأمر الله أبو على منصور

وكانت مدة خلافته إلى أن فُقد خمساً وعشرين سنة وشهراً ، وفُقد وعمره ست وثلاثون سنة وسبعة أشهر ، فى ليلة السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وقد بسطت خبر العزيز والحاكم[1] عند ذكر

(١) انظر ما يلى : الملحقان ٢ ، ٣ .

الجوامع من هذا الكتاب ، وقام من بعده ابنه :

الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على

ابن الحاكم بأمر الله ، وُلِد بالقاهرة يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وعمره ست عشرة سنة ، فخرج إلى صلاة العيد وعلى رأسه المظلة وحوله العسكر ، وصلى بالناس فى المصلى وعاد ، فكتب بخلافته إلى الأعمال ؛ وشرب الخمر ورخَّص فيه للناس ، وفى سماع الغناء وشرب الفقاع وأكل الملوخيا وجميع الأسماك [1] ، فأقبل الناس على اللهو .

ووزر له الخطير رئيس الرؤساء أبو الحسن عمار بن محمد ، وكان على ديوان الإنشاء وغيره ، واستوزره الحاكم إلى أن فُقد ، فتولى البيعة للظاهر ، ثم قُتل بعد سبعة أشهر فى ربيع الأول سنة اثنتى عشرة ، فاستوزر [الظاهر] بعده بدر الدولة أبا الفتوح موسى بن الحسين — وكان يتولى الشرطة ثم ولى ديوان الإنشاء بعد ابن حيران — وصُرف عن الوزارة فى المحرم سنة ثلاث عشرة ، وقبض عليه فى شوال وقتل ، فوُجد له من العين ستمائة ألف دينار (١٦٨) وعشرون ألف دينار .

وولى بعده الوزارة الأمير شمس الملوك المكين مسعود بن طاهر .

وفى سنة أربع عشرة قُلِّد منتخب الدولة الدّزبرى [2] — متولى

(١) كان الحاكم قد منع هذه الأشياء جميعاً فأباحها الظاهر عند توليه الخلافة

(٢) فى الأصل : « الدريزى » والصحيح ما ذكرناه ، أنظر أخباره بالتفصيل فى : (ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧١ وما بعدها ؛ النجوم الزاهرة ، ص ٢٥٢) : وانظر أيضاً مافات ، ص ٢٦٧ .

قيسارية — ولاية فلسطين ، فكانت له مع حسّان بن مفرّج بن جراح الطائى حروبٌ .

وفيها نزع السعر بمصر وتعذر وجود الخبز .

وفى المحرم سنة خمس عشرة لُقب الخادم الأسود معضاد بالقائد عز الدولة وسنائها أبى الفوارس معضاد الظاهر ، وخُلِع عليه .

وثار رجل من بنى الحسين ببلاد الصعيد فقُبِض عليه ، وأقرَّ أنه قتل الحاكم بأمر الله(١) ، ووُجِد معه قطعة من جلد رأسه ، وقطعة من الفوطة التى كانت عليه ، فسئل عن سبب قتله إياه فقال : « غيرة لله وللإسلام » ثم قتل نفسه بسكين كانت معه ، فقُطِعت رأسه وسُيِّرت إلى القاهرة .

وفيها اشتد الغلاء بمصر وكثر نقص النيل .

وفيها قرَّر الشريف الكبير العجمى ، والشيخ نجيب الدولة الجرجرانى ، والشيخ العميد محسن بن بدوس مع القائد معضاد أن لا يدخل على الظاهر أحد غيرهم ؛ وكانوا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون فيتصرفون فى سائر أمور الدولة ، والظاهر مشغول بلذاته . وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلة ، وابن خيران صاحب الإنشاء ، وداعى الدعاة ، ونقيب نقباء الطالبيين وقاضى القضاة ربما دخلوا على الظاهر فى كل عشرين يوما مرةً ، ومن عداهم لا يُصل إلى الظاهر البتة ؛ والثلاثة الأول هم الذين يقضون الأشغال ويمضون الأمور بعد الاجتماع عند القائد معضاد .

ومُنع الناس من ذبح الأبقار لقلتها ، وعزت الأقوات بمصر ، وقلت

---

(١) كثرت الأقوال فى من قتل الحاكم ، انظر ما يلى : الملحق ٣ .

البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين ديناراً ، وكثر الخوف فى ظواهر البلد ، وكثر اضطراب الناس ، وتحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار فاختلف بعضهم على بعض ، وكثر ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا ، وتحاسد زعماء الدولة ، فقُبض على العميد محسن وضرب عنقه ، واشتد الغلاء ، وفشت الأمراض ، وكثر الموت فى الناس ، وفُقد الحيوان فلم يُقدر على دجاجة ولا فروج ، وعزّ الماء لقلة الظهر (؟) فعمّ البلاء من كل جهة ، وعرض الناس أمتعتهم للبيع فلم يُوجد من يشتريها .

وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الجب (١) ، وأُخذت أموالهم ، وقُتل منهم الكثير ، وعاد من بقى فلم يحج أحد من أهل مصر .

وتفاقم الأمر فى شدة الغلاء ، فصاح الناس بالظاهر : « الجوع . الجوع . يا أمير المؤمنين ، لم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك ، فالله . الله فى أمرنا » . وطرقت عساكر ابن جراح الفرما ففرّ أهلها إلى القاهرة ؛ وأصبح الناس بمصر على أقبح حال من الأمراض والموتان وشدة الغلاء وعدم الأقوات ، وكثر الخوف من الذعّار (٢) التى تكبس ، حتى إنه لما عمل

---

(١) عرف المقريزى (الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ — ٢٦٧) بركة الجب بقوله « هذه البركة فى الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد منها ، عرفت أولا بجب عميرة ، ثم قيل لها أرض الجب ، وعرفت إلى اليوم ببركة الحجاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم الخ »

(٢) انظر ما فات .

سماط عيد النحر[١] بالقصر كبس العبيد على السماط وهم يصيحون : « الجوع » ونهبوا سائر ما كان عليه .

ونُهبت الأرياف ، وكثر طمع العبيد ونهبهم ، وجرت أمور من العامة قبيحة ، واحتاج الظاهر إلى القرض ، فحمل بعض أهل الدولة إليه مالاً وامتنع نحو الألف عبد لتنهب البلد — من الجوع — فنودى بأن من تعرّض له أحد من العبيد فليقتله ، ونُدب جماعة لحفظ البلد ، واستعد (١٦٩) الناس ، فكانت نهبات بالساحل ، ووقائع مع العبيد ، واحتاج الناس فيها إلى أن خندقوا عليهم خنادق ، وعملوا الدروب على الأزقة والشوارع ، وخرج معضاد فى عسكر فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم . وأخذ العبيد فى طلب الجرجرائى وغيره من وجوه الدولة ، فحرسوا أنفسهم ، وامتنعوا فى دورهم ، وانقضت السنة والناس فى أنواع من البلاء .

وفى سنة ست عشرة أمر الظاهر فأُخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم ، وأمر الدعاة أن يحفِّظوا الناس كتاب « دعائم الإسلام »[٢]

---

(١) انظر الوصف التفصيلى لهذا السماط فى : (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥١١)

(٢) هو كتاب « دعائم الإسلام فى ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام » من تأليف القاضى أبى حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيان التميمى المتوفى سلخ جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ (مارس ٩٧٤) والمعاصر للمعز لدين الله ، وصاحب المؤلفات الكثيرة فى المذهب الإسماعيلى . ويقول إيڤانوف إن هذا الكتاب قد يكون أكثر الكتب انتشارا وقراءة حتى اليوم بين الإسماعيلية ، وهو يقع فى جزأين ، وقد طبع مختصر له حديثا فى بمباى . أنظر : (Ivanow, A Guide to Ismaili Literature, P.P. 3, 64, 195 285).

و « مختصر الوزير »[١] ، وجعل لمن حفظ ذلك مالاً .

وفى سنة سبع عشرة ثار بمصر رُعَافٌ[٢] عظيم بالناس ، وكثرت زيادة النيل عن العادة ، وتصدّق الظاهر بمائة ألف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسلم .

وفى سنة ثمانى عشرة وقعت الهدنة مع صاحب الروم[٣] ، وخُطب للظاهر فى بلاده ، وأعاد الجامع بقسطنطينية وعمل فيه مؤذنا ، فأعاد الظاهر كنيسة قمامة بالقدس ، وأذن لمن أظهر الإسلام فى أيام الحاكم أن يعود إلى النصرانية ، فرجع إليها كثير منهم ؛ وصرف الظاهر وزيره عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبارى ، وأقام بدله أبا القاسم على بن أحمد الجرجرائى .

وفى سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة والأتراك قُتل فيها كثير .

وفى سنة إحدى وعشرين بويع لابن الظاهر بولاية العهد ، وعمره ثمانية أشهر ، وأنفق على ذلك — فى خلع لأهل الدولة وطعام ونثار للعامة — ما يجل وصفه .

وفى سنة اثنتين وعشرين تحرك السعر لنقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر .

---

(١) هو مختصر الوزير يعقوب بن كلس .

(٢) الرعاف دم يسبق من الأنف (اللسان) .

(٣) كان امبراطور الدولة الرومانية الشرقية فى تلك السنة هو قسطنطين الثامن (١٠٢٥ — ١٠٢٨ = ٤١٥ — ٤١٨) ، وانظر عن هذه الهدنة : (Camb. Mid· Hist, V. v., Ch. VI, P. 256.)

وفى سنة ثلاث وعشرين قتل الظاهرُ أحد الدعاة فاضطربت الرعية والجند ، وتحدث الناس بخلعه ، ثم سكنت الفتنة بعد إنفاق مال جزيل .

وفى سنة أربع وعشرين ركب ولى العهد من القاهرة إلى مصر وقد زُينت الطرقات ، فكان إذا مر بقوم قبلوا له الأرض ، ونُثر يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار ، فكان يوماً عظيماً .

وفى سنة خمس وعشرين بث الظاهر دعاته ببغداد — عند اختلاف الأتراك بها — فكثرت دعاته هناك ، واستجاب لهم خلق كثير .

فلما كان فى سنة ست وعشرين كثر الوباء بمصر .

ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة عن اثنتين وثلاثين سنة إلا أياما . فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما . وكان مشغوفاً باللهو محباً للغناء ، فتأنق الناس فى أيامه ، واتخذوا المغنيات والرقاصات ، وبلغوا من ذلك مبلغاً عظيماً .

واتخذ [الظاهر] حجراً(١) لماليكه ، وعلّمهم أنواع العلوم وسائر فنون

---

(١) أول من اتخذ الحجر ، المعز لدين الله ، وكان يسكنها « الحجرية » وهم فرقة من الحرس الخاص كانت تتكون من الشبان الأقوياء الذين يعدون ويدربون بحيث يكونون على استعداد للقتال فى أية لحظة ، فكان كل منهم — كما يقول المقريزى — « على قدم الاستعداد دائما ، فإذا جردوا خرج كل منهم لوقته لا يكون له ما يمنعه » ولم تشر المراجع إلى أن أحدا من الخلفاء الفاطميين بعد المعز اتخذ حجراً جديدة لماليكه لهذا . كان لهذا النص هنا قيمة خاصة . والذى عثرت عليه أن الأفضل بن أمير الجيوش عندما اشتد خطر الصليبيين « انشأ سبع حجر واختار من أولاد الأجناد ثلاثة آلاف رجل وقسمهم فى الحجر الخ » ، وقد كان لكل حجرة اسم تعرف به كالمنصورة ، والفتح والجديدة ، وكان كل حجرى لا يأوى إلا لحجرته وقريب منه فرسه وعدته =

الحرب ؛ واتخذ خزانة البنود[1] ، وأقام فيها ثلاث آلاف صانع ؛ وراسل الملوك ؛ واستكثر من شراء الجواهر . وكانت مملكته بإفريقية ومصر والشام والحجاز ، وغلب صالح بن مرادس على حلب فى أيامه ، واستولى على ما يليها وتغلّب حسّان بن جراح على أكثر بلاد الشام فتضعضعت الدولة . وقام من بعده ابنه ولى العهد ، وبويع له ، وهو :

المستنصر بالله أبو تميّم معد

ومولده فى السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة (١٧٠) وبويع بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين ، وعمره يومئذ سبع سنين ، فأقام ستين سنة وأشهراً فى الخلافة كانت فيها أنباء وقصص شنيعة بديار مصر منها :

أن أمه كانت أَمَة سوداء لتاجر يهودى يُقال له « أبو سعد سهل بن هارون التُسترى » ، فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر ، فلما أفضت

= وملابسه ، وكانت هذه الحجر بجوار دار الوزارة ، وكان للحجرية اصطبل خاص بهم بجواز دار الضيافة بالقاهرة . انظر : (المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ — ٣١١ ، ٣٩٩) .

(١) كانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير ، وكانت تخزن بها البنود — أى الرايات والأعلام — وجميع أصناف الأسلحة ، وقد احترقت هذه الخزانة فى عهد المستنصر فى سنة ٤٦١ فجعلت بعد الحريق سجنا للامراء والوزراء والأعيان ، وظلت كذلك بقية عهد الفاطميين وفى عهد الأيوبيين ، ثم فى عهد المماليك جعلت منازل للأسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية إلى أن هدمت سنة ٧٤٤ أنظر تفصيل الحديث عنها فى : (المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ — ٢٨١) .

الخلافة إليه استدنت أمه أبا سعد ورقته درجة عليّة ؛ وكان الوزير يومئذ أبا القاسم الجرجرائى فلم يتمكن أبو سعد من إظهار ما فى نفسه ، حتى مات الجرجرائى وتولى أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحى الوزارة فانبسطت يد أبى سعد ، وصار الفلاحى يأتمر بأمره ، فعمل عليه وقتله — كما ذكر فى خبر خزانة البنود[1] — ، فحقدت أم المستنصر على الفلاحى وصرفته عن الوزارة ، واستقر أبو البركات صفى الدين الحسين بن محمد بن أحمد الجرجرائى فى الوزارة .

وفى سنة أربعين صار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولى دمشق بالعساكر إلى حلب ، وحارب متوليها ثمال بن صالح بن مرداس ، ثم رجع بغير طائل ، فقُلد مظفر الصقلبى دمشق ، وقبض على ابن حمدان ، وصادره واعتقله بصور ثم بالرملة ، وخرج أمير الأمراء رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته نحو الثلاثين ألفاً ، بلغت النفقة عليه أربعمائة ألف دينار ، يريد الشام ومحاربة بنى مرداس .

وفى المحرم سنة إحدى وأربعين صُرف قاضى القضاة قاسم بن عبد المعزيز ابن النعمان عن القضاء بعد ما باشره ثلاث عشرة سنة وشهراً وأربعة أيام ، وتقلَّد وظيفة القضاء بعده القاضى الأجل خطير الملك أبو محمد اليازورى .

وفيها حارب رفقُ بنى مرداس فظفروا به وأسروه ، فمات بقلعة حلب فأفرج عن ابن حمدان و بقى بالحضرة ، وقُبض على الوزير أبى البركات

---

(١) انظر : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ — ٢٨٠) .

الجرجرائى ونُفى إلى الشام ، وعُمل أبو الفضل صاعد بن مسعود واسطةً[١] لا وزيراً ؛ ثم قُلد قاضى القضاة أبو محمد اليازورى الوزارة مع وظيفة القضاء ، ولقب بسيد الوزراء .

وفى سنة اثنتين وأربعين كانت حروب البحيرة وإخراج بنى قرة منها وإنزال بنى سنيس بعدهم بها .

وفيها دعا على بن محمد الصليحى[٢] باليمن للمستنصر ، وبعث إليه بمال النجوى[٣] والهدن .

وفى سنة أربع وأربعين كُتب ببغداد محاضر[٤] بالقدح فى نسب الخلفاء المصريين ، ونفيهم من الانتساب إلى على بن أبى طالب ، وسُيِّرت إلى الآفاق . وقصر مد النيل فتحرك السعر بمصر .

---

(١) كانت الوزارة فى العالم الإسلامى — ومنه مصر — تنقسم إلى وزارة تنفيذ وفيها يقوم الوزير بتنفيذ أوامر الخليفة ، ووزارة تفويض وفيها يكون الخليفة مغلوبا على أمره والأمور كلها بيد الوزير ؛ هـذا ولم يلقب بلقب الوزير فى عهدى العزيز والحاكم إلا يعقوب بن كلس ، وإنما كانت تطلق على وزارة هذين العهدين لفظ « وساطة » أو « سفارة » ، وهى رتبة دون الوزارة . انظر : (صبح الأعشى ج ٣ ، ص ٤٨٥ — ٤٨٦ ، ٤٧٨ — ٤٧٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ ؛ الصيرفى ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، فى مواضع كثيرة منه) .

(٢) كانت عاصمته صنعاء ، وحكم بين سنتى ٤٢٩ — ٤٧٣ (١٠٣٧ — ١٠٨٠)

(٣) ذكر (المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٢٢٦) أن قيمة النجوى عن كل فرد كانت ثلاثة دراهم وثلث .

(٤) لم تذكر المراجع صيغة هذا المحضر ، وإنما قال (ابن تغرى بردى ، النجوم ج ٥ ، ص ٥٣) إنه كان « من جنس المحضر الذى برز فى أيام القادر بالله » ؛ انظر ما فات ، ص ٤٠ ، ٤٥ — ٤٦ ، ٥٨ — ٥٩ .

ثم قصر أيضاً مد النيل فى سنة ست وأربعين فقوى الغلاء وكثر الموت فى الناس .

وفى سنة ثمان وأربعين خرج أبو الحارث البساسيرى من بغداد منتميا للمستنصر ، فسُيِّرت إليه الأموال والخلع .

وفى سنة تسع وأربعين عادت حلب إلى مملكة المستنصر .

وفى سنة خمسين قُبض على الوزير الناصر للدين أبى محمد اليازورى ، وتقلد بعده الوزارة أبو الفرج محمد بن جعفر المغربى بن عبد الله بن محمد ، وولى القضاء بعد اليازورى أبو على أحمد بن عبد الحكيم ، ثم صُرف بعبد الحاكم المليحى .

وفيها أخذ البساسيرى بغداد ، وأقام فيها الخطبة للمستنصر ، وفرّ الخليفة القائم بأمر الله العباسى إلى قريش بن بدران ، فبعث به إلى (١٧١) عانة ؛ وسُيِّرت ثياب القائم وعمامته وغير ذلك من الأموال إلى مصر .

وفيها سار ناصر الدولة إلى دمشق أميراً عليها .

وفى سنة إحدى وخمسين أقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجميع تلك الأعمال ، فقدم طغرل إلى بغداد ، وأعاد الخليفة القائم بعد ما خُطب للمستنصر ببغداد أربعون خطبة ؛ وقُتل البساسيرى .

وفيها قُطعت خطبة المستنصر أيضا من حلب ، فسار إليها ابن حمدان ، وحارب أهلها ، فانكسر كسرة شديدة شنيعة ، وعاد إلى دمشق .

وفيها صُرف أبو الفرج بن المغربى عن الوزارة ، وعبد الحاكم عن

القضاء ؛ وأعيد إلى الوزارة أبو الفرج البابلى ، واستقر فى وظيفة القضاء أحمد ابن أبى زكرى .

وفى سنة ثلاث وخمسين كثر صرف الوزراء والقضاة وولايتهم لكثرة مخالطة الرعاع للخليفة وتقدم الأراذل بحيث كان يصل إليه فى كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسعايات ، فاشتبهت عليه الأمور وتناقضت الأحوال ، ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة ، وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم ؛ وخربت الأعمال وقل ارتفاعها[١] ، وتغلب الرجال على معظمها ، مع كثرة النفقات والاستخفاف بالأمور وطغيان الأكابر[٢] ، إلى أن آل الأمر إلى حدوث الشدة العظمى[٣] — كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب — ، وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ست وستين وأربعمائة ، وقيامه بسلطنة مصر ما ذكر فى ترجمته ، عند ذكر أبواب القاهرة[٤] ؛ فلم يزل المستنصر مدة أمير الجيوش ملجماً عن التصرف إلى أن مات فى سنة سبع وثمانين ، فأقام العسكر من بعده فى الوزارة ابنه الأفضل شاهنشاه ، فباشر الأمور يسيراً .

---

(١) الارتفاع مبلغ ما يتحصل من المال لديوان من دواوين الدولة ، أو هو مجموع الأموال الديوانية كلها . انظر : (النويرى نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٧ ، ٢٩٧ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ،ص ٥٢ ، ١١١) .

(٢) هذا الوصف يشبه ما جاء فى : (المقريزى ، إغاثة الأمة ، ص ٢٢) مع اختلاف يسير فى الأسلوب

(٣) انظر تفصيل الحديث عن الشدة العظمى فى : (المقريزى ، إغاثة الأمة ، ص ٢٥ — ٢٧) .

(٤) ترجم له المقريزى ، فى (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١١ — ٢١٣) عند كلامه عن أبواب القاهرة .

ومات المستنصر ليلة الخميس لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة سبع وثمانين عن سبع وستين سنة وخمسة أشهر ، منها فى الخلافة ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، مرت فيها أهوال عظيمة وشدائد آلت به إلى أن جلس على نخ[1] ، وفقد القوت فلم يقدر عليه حتى كانت امرأة[2] من الأشراف تتصدق عليه فى كل يوم بقعب فيه فتيت ، فلا يأكل سواه مرةً فى كل يوم ؛ وقد مر فى غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره . فلما مات المستنصر أقام الأفضل بن أمير الجيوش فى الخلافة من بعده ابنه :

المستعلى بالله أبا القاسم أحمد

وكان مولده فى العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة ، فخالف عليه أخوه نزار ، وفرّ إلى الإسكندرية ، وكان القائم بالأمور كلها الأفضل فحاربه حتى ظفر به وقتله ، كما تقدم فى خبر أفتكين[1] عند خزائن القصر .

---

(١) النخ بساط طوله أكثر من عرضه ، وهو فارسى معرب . (اللسان) .

(٢) فى (إغاثة الأمة ، ص ٢٥) ما يوضح اسم هذه السيدة ، فقد سماها هناك : « الشريفة بنت صاحب السبيل »

(٣) هو نصر الدولة أفتكين الذى رافق نزاراً بن المستنصر بالاسكندرية ، وكانت له بالقاهرة دار كبرى جعلها الفاطميون برسم الحزن فقيل « خزائن دار أفتكين وتحتوى على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الإسكندرية وغيرها ، وجميع القلوب المأكولة من الفسدق وغيره والأعسال على اختلاف أصنافها ، والسكر والقند ، والشيرج والزيت إلخ » انظر أخبارها وأخبار أفتكين مع نزار فى : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ — ٢٧٨) .

وفى سنة تسعين وقع بمصر غلاء ووباء ، وقُطعت الخطبة من دمشق للمستعلى ، وخُطب بها للعباسى ، وخرج الفرنج من قسطنطينية لأخذ سواحل الشام وغيرها من أيدى المسلمين فملكوا أنطاكية[1].

وفى سنة إحدى وتسعين خرج الأفضل بعسكر عظيم من القاهرة فأخذ بيت المقدس من الأرمن ، وعاد إلى القاهرة .

وفى سنة اثنتين وتسعين ملك الفرنج الرملة و بيت المقدس ، فخرج الأفضل بالعساكر ، وسار إلى عسقلان[2] ، فسار إليه الفرنج ، وقاتلوه وقتلوا كثيراً من أصحابه ، وغنموا منه شيئاً كثيراً ، وحصروه فنجا بنفسه (١٧٢) فى البحر ، وصار إلى القاهرة .

وفى سنة ثلاث وتسعين عمّ الوباء أكثر البلاد ، فهلك بمصر عالم عظيم .

وفى سنة أربع وتسعين خرج عسكر مصر لقتال الفرنج ، وكانت بينهما حروب[3] كثيرة .

وفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة مات المستعلى بالله لثلاث عشرة بقيت من صفر ، وعمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوما ، ومدة خلافته سبع سنين وشهران .

وفى أيامه اختلت الدولة ، وانقطعت الدعوة من أكثر مدن الشام ، فإنها صارت بين الأتراك والفرنج ، وصارت الإسماعيلية فرقتين : فرقة نزارية

---

(١) انظر تفصيل هذه الحملة الصليبية الأولى على انطاكية فى : (ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ — ١٣٥)

(٢) انظر تفصيل هذه الوقعة فى المرجع السابق (ص ١٣٧) .

(٣) انظر تفصيل هذه الحروب فى المرجع السابق (ص ١٤٠) .

تطعن فى إمامة المستعلى ، وفرقة ترى صحة خلافته ، ولم يكن للمستعلى مع الأفضل أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة ، وقيل إنه سُمَّ ، وقيل بل قُتل سراً .

فلما مات أقام الأفضل من بعده فى الخلافة ابنه :

الآمر بأحكام الله أبا على منصوراً

وعمره خمس سنين وشهر وأيام ، فقُتل الأفضل فى أيامه ، وأقام فى الخلافة تسعاً وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصفاً ، وقد ذكرت ترجمته [1] عند ذكر الجامع الأقمر فى ذكر الجوامع من هذا الكتاب ، ولما قُتل الآمر بأحكام الله أقيم من بعده :

الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد

ابن الأمير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله ، وكان قد وُلد بعسقلان فى المحرم سنة سبع ، وقيل فى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة لما أخرج المستنصر ابنه أبا القاسم مع بقية أولاده فى أيام الشدة ، فلذلك كان يقال له فى أيام الآمر بأحكام الله : « الأمير عبد المجيد العسقلانى ابن عم مولانا » .

ولما قتل النزارية الخليفة الآمر أقام برغش وهزار الملوك الأمير عبد المجيد فى دست الخلافة ، ولقباه بالحافظ لدين الله ، وأنه يكون كفيلا لمنتظر

---

(١) انظر ترجمته فى : (المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٧٧ — ٧٨) .

فى بطن أمه من أولاد الآمر ؛ واستقر هزار الملوك وزيراً ، فثار العسكر وأقاموا أبا على بن الأفضل وزيراً ، وقُتل هزار الملوك ، ونُهب شارع القاهرة ، وذلك كله فى يوم واحد ، فاستبد أبو على بالوزارة يوم السادس عشر من ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وقبض على الحافظ وسجنه مقيداً ، فاستمر إلى أن قُتل أبو على فى سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين ، فأُخرج من معتقله ، وأُخذ له العهد على أنه ولى عهد كفيل لمن يذكر اسمه ، فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيداً سمّاه « عيد النصر » ، وصار يُعمل كل سنة ، ونهبت القاهرة يومئذ .

وقام يانس — صاحب الباب — بالوزارة إلى أن هلك فى ذى الحجة منها بعد تسعة أشهر ، فلم يستوزر الحافظ بعده أحداً ، وتولى الأمور بنفسه إلى سنة ثمان وعشرين ، فأقام ابنه سليمان — ولىَّ عهده — مقام وزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات ؛ فجعل مكانه ابنه حيدرة ، فحنق ابنه حسن ، وثار بالفتنة ، وكان من أمره[1] ما ذكر فى خبر الحارة اليانسية من هذا الكتاب ؛ فلما قُتل حسن قام بهرام الأرمنى وأخذ الوزارة فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ؛ وكان نصرانيا فاشتد ضرر المسلمين من النصارى وكثرت أذيتهم ، فسار رضوان بن ولخشى — وهو يومئذ متولى الغربية — وجمع الناس لحرب بهرام ، وسار إلى القاهرة فانهزم بهرام ، ودخل رضوان القاهرة ، واستولى على الوزارة فى جمادى الأولى سنة إحدى (١٧٣) وثلاثين فأوقع بالنصارى وأذلّهم ، فشكره الناس ، إلا أنه كان خفيفاً عجولاً ، فأخذ

---

(١) انظر فيما يلى الملحق ٥ .

فى إهانة حواشى الخليفة ، وهمَّ بخلعه ، وقال : «ما هو بإمام ، وإنما هو كفيل لغيره ، وذلك الغير لم يصح » . فتوحش الحافظ منه ، وما زال يدبِّر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان ، وخرج إلى الشام فجمع وعاد فى سنة أربع وثلاثين ، فجهّز له الحافظ العساكر لمحاربته ، فقاتلهم وانهزم منهم إلى الصعيد ، فقبض عليه واعتقل ؛ فلم يستوزر الحافظ أحداً بعده ، إلى أن كانت سنة ست وثلاثين فغلت الأسعار بمصر ، وكثر الوباء ، وامتد إلى سنة سبع وثلاثين فعظم الوباء .

وفى سنة اثنتين وأربعين خلص رضوان من معتقله بالقصر ، وخرج من نقب ، وثار بجماعة ، وكانت فتنة آلت إلى قتله .

وفى سنة أربع وأربعين ثارت فتنة بالقاهرة بين طوائف العسكر ، فمات الحافظ ليلة الخميس من جمادى الآخرة ، عن سبع وسبعين سنة ، منها مدة خلافته ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً ، أصابته فيها شدائد كثيرة ؛ وكان حازماً سيوساً ، كثير المداراة ، عارفاً جماعاً للمال ، مغرىً بعلم النجوم ، يغلب عليه الحلم . فلما مات والفتنة قائمة أقيم ابنه :

الظافر(1) بأمر الله أبو منصور إسماعيل

ومولده للنصف من ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، فأقام فى الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام ، وكان محكوماً عليه من

---

(1) فى الأصل : « الظاهر » .

الوزراء[١] ، وفى أيامه أخذت عسقلان فظهر الخلل فى الدولة ، وقد ذكرت أخباره[٢] فى خط الخشبية عند ذكر الخطط من هذا الكتاب ؛ فلما قُتل أقيم من بعده ابنه :

الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى

أقامه فى الخلافة — بعد مقتل أبيه — الوزير عباس ، وعمره خمس سنين ، فقدم طلائع بن رُزَيّك — والى الأشمونين — بجموعه إلى القاهرة ففرّ عباس ، واستولى طلائع على الوزارة ، وتلقب بالصالح ، وقام بأمر الدولة إلى أن مات الفائز لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين عن إحدى عشرة سنة وستة أشهر ويومين ، منها فى الخلافة ست سنين وخمسة أشهر وأيام لم يرَ فيها خيراً ؛ فإنه لما أُخرج ليقام خليفة رأى أعمامه قتلى وسمع الصراخ فاختل عقله ، وصار يصرخ حتى مات ، فأقام الصالح بن رزيك فى الخلافة بعده .

العاضد لدين الله أبا محمد عبد الله

ابن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله ، ومولده لعشر بقين من المحرم

---

(١) فى الأصل . « الوزارة » .

(٢) انظر فيما يلى الملحق ٦ .

٥٤٦ هـ

سنة ست وأربعين وخمسمائة ، وكان عمره يوم بويع نحو إحدى عشرة سنة ، وقام الصالح بتدبير الأمور إلى أن قُتل فى رمضان سنة ست وخمسين — كما ذكر فى خبره عند ذكر الجوامع[1] — ، فقام من بعده ابنه رُزِّيك بن طلائع ، وحسنت سيرته ، فعزل شاور بن مجير السعدى عن ولاية قوص ، فلم يقبل العزل وحشد وسار على طريق الواحات فى البرية إلى تروجة ، فجمع الناس وسار إلى القاهرة فلم يثبت رزيك وفرّ فقُبض عليه باطفيح .

واستقر شاور فى الوزارة لأيام خلت من صفر سنة ثمان وخمسين ، فأقام إلى أن ثار ضرغام — صاحب الباب[2] — ففر منه إلى الشام .

واستبد ضرغام بالوزارة فقتل أمراء الدولة وأضعفها بسبب ذهاب (١٧٤) أكابرها ، فقدم الفرنج ونازلوا مدينة بلبيس مدةً ، ودافعهم المسلمون عدة مرار حتى عادوا إلى بلادهم بالساحل ، ورجع العسكر إلى القاهرة وقد قُتل منهم كثير ؛ فوصل شاور بعساكر الشام فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين ، فحاربه ضرغام على بلبيس بعساكر مصر ، وكانت لهم منه معارك انهزموا فى آخرها ، وغنم شاور ومن معه سائر ما خرجوا به وكان شيئاً جليلا ، فسُروا بذلك ، وساروا إلى القاهرة ، فكانت بين الفريقين حروب آلت إلى هزيمة ضرغام وقتله فى شهر رمضان .

فاستولى شاور على الوزارة مرة ثانية ، واختلف مع الغز القادمين معه

---

(١) ترجم له المقريزى عند كلامه عن جامعه الذى بناه وسماه باسمه « جامع الصالح » ؛ انظر : (الخطط ، ج ٤ ، ص ٨١ — ٨٢)

(٢) عرف صاحب صبح الأعشى (ج ٣ ، ص ٤٧٩) وظيفة صاحب الباب بأنها « ثانى رتبة الوزارة وكان يقال لها الوزارة الصغرى » .

من الشام ، وكانت له معهم حروب آلت إلى أن شاور كتب إلى مُرِّى — ملك الفرنج — يستدعيه إلى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه من الغز ، فحضر وقد صار شيركوه فى مدينة بلبيس ، فخرج شاور من القاهرة ، ونزل هو ومرى على بلبيس ، وحصرا شيركوه ثلاثة أشهر ، ثم وقع الصلح ، فسار شيركوه بالغز إلى الشام ورحل الفرنج ، وعاد شاور إلى القاهرة فى سنة ستين وخمسمائة ، فلم يزل إلى أن قدم شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية فى ربيع الآخر ، فخرج شاور من القاهرة إلى لقائه ، واستدعى مرى — ملك الفرنج — فسار شيركوه على الشرق ، وخرج من اطفيح ، فسار إليه شاور بالفرنج ، وكانت له معه الوقعة المشهورة ، فسار شيركوه بعد الوقعة من الأشمونين وأخذ الاسكندرية وعاد شاور إلى القاهرة .

وخرج شيركوه من الإسكندرية بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يزل يسير من الإسكندرية إلى قوص وهو يجبى البلاد ، فخرج شاور من القاهرة بالفرنج ، ونازل الإسكندرية ، فبلغ شيركوه ذلك ، فعاد من قوص إلى القاهرة وحصرها ، ثم كانت أمور آخرها مسير شيركوه وأصحابه من أرض مصر إلى الشام فى شوال ، وقد طمع الفرنج فى البلاد ، وتسلموا أسوار القاهرة ، وأقاموا فيها شحنة(١) معه عدة من الفرنج لمقاسمة المسلمين ما يتحصل من مال البلد . وفحش أمر شاور وساءت سيرته ، وكثر تجريه على الدماء وإتلافه للأموال .

---

(١) الشحنة (والجمع شحن وشحانى عرفه (Dozy, Sup. Dict. Arab.) بأنه رئيس الشرطة والموكل بحفظ الأمن فى بلد من البلاد . انظر أيضا : (المقريزى السلوك ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ٩٧٩) .

فلما كان فى سنة أربع وستين قوى تمكن الفرنج فى القاهرة، وجاروا فى حكمهم بها، وركبوا المسلمين بأنواع الإهانة، فسار مُرِّى يريد أخذ القاهرة، ونزل على مدينة بلبيس وأخذها عنوة، فكتب العاضد إلى نور الدين محمود بن زنكى — صاحب الشام — يستصرخه ويحثه على نجدة الإسلام وإنقاذ المسلمين من الفرنج، فجهّز أسد الدين شيركوه فى عسكر كثير، وجهزهم وسيرهم إلى مصر، وقد أحرق شاور مدينة مصر — كما تقدم —، ونزل مرى — ملك الفرنج — على القاهرة، وألحَّ فى قتال أهلها حتى كاد أن يأخذها عنوة، فسيّر إليه شاور وخادعه حتى رضى بمال يجمعه له، فشرع فى جبايته، وإذا بالخبر ورد بقدوم شيركوه، فرحل الفرنج عن القاهرة فى سابع ربيع الآخر، ونزل شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة، فخلع عليه العاضد وأكرمه، فأخذ شاور يفتك بالغز على عادته، فكان من قتله ما ذُكر (١٧٥) فى موضعه، وذلك فى سابع عشر ربيع الآخر المذكور.

وتقلد شاور وزارة العاضد، وقام بالدولة شهرين وخمسة أيام، ومات فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة.

ففوّض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب، فساس الأمور ودبر لنفسه، فبذل الأموال وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال، فلم يزل أمره فى ازدياد وأمر العاضد فى نقصان، وصار يخطب من بعد العاضد للسلطان محمود نور الدين، وأقطع أصحابه البلاد، وأبعد أهل مصر وأضعفهم، واستبد بالأمور ومنع العاضد من التصرف حتى تبيَّن للناس ما يريده من

إزالة الدولة ، إلى أن كان من وقعة العبيد ما ذكرنا فأبادهم وأفناهم ، ومن حينئذ تلاشى العاضد وانحل أمره ، ولم يبق له سوى إقامة ذكره فى الخطبة فقط .

هـذا وصلاح الدين يوالى الطلب منه فى كل يوم ليضعفه ، فأتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك ، حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد ، فطلبه منه وألجأه إلى إرساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت ، وصار لا يخرج من القصر البتة . وتتبع صلاح الدين جند العاضد ، وأخذ دور الأمراء وإقطاعاتهم فوهبها لأصحابه ، وبعث إلى أبيه وأخوته وأهله فقدموا من الشام عليه .

٥٦٦ هـ فلما كان فى سنة ست وستين أبطل المكوس من ديار مصر ، وهدم دار المعونة[١] بمصر ، وعمَّرها مدرسة للشافعية ، وأنشأ مدرسة أخرى للمالكية[٢] ، وعزل قضاة مصر الشيعة ، وقلّد القضاء صدر الدين عبد الملك ابن درباس الشافعى ، وجعل إليه الحكم فى إقليم مصر كله ، فعزل سائر القضاة واستناب قضاة شافعية ، فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك

---

(١) ذكر (المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٠٤) أن دار المعونة هذه كانت قبلى جامع عمرو بن العاص ، وأنها كانت فى أول أمرها شرطة ، ثم صارت سجناً يعرف بالمعونة إلى أن ملك صلاح الدين فجعلها مدرسة فى أول المحرم سنة ٥٦٦ وسميت بالمدرسة الناصرية وبابن زين التجار وبالشريفية . انظر أيضا نفس المرجع (ج ٤ ، ص ١٩٣)

(٢) هى المدرسة القمحية شرع فى بنائها فى النصف من محرم سنة ٥٦٦ بجوار الجامع العتيق . انظر المرجع السابق (ج ٤ ، ص ١٩٣)

والشافعى — رضى الله عنهما — واختفى مذهب الشيعة إلى [أن] نُسى من مصر :

وأخذ [صلاح الدين] فى غزو الفرنج ، فخرج إلى الرملة وعاد فى ربيع الأول ؛ ثم سار إلى أيلة ونازل قلعتها حتى أخذها من الفرنج فى ربيع الآخر ؛ ثم سار إلى الإسكندرية ولمّ شعث سورها وعاد . وسيّر توران شاه فأوقع بأهل الصعيد وأخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرةً وعاد ، فكثر القول من صلاح الدين وأصحابه فى ذم العاضد ، وتحدثوا بخلعه وإقامة الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر .

ثم قبض على سائر من بقى من أمراء الدولة وأنزل أصحابه فى دورهم فى ليلة واحدة ، فأصبح فى البلد من العويل والبكاء ما يذهل ، وتحكم أصحابه فى البلد بأيديهم ، وأخرج إقطاعات سائر المصريين لأصحابه ، وقبض على بلاد العاضد ، ومنع عنه سائر مواده ، وقبض على القصور ، وسلمها إلى الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى وجعله زمامها ، فضيَّق على أهل القصر وصار العاضد معتقلا تحت يده ، وأبطل من الأذان « حى على خير العمل » ، وأزال شعار الدولة ، وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد ، فمرض [العاضد] ومات وعمره إحدى وعشرون سنة إلا عشرة أيام : منها فى الخلافة إحدى عشرة سنة وستة أشهر وسبعة أيام ، — وذلك فى ليلة عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة — بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستضىء بالله[1] العباسى بثلاثة أيام ...

---

(١) فى الأصل : « للمستنجد العباسى » والصحيح ما ذكرناه .

وكان [العاضد] كريماً لين الجانب مرت به مخاوف وشدائد ، وهو
(١٧٦) آخر الخلفاء الفاطميين بمصر ؛ وكانت مدتهم بالمغرب ومصر —
منذ قام عبيد الله المهدى إلى أن مات العاضد — مائتى سنة واثنتين وسبعين
سنة وأياماً ، بالقاهرة منها مائتان وثمانى سنين .

فسبحان الباقى

الملحق الثانى

العزيز بالله أبو منصور[1] نزار

(عن الخطط ، ج ٤ ص ٦٦ — ٦٧)

(٦٦) ابن المعز لدين الله أبى تميم معد ، ولد بالمهدية من بلاد إفريقية فى يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، وقدم مع أبيه إلى القاهرة وولى العهد ، فلما مات المعز لدين الله أُقيم من بعده فى الخلافة يوم الرابع عشر[2] من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة ، فأذعن له سائر عساكر أبيه واجتمعوا عليه ، وسيَّر بذهب إلى بلاد المغرب فُرِّق فى الناس ، وأقرَّ يوسف بن بُلكين على ولاية إفريقية ؛ وخُطب له بمكة ؛ ووافى الشام عسكر القرامطة فصاروا مع أفتكين التركى وقوى بهم ، وساروا إلى الرملة وقاتلوا عساكر العزيز بيافا ، فبعث العزيز جوهراً القائد بعساكر كثيرة ، وملك الرملة وحاصر دمشق مدةً ، ثم رحل عنها بغير طائل ، فأدركه القرامطة وقاتلوه بالرملة وعسقلان نحو سبعة عشر شهراً ، ثم خلص من تحت سيوف أفتكين وسار إلى العزيز فوافاه وقد برز من القاهرة

---

(١) فى الأصل . «أبو النصر» .

(٢) فى : (أبن خلكان ، ج ٣ ، ص ٥٣) أنه كان يوم الجمعة الحادى عشر .

فسار معه ، ودخل العزيز إلى الرملة ، وأسر أفتكين فى المحرم سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، فأحسن إليه وأكرمه إكراما زائداً . فكتب إليه الشريف أبو إسماعيل إبراهيم الرئيس يقول : « يا مولانا لقد استحق هذا الكافر كل عذاب والعجب من الإحسان إليه » ، فلما لقيه قال : « يا إبراهيم ، قرأت كتابك فى أمر أفتكين ، وأنا أخبرك : اعلم أنا قد وعدناه الإحسان والولاية ، فلما قبل وجاء إلينا نصب فازاته(١) وخيامه حذاءنا ، وأردنا منه الانصراف فلج وقاتل ، فلما ولى منهزما وسرت إلى فازاته ودخلتها سجدت لله شكراً وسألته أن يفتح لى بالظفر به ، فجىء به بعد ساعة أسيراً ، أترى يليق به غير الوفاء ؟ » .

ولما وصل العزيز إلى القاهرة اصطنع أفتكين وواصله بالعطايا والخلع ، حتى لقد قال : « احتشمت من ركوبى مع الخليفة مولانا العزيز بالله ونظرى إليه بما غمرنى من فضله وإحسانه » . فلما بلغ العزيز ذلك قال لعمه حيدرة : « يا عم : أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرةً ، وأرى عليهم الذهب والفضة والجواهر ، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار ، وأن يكون ذلك كله من عندى » .

ومات [العزيز] بمدينة بلبيس من مرض طويل بالقولنج والحصاة فى اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين فحمل إلى (٦٧) القاهرة ، ودفن بتربة القصر مع آبائه ، وكانت مدة خلافته بعد أبيه المعز إحدى

---

(١) الفازة — والجمع فاز لافازات كما ورد هنا — بناء من خرق تبنى فى العساكر . (اللسان) .

وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً ؛ ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما .

وكان نقش خاتمه : « بنصر العزيز الجبار ، ينتصر الإمام نزار » . ولما مات وحضر الناس إلى القصر للتعزية أفحموا عن أن يوردوا فى ذلك المقام شيئاً ، ومكثوا مطرقين لا ينبسون ، فقام صبى من أولاد الأمراء الكنانيين وفتح باب التعزية وأنشد :

انظر إلى العلياء كيف تُضام ومآتم الأحساب كيف تُقام
خبرتنى ركب الركاب ولم يدع للسفر وجه ترحل فأقاموا

فاستحسن الناس إيراده ، وكأنه طرق لهم كيف يوردون المراثى ، فنهض الشعراء والخطباء حينئذ وعزوا ، وأنشد كل واحد ما عمل فى التعزية .

وخلّف من الأولاد ابنه المنصور — وولى الخلافة من بعده — وابنةً تدعى سيدة الملك . وكان أسمر طوالا ، أصهب الشعر ، أعين أشهل ، عريض المنكبين ، شجاعا كريماً ، حسن العفو [عند] [1] القدرة ، لا يعرف سفك الدماء البتة مع حسن الخلق والقرب من الناس ، والمعرفة بالخيل وجوارح الطير ، وكان محباً للصيد ، مغرى به ، حريصاً على صيد السباع .

ووزر له : يعقوب بن كلس اثنتى عشرة سنة وشهرين وتسعة عشر يوما ، ثم من بعده على بن عمر العداس سنة واحدة ، ثم أبو الفضل جعفر ابن الفرات سنة ، ثم أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيار سنة وثلاثة

---

(١) فى الأصل : « والقدرة » والتصحيح عن . (ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٥٣) .

أشهر ، ثم أبو محمد بن عمّار شهرين ، ثم الفضل بن صالح الوزيرى أياماً ، ثم عيسى بن نسطوروس سنة وعشرة أشهر .

وكانت قضاته : أبو طاهر محمد بن أحمد ، ثم أبو الحسن على بن النعمان ، ثم أبو عبد الله محمد بن النعمان .

وخرج إلى السفر أولاً فى صفر سنة سبع وستين وعاد من العباسية ، وخرج ثانياً وظفر بأفتكين ، وخرج ثالثاً فى صفر سنة اثنتين وسبعين ، ورجع بعد شهر إلى قصره بالقاهرة ، وخرج رابعاً فى ربيع الأول سنة أربع وستين فنزل مُنْيَة الأَصْبَغ(١) وعاد بعد ثمانية أشهر واثنى عشر يوما ، وخرج خامساً فى عاشر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين فأقام مبرزاً أربعة عشر شهراً وعشرين يوما ، ومات فى هذه الخرجة ببلبيس .

وهو أول من اتخذ من أهل بيته وزيراً أثبت اسمه على الطرز(٢) وقرن

---

(١) عرفها ياقوت بأنها فى شرقى مصر وأنها تنسب إلى الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان أخى عمر بن عبد العزيز بن مروان .

(٢) « الطراز كلمة إيرانية معربة كانت تعنى المدبج (البرودرى) ، ثم أطلقت على الرداء المحلى بالمدبج إذا كانت تلك الحلية أشرطة من الكتابة ، وأخيراً صارت تطلق على المصنع الذى تطرز فيه هذه الأشرطة . ولقد كان من عادة ملوك إيران قبل الإسلام أن يزينوا ملابسهم بصور الملوك وبأشكال معينة تمييزاً لها عن غيرها وإشعارا بما للابسها من السلطان ، ويتخذون ذلك شعاراً لهم يختصون به دون سواهم ، ... ولقد ورث المسلمون عنهم هذه العادة ولكنهم اعتاضوا عن الصور والرسوم بكتابة أسماء خلفائهم مصحوبة بصيغة خاصة من صيغ الدعاء أو المدح ، وقد كانت هذه الكتابة تنسج فى لحمة الثوب وسداه ، أو تطرز بعد نسجه بخيوط من الذهب أو الفضة أو الحرير الذى يختلف فى لونه عن لون الثوب المزركشة عليه ، وقد اتخذ الخلفاء ذلك حقاً لهم وحدهم اختصوا به أنفسهم دون غيرهم ، واعتبروه من علامات سلطانهم كذكر اسمهم فى خطبة الجمعة والعيدين أو نقشه على السكة سواء بسواء ، واعتنوا به عناية خاصة =

اسمه باسمه ، وأول من لبس منهم الخفين والمنطقة ، وأول من اتخذ منهم الأتراك واصطنعهم وجعل منهم القواد ؛ وأول من رمى منهم بالنُّشّاب[١] ، وأول من ركب منهم بالذؤابة الطويلة والحنك[٢] ، وضرب بالصوالجة ، ولعب بالرمح ، وأول من عمل مائدة فى الشرطة السفلى فى شهر رمضان يفطر عليها أهل الجامع العتيق ، وأقام طعاماً فى جامع القاهرة لمن يحضر فى رجب وشعبان ورمضان ، واتخذ الحمير لركوبه إياها .

وكانت أمه أم ولد اسمها درزاره ، وكان يضرب بأيامه المثل فى الحسن ، فإنها كانت كلها أعياداً وأعراساً لكثرة كرمه ومحبته للعفو واستعماله لذلك ؛ ولا أعلم له بمصر من الآثار غير تأسيس الجامع الحاكمى[٣] وما عدا ذلك[٤] فذهب ومُحى رسمه .

= فأنشأوا فى قصورهم — فى أيام عظمتهم — مناسج حكومية كانوا يعهدون إليها بعمل تلك الثياب وأطلقوا عليها إسم « دور الطراز » (مرزوق ، الزخرفة المنسوجة ، ص ٢١ وما بعدها ؛ وما به من مراجع) .

(١) النشاب : السهام .

(٢) الذؤابة : العذبة ، وقال صاحب صبح الأعشى (ج ٣ ، ص ٤٧٧) فى تعريفه للأستاذين المحنكين : « وهم الذين يدورون عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة » .

(٣) بدئ بتأسيس هذا الجامع فى عهد العزيز فى رمضان سنة ٣٨٠ ، ثم أكمل بناءه ابنه الحاكم بأمر الله . أنظر تفصيل الحديث عنه فى : (المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٥٥ — ٦١) .

(٤) ذكر (ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٥٣) — نقلا عن المسبحى — المنشآت الأخرى التى بناها العزيز فقال : « وفى أيامه بنى قصر البحر بالقاهرة الذى لم يبن مثله فى شرق ولا غرب ، وقصر الذهب ، وجامع القرافة ، والقصور بعين شمس » .

الملحق الثالث

الحاكم بأمر الله

(عن الخطط ج ٤ ، ص ٦٨ — ٧٤)

(٦٨) أبو على منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معد ، ولد بالقصر من القاهرة المعزية ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة فى الساعة التاسعة والطالع من برج السرطان سبع وعشرون درجة ، وسُلِّم عليه بالخلافة فى مدينة بلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء عشرى شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وسار إلى القاهرة فى يوم الأربعاء بسائر أهل الدولة ، والعزيز فى قبة على ناقة بين يديه ، وعلى الحاكم درّاعة مصمت وعمامة فيها الجوهر و بيده رمح وقد تقلد السيف ، ولم يُفقد من جميع ما كان مع العساكر شىء ، ودخل القصر قبل صلاة المغرب وأخذ فى جهاز أبيه العزيز بالله ودفنه .

ثم بكر سائر أهل الدولة إلى القصر يوم الخميس ، وقد نصب للحاكم سرير من ذهب على مرتبة مذهبة فى الإيوان (١) الكبير وخرج من قصره

(١) ذكر (المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٢٢) أن هذا الإيوان بناه الخليفة العزيز بالله سنة ٣٦٩ ، وأن الخلفاء كانوا يجلسون به يومى الاثنين والخميس . وفيه كان يمد سماط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر ، وبه كان يعمل الاجتماع والخطبة يوم عيد الغدير وبجانبه كانت الدواوين .

راكباً وعليه معممة الجوهر ، والناس وقوف فى صحن الإيوان ، فقبَّلوا له الأرض ، ومشوا بين يديه حتى جلس على السرير ، فوقف من رسمه الوقوف وجلس من له عادة أن يجلس ، وسلَّم الجميع عليه بالإمامة واللقب الذى اختير وهو الحاكم بأمر الله .

وكان سنه يومئذ إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وستة أيام ، فجعل أبا محمد الحسن بن عمَّار الكندى واسطة ولقب بأمين الدولة ، وأسقط مكوساً كانت بالساحل ، ورد إلى الحسين بن جوهر القائد البريد والإنشاء فكان يخلفه ابن سورين ، وأقر عيسى بن نسطورس على ديوان الخاص وقلَّد سليمان بن جعفر بن فلاح الشام ، فخرج بنجوتكين من دمشق وسار منها لمدافعة سليمان بن جعفر بن فلاح ، فبلغ الرملة وانضم إليه ابن الجراح الطائى فى كثير من العرب ، وواقع ابن فلاح فانهزم وفر ، ثم أسر فحمل إلى القاهرة وأكرم .

واختلف أهل الدولة على ابن عمار ووقعت حروب آلت إلى صرفه عن الوساطة وله فى النظر أحد عشر شهراً غير خمسة أيام ، فلزم داره وأطلقت له رسوم وجرايات ، وأقيم الطواشى برجوان الصقلى مكانه فى الوساطة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، فجعل كاتبه فهد بن إبراهيم يوقع عنه ، ولقب بالرئيس ؛ وصرف سليمان بن فلاح عن الشام بجيش ابن الصمصامة ؛ وقلد فحل بن إسماعيل الكتامى مدينة صور ، وقلد يانس الخادم برقة ، وميسوراً الخادم طرابلس ، ويمناً الخادم غزة وعسقلان ، فواقع جيش

الروم على فاهية ، وقتل منهم خمسة آلاف رجل ، وغزا إلى أن دخل مرعش ؛ وقلد وظيفة قضاء القضاة أبا عبد الله الحسين بن على بن النعمان فى صفر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة بعد موت قاضى القضاة محمد بن النعمان ؛ وقتل الأستاذ برجوان لأربع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وله فى النظر سنتان وثمانية أشهر غير يوم واحد ؛ ورد النظر فى أمور الناس وتدبير المملكة والتوقيعات إلى الحسين بن جوهر ولقب بقائد القواد ، فخلفه الرئيس بن فهد .

واتخذ الحاكم مجلساً فى الليل يحضر فيه عدة من أعيان الدولة ثم أبطله ، ومات جيش بن (٦٩) الصمصامة فى ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة ، فوصل ابنه بتركته إلى القاهرة ومعه درج بخط أبيه فيه وصية وثبت بما خلفه مفصلا ، وأن ذلك جميعه لأمير المؤمنين الحاكم بأمر الله لا يستحق أحد من أولاده منه درهما ، وكان مبلغ ذلك نحو المائتى ألف دينار ما بين عين ومتاع ودواب ، قد أوقف جميع ذلك تحت القصر ، فأخذ الحاكم الدرج ونظره ثم أعاده إلى أولاد جيش وخلع عليهم ، وقال لهم بحضرة وجوه الدولة : « قد وقفت على وصية أبيكم — رحمه الله — وما وصى به من عين ومتاع فخذوه هنيئاً مباركا لكم فيه » . فانصرفوا بجميع التركة .

وولى دمشق فحل بن تميم ومات بعد شهور ، فولى على بن فلاح ، ورد النظر فى المظالم لعبد العزيز بن محمد بن النعمان ، ومنع الناس كافة من مخاطبة أحد أومكاتبته بسيدنا ومولانا إلا أمير المؤمنين وحده ، وأبيح دم من خالف ذلك ، وفى شوال قتل ابن عمار .

وفى سنة إحدى وتسعين واصل الحاكم الركوب فى الليل كل ليلة ، فكان يشق الشوارع والأزقة ، وبالغ الناس فى الوقود والزينة وأنفقوا الأموال الكثيرة فى المآكل والمشارب والغناء واللهو ، وكثر تفرجهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحد ، فمنع النساء من الخروج فى الليل ، ثم منع الرجال من الجلوس فى الحوانيت .

وفى رمضان سنة اثنتين وتسعين قلد تموصلت بن بكار دمشق عوضاً عن ابن فلاح .

وابتدأ فى عمارة جامع راشدة (١) فى سنة ثلاث وتسعين ، وقتل فهد ابن ابراهيم وله منذ نظر فى الرياسة خمس سنين وتسعة أشهر و إثنا عشر يوما فى ثامن جمادى الآخرة منها ، وأقيم فى مكانه علىّ بن عمر العداس ، وسار الأمير ما روح لإمارة طبرية ، ووقع الشروع فى إتمام الجامع (٢) خارج باب الفتوح ، وقطع الحاكم الركوب فى الليل ، ومات تموصلت ، فولى دمشق بعده مفلح اللحيانى الخادم ، وقتل على بن عمر العداس والأستاذ زيدان الصقلى وعدة كثيرة من الناس .

وقلد إمارة برقة صندل الأسود فى المحرم سنة أربع وتسعين ، وصرف

---

(١) ينسب هذا الجامع إلى خطة راشدة حيث بنى ، وراشدة إحدى القبائل العربية التى نزلت بالفسطاط وقت الفتح ، وقد نقل المقريزى عن المسبحى أن هذا الجامع بدئ فى بنائه فى سابع عشر ربيع الآخر سنة ٣٩٣ ، وكان مكانه كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى ، فبنى بالطوب ثم هدم وزيد فيه وبنى بالحجر وأقيمت به الجمعة ، ثم ذكر الكثير من أخباره فى عهد الحاكم ؛ انظر : (الخطط ، ج ٤ ، ص ٦٣ — ٦٥) .

(٢) هو المعروف بجامع الحاكم ، بدأ بناءه العزيز بالله ، وأتمه الحاكم ، انظر ما فات ، ص ٢٩٧ .

الحسين بن النعمان عن القضاء فى رمضان منها ، وكانت مدة نظره فى القضاء خمس سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما ، وإليه كانت الدعوة أيضاً ، فيقال له قاضى القضاة وداعى الدعاة ، وقلد عبد العزيز بن محمد بن النعمان وظيفة القضاء والدعوة مع ما بيده من النظر فى المظالم .

وفى سنة خمس وتسعين أمر النصارى واليهود بشد الزنار ولبس الغيار ، ومنع الناس من أكل الملوخية والجرجير والتوكلية والدلينسى وذبح الأبقار السليمة من العاهة إلا فى أيام الأضحية ، ومنع من بيع الفقاع وعمله البتة ، وأن لا يدخل أحد الحمام إلا بمئزر ، وأن لا تكشف امرأة وجهها فى طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج ، ولا يباع شىء من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين ، وتتبع الناس فى ذلك كله وشدّد فيه ، وضرب جماعة بسبب مخالفتهم ما أمروا به ونهوا عنه مما ذكر ، وخرجت العساكر لقتال بنى قرة أهل البحيرة ، وكتب على أبواب المساجد وعلى الجوامع بمصر وعلى أبواب الحوانيت والحجر والمقابر سب السلف (٧٠) ولعنهم وإكراه الناس على نقش ذلك وكتابته بالأصباغ فى سائر المواضع . وأقبل الناس من سائر النواحى فدخلوا فى الدعوة ، وجُعل لهم يومان فى الأسبوع ، وكثر الأزدحام ومات فيه جماعة . ومنع الناس من الخروج بعد المغرب فى الطرقات ، وأن لا يظهر أحد بها لبيع ولا شراء ، فخلت الطرق من المارة ، وكسرت أوانى الخمور وأريقت فى سائر الأماكن ، واشتد خوف الناس بأسرهم ، وقويت الشناعات وزاد الاضطراب ، فاجتمع كثير من الكتاب وغيرهم تحت القصر وضجوا يسألون العفو ، فكتب عدة أمانات لجميع

الطوائف من أهل الدولة وغيرهم من الباعة والرعية ؛ وأمر بقتل الكلاب فقتل منها ما لا ينحصر حتى فقدت .

وفتحت دار الحكمة[1] بالقاهرة ، وحمل إليها الكتب ، ودخل إليها الناس ، فاشتد الطلب على الركابية والمستخدمين فى الركاب وقتل منهم كثير ثم عفى عنهم وكتب لهم أمان . ومنع الناس كافة من الدخول من باب القاهرة ، ومنع الناس من المشى ملاصق القصر ، وقتل قاضى القضاة حسين بن النعمان ، وأحرق بالنار ، وقتل عدداً كثيراً من الناس ضربت أعناقهم . وفى سنة ست وتسعين خرج أبو ركوة يدعو إلى نفسه ، وادعى أنه من بنى أمية ، فقام بأمره بنو قرة لكثرة ما أوقع بهم الحاكم غير مرة وغنم ما معهم ، فخرج لقتاله القائد فضل بن صالح فى ربيع الأول ، وواقعه فانهزم منه فضل ، واشتد الاضطراب بمصر ، وتزايدت الأسعار واشتد الاستعداد لمحاربة أبى ركوة ، ونزلت العساكر بالجيزة ، وسار أبو ركوة فواقعه القائد فضل وقتل عدة ممن معه ، فعظم الأمر واشتد الخوف ، وخرج الناس فباتوا فى الشوارع خوفاً من هجوم عساكر أبى ركوة ، واستمرت الحروب فانهزم أبو ركوة فى ثالث ذى الحجة إلى الفيوم ، وتبعه القائد فضل بعد أن بعث إلى القاهرة بستة آلاف رأس ومائة أسير إلى أن قبض عليه ببلاد النوبة ، وأحضر إلى القاهرة فقتل بها ، وخُلع على القائد فضل وسيِّرت البشائر بقتله إلى الأعمال .

---

(١) دار الحكمة أو دار العلم أنشأها الحاكم فى العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ . انظر أخبارها فى تفصيل فى : (المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ — ٣٣٧ ، ٣١٣) .

وفى سنة سبع وتسعين أمر بمحو سب السلف فمحى سائر ما كتب من ذلك ، وغلت الأسعار لنقص ماء النيل ، فإنه بلغ ستة عشر أصبعاً من سبعة عشر ذراعاً ثم نقص ؛ ومات بنجوتكين فى ذى الحجة .

واشتد الغلاء فى سنة ثمان وتسعين ، ووُلى علىّ بن فلاح دمشق ، وقُبض جميع ما هو محبس على الكنائس وجُعل فى الديوان ، وأُحرق عدة صلبان على باب الجامع بمصر ، وكُتب إلى سائر الأعمال بذلك .

وفى سادس عشر رجب قرر مالك بن سعيد الفارقى فى وظيفة قضاء القضاة ، وتسلم كتب الدعوة التى تُقرأ بالقصر على الأولياء ، وصُرف عبد العزيز بن النعمان عن ذلك ؛ وصرف قائد القواد الحسين بن جوهر عما كان يليه من النظر فى سابع شعبان ، وقرر مكانه صالح بن علىّ الروذبارى ، وقرر فى ديوان الشام مكانه أبو عبد الله الموصلى الكاتب ، وأمر حسين ابن جوهر وعبد العزيز بلزوم دورهما ، ومنعا من الركوب وسائر أولادهما ، ثم عفا عنهما بعد أيام (٧١) وأمر بالركوب . وتوقفت زيادة النيل فاستسقى الناس مرتين . وأمر بإبطال عدة مكوس ، وتعذر وجود الخبز لغلائه وقلته ، وفتح الخليج فى رابع توت ، والماء على خمسة عشر ذراعاً فاشتد الغلاء .

وفى تاسع المحرم — وهو نصف توت نقص ماء النيل ولم يوف ستة عشر ذراعاً ، فمنع الناس من التظاهر بالغناء ومن ركوب البحر للتفرج ، ومنع من بيع المسكرات ، ومنع الناس كافة من الخروج قبل الفجر وبعد العشاء إلى الطرقات ، واشتد الأمر على الكافة لشدة ما داخلهم من الخوف مع شدة الغلاء وتزايد الأمراض فى الناس والموت .

فلما كان فى رجب انحلت الأسعار وقرئ سجل فيـه : « يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون ، وصلاة الخمسين للذى جاءهم فيها يصلون ، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم عنها ولا هم منها يدفعون ، يخمس فى التكبير على الجنائز المخمسون ، ولا يمنع من التربيع عليها المربعون ، يؤذن بحيى على خير العمل المؤذنون ، ولا يؤذى من بها لا يؤذنون ، ولا يسب أحد من السلف ، ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف ، والحالف منهم بما حلف ، لـكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده » .

ولقب صالح بن على الروذبارى بثقة ثقات السيف والقلم ، وأعيد القاضى عبـد العزيز بن النعمان إلى النظر فى المظالم ، وتزايدت الأمراض ، وكثر الموت ، وعزت الأدوية ، وأعيدت المـكوس التى رفعت ، وهدمت كنائس كانت بطريق المقس ، وهدمت كنيسة كانت بحارة الروم من القاهرة ونهب ما فيها ، وقتل كثير من الخدم ومن الـكتاب ومن الصقالبة بعدما قطعت أيدى بعضهم من الـكتاب بالشطور على الخشبة من وسط الذراع ؛ وقتل القائد فضل بن صالح فى ذى القعدة ، وفى حادى عشر صفر صرف صالح ابن على الروذبارى ، وقرر مكانه ابن عبدون النصرانى الـكاتب ، فوقع عن الحاكم ونظر وكتب بهدم كنيسة قمامة ، وجُدِّد ديوان يقال له الديوان المفرد (١) برسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم ، وكثرت الأمراض ،

---

(١) هـذا نص هام لتعريف « ديوان المفرد » فى العهد الفاطمى ، وقد انفرد بذكره المقريزى ، فقد كان بمصر فى عهد المماليك ديوان يحمل هذا الاسم ، عرفه =

وعزت الأدوية ، وشُهر جماعة وجد عندهم فقاع وملوخية ودلينس وضربوا ، وهدم دائر القصر ، واشتد الأمر على النصارى واليهود فى إلزامهم لبس الغيار ، وكتب إبطال أخذ الخمس (١) والنجاوى والفطرة .

وفر الحسين بن جوهر وأولاده ، وعبد العزيز بن النعمان ، وفرّ أبو القاسم الحسين بن المغربى ، وكتب عدة أمانات لعدة طوائف من شدة خوفهم ، وقطعت قراءة مجالس الحكمة بالقصر ، ووقع التشديد فى المنع من المسكرات ، وقتل كثير من الكتاب والخدام والفراشين وقُتل صالح بن على الروذبارى فى شوال .

وفى رابع المحرم سنة إحدى وأربعمائة صرف الكافى بن عبدون عن النظر والتوقيع ، وقرر بدله أحمد بن محمد القشورى الكاتب فى الوساطة

= القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٣) بقوله : « هو ديوان أحدثه الظاهر برقوق فى سلطنته ، وأفرد له بلاداً ، وأقام له مباشرين ... ورتب عليه نفقة مماليكه من جامكيات وعليق وكسوة وغير ذلك » ثم عقب على ذلك بقوله : « وليس هو المخترع لهذا الاسم بل رأيت فى ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل على أنه كان للخليفة ديوان يسمي « الديوان المفرد » ، والجزء الأخير من هذا النص غير صحيح ، فالديوان المفرد الفاطمى لم يكن مفرداً للخليفة كما كان لاحقه مفرداً للسلطان فى العهد المملوكى ، وإنما كان كما ذكر فى المتن هنا بوضوح « برسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم » . انظر أيضاً : (Demombynes, La Syrie a l'Epoque des Mamlouks, Introd. P. XXXIII.) والمقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٣) .

(١) الخمس هو الضريبة التى كانت تحصل بثغور مصر على البضائع التى كانت تجلبها سفن أهل الذمة من الفرنج والروم ، والمقرر شرعا أن يحصل عليها العشر ، وللإمام أن يزيد فى المأخوذ إلى ضعف العشر أى الخمس أو ينقصه إلى نصف العشر ، غير أن ما جرت به العادة فى مصر فى العصور الوسطى كان تحصيل الخمس ، وهو ما يقابل الضريبة الجمركية الآن ، مع الفارق وهو أن هذه الضريبة تؤخذ الآن على جميع البضائع للمسلمين وغير المسلمين . انظر : (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٩) .

والسفارة ، وحضر الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان إلى القاهرة فأكرما ، ثم صُرف ابن القشورى بعد عشرة أيام من استقراره ، وضربت عنقه ؛ وقرر بدله زرعة بن عيسى بن نسطورس الكاتب النصرانى ، ولُقب (٧٢) بالشافى ، ومنع الناس من الركوب فى المراكب فى الخليج ، وسدت أبواب الدور التى على الخليج والطاقات المطلة عليه ، وأضيف إلى قاضى القضاة مالك بن سعيد النظر فى المظالم ، وأعيدت مجالس الحكمة وأخذ مال النجوى ، وقتل ابن عبدون وأخذ ماله ، وضرب جماعة وشهروا من أجل بيعهم الملوخية والسمك الذى لا قشر له و بسبب بيع النبيذ ؛ وقُتل الحسين ابن جوهر وعبد العزيز بن النعمان فى ثانى عشرة جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعمائة ، وأحيط بأموالهما ، وأبطلت عدة مكوس ، ومنع الناس من الغناء واللهو ، ومن بيع المغنيات ، ومن الاجتماع بالصحراء .

وفى هذه السنة خلع حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح طاعة الحاكم ، وأقام أبا الفتوح حسين بن جعفر الحسنى أمير مكة خليفة ، وبايعه ودعا الناس إلى طاعته ومبايعته ، وقاتل عساكر الحاكم .

وفى سنة اثنتين وأربعمائة منع من بيع الزبيب ، وكوتب بالمنع من حمله ، وألقى فى بحر النيل منه شىء كثير ، وأحرق شىء كثير ، ومنع النساء من زيارة القبور ، فلم يُر فى الأعياد بالمقابر امرأة واحدة ؛ ومنع من الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج ، ومنع من بيع العنب إلا أربعة أرطال فما دونها ، ومنع من عصره ، وطرح كثير منه وديس فى الطرقات ، وغرق

كثير منه فى النيل ومنع من حمله ، وقطعت كروم الجيزة كلها ، وسُيِّر إلى الجهات بذلك .

وفى سنة ثلاث وأربعمائة نزع السعر ، وازدحم الناس على الخبز ، وفى ثانى ربيع الأول منها هلك عيسى بن نسطورس ، فأمر النصارى بلبس السواد وتعليق صلبان الخشب فى أعناقهم ، وأن يكون الصليب ذراعاً فى مثله ، وزنته خمسة أرطال ، وأن يكون مكشوفاً بحيث يراه الناس ، ومُنعوا من ركوب الخيل ، وأن يكون ركوبهم البغال والحمير بسروج الخشب والسيور السود بغير حلية ، وأن يَشدُّوا الزنانير ، ولا يستخدموا مسلماً ، ولا يشتروا عبداً ولا أمة ، وتُتبعت آثارهم فى ذلك ، فأسلم منهم عدة .

وقرر حسين بن طاهر الوزان فى الوساطة والتوقيع عن الحاكم فى تاسع عشرى من ربيع الأول منها ، ولُقب أمين الأمناء ، ونقش الحاكم على خاتمه : « بنصر الله العظيم الولى ، ينتصر الإمام أبو على » ، وضرب جماعة بسبب اللعب بالشطرنج ، وهُدمت الكنائس ، وأخذ جميع ما فيها وما لها من الرباع ، وكتب بذلك إلى الأعمال فهدمت بها ، وفيها لحق أبو الفتح بمكة ودعا للحاكم ، وضرب السكة باسمه .

وأمر الحاكم أن لا يُقبل أحد له الأرض ، ولا يقبل ركابه ولا يده عند السلام عليه فى المواكب ، فإن الانحناء إلى الأرض لمخلوق من صنيع الروم ، وأن لا يزاد على قولهم : « السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » ، ولا يصلى أحد عليه فى مكاتبة ولا مخاطبة ، ويقتصر فى مكاتبته

على : « سلام الله وتحياته ونوامى بركاته على أمير المؤمنين » ، ويدعى له بما يتفق من الدعاء لا غير ، فلم يقل الخطباء يوم الجمعة سوى : « اللهم صلّ على محمد المصطفى ، وسلم على أمير المؤمنين على المرتضى ، اللهم وسلم على أمراء المؤمنين آباء أمير المؤمنين ، اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخليفتك » ومنع من ضرب الطبول والأبواق حول القصر ، فصاروا (٧٣) يطوفون بغير طبل ولا بوق ؛ وكثرت إنعامات الحاكم ، فتوقف أمين الأمناء حسين بن طاهر الوزان فى إمضائها ، فكتب إليه الحاكم بخطه بعد البسملة : « الحمد لله كما هو أهله :

أصبحت لا أرجو ولا أتقى   إلا إلهى وله الفضل
جدى نبىّ وإمامى أبى   ودينى الإخلاص والعدل

المال مال الله عز وجل ، والخلق عباد الله ، ونحن أمناؤه فى الأرض ، أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها ، والسلام » .

وركب الحاكم يوم عيد الفطر إلى المصلى بغير زينة ولا جنائب ولا أبهة سوى عشرة أفراس تقاد بسروج ولجم محلاة بفضة بيضاء خفيفة ، وبنود ساذجة ، ومظلة بيضاء بغير ذهب ، عليه بياض بغير طرز ولا ذهب ولا جوهر فى عمامته ، ولم يُفرش المنبر ، ومُنع الناس من سب السلف ، وضرب فى ذلك وشهّر ، وصلى صلاة عيد النحر كما صلى صلاة عيد الفطر من غير أبهة ، ونحر عنه عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدى ، وأكثر الحاكم من الركوب إلى الصحراء بحذاء فى رجله وفوطة على رأسه .

وفى سنة أربع وأربعمائة ألزم اليهود أن يكون فى أعناقهم جرس إذا

دخلوا الحمام ، وأن يكون فى أعناق النصارى صلبان ، ومنع الناس من الكلام فى النجوم ، وأقيم المنجمون من الطرقات ، وطُلبوا فتغيبوا ونفوا ، وكثرت هِبات الحاكم وصدقاته وعتقه ، وأمر اليهود والنصارى بالخروج من مصر إلى بلاد الروم وغيرها ؛ وأقيم عبد الرحيم بن الياس ولى العهد(١) ، وأمر أن يقال فى السلام عليه : « السلام على ابن عم أمير المؤمنين ، ولى عهد المسلمين » . وصار يجلس بمكان فى القصر ؛ وصار الحاكم يركب بدراعة صوف بيضاء ، ويتعمم بفوطة ، وفى رجله حذاء عربى بقبالين ، وعبد الرحيم يتولى النظر فى أمور الدولة كلها ، وأفرط الحاكم فى العطاء ورد ما كان أخذ من الضياع والأملاك إلى أربابها .

وفى ربيع الآخر أمر بقطع يدى أبى القاسم الجرجانى ، وكان يكتب للقائد غين ، ثم قطع يد غين فصار مقطوع اليدين ، وبعث إليه الحاكم بعد قطع يديه بألف من الذهب والثياب ، ثم بعد ذلك أمر بقطع لسانه

---

(١) من مبادئ الشيعة الأساسية أن الإمامة صفة خاصة تنتقل من الأب للابن بالوراثة ، لهذا سلمت الدولة الفاطمية من الفتن التى يولدها النضال فى سبيل العرش ، فقد كان كل خليفة فاطمى يوصى بالإمامة لابنه ، وقد اطرد هذا النظام طول عهدهم ، ولم يخالف إلا ثلاث مرات : الأولى حين أوصى الحاكم بولاية العهد لابن عم له ، هو المذكور هنا بالمتن ، واسمه عبد الرحيم — ويقال عبد الرحمن — بن الياس ، ويقال ابن أحمد ، وقد دبرت ست الملك إحضاره من الشام بعد قتل الحاكم ، وسجنته بالقصر ، ومهدت بذلك السبيل لتولية الظاهر بن الحاكم الخلافة ، ولما أحست ست الملك قرب أجلها خافت على الظاهر من ولى العهد السجين فأرسلت إليه من قتله فى السجن ، وقيل مات منتحراً ؛ انظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٨٩ ، ١٩٣ — ١٩٤) وخولف هذا المبدأ للمرة الثانية حين مات الآمر قبل أن يعقب فانتقلت الخلافة إلى ابن عمه الحافظ ، وللمرة الثالثة بعد الفائز ، فقد توفى وعنده ١١ سنة أى قبل أن يتزوج فخلفه ابن عمه العاضد .

فقطع ، وأبطل عدة مكوس ، وقتل الكلاب كلها ، وأكثر من الركوب في الليل ، ومنع النساء من المشى فى الطرقات فلم تُر امرأة فى طريق البتة ، وأغلقت حماماتهن ، ومنع الأساكفة من عمل خفافهن ، وتعطلت حوانيتهم واشتدت الإشاعة بوقوع السيف فى الناس فتهاربوا ، وغُلقت الأسواق فلم يُبع شىء ، ودُعى لعبد الرحيم بن الياس على المنابر ، وضربت السكة باسمه بولاية العهد .

وفى سنة خمس وأربعمائة قُتل مالك بن سعيد الفارقى فى ربيع الآخر ، وكانت مدة نظره فى قضاء القضاة ست سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، وبلغ إقطاعه فى السنة خمسة عشر ألف دينار ؛ وتزايد ركوب الحاكم حتى كان يركب فى كل يوم عدة مرات ، واشترى الحمير وركبها بدل الخيل .

وفى جمادى الآخرة منها قتل الحسين بن طاهر الوزان ، فكانت مدة نظره فى الوساطة سنتين وشهرين ، وعشرين يوما ، فأمر أصحاب (٧٤) الدواوين بلزوم دواوينهم ؛ وصار الحاكم يركب حماراً بشاشية مكشوفة بغير عمامة ، ثم أقام عبد الرحيم بن أبى السيد الكاتب وأخاه أبا عبد الله الحسين فى الوساطة والسفارة ، وأقر فى وظيفة قضاء القضاة أحمد بن محمد بن أبى العوام .

وخرج الحاكم عن الحد فى العطاء حتى أقطع نواتية المراكب والمشاعلية وبنى قرة ، فمما أقطع الإسكندرية والبحيرة ونواحيها ، وقتل ابنى أبى السيد فكانت مدة نظرهما اثنين وستين يوما ؛ وقلد الوساطة فضل بن جعفر ابن الفرات ، ثم قتله فى اليوم الخامس من ولايته ، وغلب بنو قرة على

الإسكندرية وأعمالها ؛ وأكثر الحاكم من الركوب ، فركب فى يوم ست مرات ، مرة على فرس ، ومرة على حمار ، ومرة فى محفة تحمل على الأعناق ، ومرة فى عشارى(١) فى النيل بغير عمامة ؛ وأكثر من إقطاع الجند والعبيد الإقطاعات ، وأقام ذا الرياستين قطب الدولة أبا الحسن علىّ بن جعفر بن فلاح فى الوساطة والسفارة .

وولّى عبد الرحيم بن الياس دمشق ، فسار إليها فى جمادى الآخرة سنة تسع وأربعمائة فأقام فيها شهرين ، ثم هجم عليه قوم فقتلوا جماعة ممن عنده وأخذوه فى صندوق وحملوه إلى مصر ، ثم أعيد إلى دمشق فأقام بها إلى ليلة عيد الفطر وأخرج منها .

فلما كان لليلتين بقيتا من شوال سنة عشر وأربعمائة فُقِد الحاكم ،

---

(١) العشارى — ويقال العشيرى — نوع من السفن العربية القديمة ، وقد وصفه (عبد اللطيف البغدادى ، الإفادة والاعتبار ، ص ٥٤) وصفا دقيقا قال : « وأما سفنهم (أى المصريين) فكثيرة الأصناف والأشكال ، وأغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه « العشيرى » شكله شكل شبارة داخلة (وهى سفينة عراقية) إلا أنه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هنداما وشكلا ، قد سطح بألواح من خشب ثخينة محكمة ، وأخرج منها أفاريز كالرواشن نحو ذراعين ، وبنى فوق هذا السطح بيت من خشب ، وعقد عليه قبة ، وفتح له طاقات وروازن بأبواب إلى البحر من سائر جهاته ، ثم تعمل فى هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ، ثم يزوق بأصناف الأصباغ ، ويدهن بأحسن دهان ؛ وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالساً فى وسادته ، وخواصه حوله ، والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن ، وأطعمتهم وحوائجهم فى قعر المركب ، والملاحون تحت السطح أيضاً وفى باقى المركب يقذفون به ، لا يعلمون شيئا من أحوال الركاب ، ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم ، بل كل فريق بمعزل عن الآخر ، ومشغول بما هو بصدده ، وإذا أراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن أصحابه دخل المخدع ، وإذا أراد قضاء حاجته دخل المرحاض ... إلخ » هذا وقد فصلت الحديث عن هذا النوع فى كتابى الذى لم يطبع بعد ، وعنوانه : « معجم السفن العربية » .

وقيل إن أخته قتلته ، وليس بصحيح ؛ وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر ، وكانت مدة خلافته خمساً وعشرين سنة وشهراً ؛ وكان جواداً سفاكاً للدماء ، قتل عدداً لا يحصى ، وكانت سيرته من أعجب السير ، وخطب له على منابر مصر والشام وإفريقية والحجاز ، وكان يشتغل بعلوم الأوائل ، وينظر فى النجوم ، وعمل رصداً[١] ؛ واتخذ بيتاً فى المقطم ينقطع فيه عن الناس لذلك ، ويقال إنه كان يعتريه جفاف فى دماغه ، فلذلك كثر تناقضه وما أحسن ما قال عنه بعضهم : « كانت أفعاله لا تعلل ، وأحلام وساوسه لا تؤول » .

وقال المسبحى : « وفى المحرم سنة خمس عشرة وأربعمائة قُبض على رجل من بنى حسين ثار بالصعيد الأعلى ، فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله فى جملة أربعة أنفس تفرقوا فى البلاد ، وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم ، وقطعة من الفوطة التى كانت عليه ، فقيل له : « لِمَ قتلته ؟ » قال : « غيرة لله وللإسلام » ، فقيل له . « كيف قتلته ؟ » فأخرج سكيناً ضرب بها فؤاده فقتل نفسه ، وقال : « هكذا قتلته » ، فقُطع رأسه وأنفذ به إلى الحضرة مع ما وُجد معه » . وهذا هو الصحيح فى خبر قتل الحاكم لا ما تحكيه المشارقة فى كتبهم من أن أخته قتلته[٢] .

---

(١) جاء فى : (ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٥٨) : « أمر الحاكم ببناء مسجد بالشرق عند بقية بناء القصر المعروف ببليون (حصن بابليون) ... وأن يعمل فوقه رصد للكواكب وذلك فى رابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة ، فسار قاضى القضاة ابن سعيد ورتبه وابتدئ فى عمله على قرنة الجبل المعروف بسطح الجرف وعمل الرصد فوقه » هذا وقد نقل هذا الرصد الوزير المأمون بن البطائحى إلى باب النصر بالقاهرة .

(٢) قارن هذا بما جاء فى المراجع المختلفة ، وخاصة النجوم الزاهرة والوفيات لابن خلكان خاصاً بمقتل الحاكم .

الملحق الرابع

الآمر بأحكام الله

(عن : الخطط ، ج ٤ ص، ٧٧ — ٧٨)

(٧٧) أبو على المنصور بن المستعلى بالله أبى القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبى على منصور ، ولد يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة ، و بويع له بالخلافة يوم مات أبوه ، وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر وأيام ، فى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين ؛ أحضره الأفضل بن أمير الجيوش و بايع له ونصبه مكان أبيه ، ونعته بالآمر بأحكام الله ، وركب الأفضل فرساً وجعل فى السرج شيئاً وأركبه عليه لينمو شخص الآمر ، وصار ظهره فى حجر الأفضل ، فلم يزل تحت حجره حتى قتل الأفضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة ، فاستوزر بعده القائد أبا عبد الله محمد بن فاتك البطائحى ، ولقبه بالمأمون ، فقام بأمر دولته إلى أن قبض عليه فى ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فتفرغ الآمر لنفسه ، ولم يبق له ضد ولا مزاحم ، و بقى بغير وزير ، وأقام صاحبى ديوان : أحدهما جعفر بن عبد المنعم ، والآخر سامرى يقال له أبو يعقوب إبراهيم ، ومعهما مستوف يعرف بابن أبى نجاح ، كان راهباً ، ثم

تحكم هذا الراهب فى الناس ، وتمكن من الدواوين ، فابتدأ فى مطالبة النصارى ، وحقق فى جهاتهم الأموال ، وحملها أولاً فأولاً ، ثم أخذ فى مصادرة بقية المباشرين والمعاملين والضمناء والعمال[(١)] ، وزاد إلى أن عمَّ ضرره جميع الرؤساء والقضاة والكتاب والسوقة ، بحيث لم يخل أحد من ضرره ، فلما تفاقم أمره قبض عليه الآمر ، وضُرب بالنعال حتى مات بالشرطة فجر إلى كرسى الجسر ، وسُمِّر على لوح ، وطرح فى النيل ، وحذف حتى خرج إلى البحر الملح .

فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشر ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وثب جماعة على الآمر وقتلوه — كما ذكر عند خبر الهودج[(٢)] — وكان كريماً سمحاً إلى الغاية ، كثير النزهة ، محباً للمال والزينة ، وكانت أيامه كلها لهواً وعيشة راضية لكثرة عطائه وعطاء حواشيه ، بحيث لم يوجد بمصر والقاهرة إذ ذاك من يشكو زمانه البتة إلى أن نكد بالراهب على الناس ، فقبحت سيرته ، وكثر ظلمه واغتصابه للأموال .

وفى أيامه ملك الفرنج كثيراً من المعاقل والحصون بسواحل الشام ، فملكت عكا فى شعبان سنة سبع وتسعين ، وغزة فى رجب سنة اثنتين وخمسمائة ، وطرابلس فى ذى الحجة منها ، وبانياس وجبيل وقلعة تبنين فيها أيضاً ، وملكوا صور فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة .

---

(١) انظر التعريف بهذه الوظائف : « المباشر والعامل والضامن » فى : (ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، طبعة الوطن ، ص ٩ — ١٠) .

(٢) انظر : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧٨) .

وكثرت المرافعات فى أيامه ، وأحدثت رسوم لم تكن ، وعمَّر (٧٨) الهودج بالروضة ، ودكة ببركة الحبش (١) ، وعمَّر تنيس ودمياط ، وجدَّد قصر القرافة ، وكانت نفسه تحدثه بالسفر والغارة إلى بغداد ؛ ومن شعره فى ذلك :

دع اللوم عنى لست منى بموثق ... فلا بد لى من صدمة المتحقق
وأسقى جيادى من فرات ودجلة ... وأجمع شمل الدين بعد تفرق

وقال :

أما والذى حجت إلى ركن بيته ... جراثيم ركبان مقلدة شهبا
لأقتحمن الحرب حتى يقال لى ... ملكت زمام الحرب فاعتزل الحربا
وينزل روح الله عيسى بن مريم ... فيرضى بنا صحباً ونرضى به صحبا

وكان أسمر شديد السمرة يحفظ القرآن ويكتب خطاً ضعيفاً ، وهو الذى جدَّد رسوم الدولة ، وأعاد إليها بهجتها بعد ما كان الأفضل أبطل ذلك ، ونقل الدواوين والأسمطة من القصر بالقاهرة إلى دار الملك (١) بمصر كما ذكر هناك .

وقضاته ابن ذكا النابلسى ، ثم نعمة الله بن بشير ، ثم الرشيد محمد بن

---

(١) ذكر هذه الدكه المقريزى (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٧٩) فقال : « إن الخليفة الآمر بأحكام الله بنى على المنظرة التى يقال لها بئر دكة الخركاة منظرة من خشب مدهونة ، فيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش ، وصور فيها الشعراء ، كل شاعر وبلده ، واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر فى المدح وذكر الخركاة ، وكتب ذلك عند رأس كل شاعر ، وبجانب صورة كل منهم رف لطيف مذهب ، فلما دخل الآمر وقرأ الأشعار أمر أن يحط على كل رف صرة مختومة فيها خمسون ديناراً وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده ، ففعلوا ذلك وأخذوا صررهم ، وكانوا عدة شعراء » .

(١) انظر تفصيل الحديث عنها فى : (المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ — ٣٧٦) .

قاسم الصقلى ، ثم الجليس بن نعمة الله بن بشير النابلسى ، ثم صرفه ثانياً بمسلم بن الرسغى ، وعزله بأبى الحجاج يوسف بن أيوب المغربى ، ثم مات فولى محمد بن هبة الله بن ميسر .

وكتاب إنشائه : سناء الملك أبو محمد الزبيدى الحسنى ، والشيخ أبو الحسن بن أبى أسامه ، وتاج الرياسة أبو القاسم بن الصيرفى ، وابن أبى الدم اليهودى .

وكان نقش خاتمه : « الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين » .

ووقع فى آخر أيامه غلاء قلق الناس منه ، وكان جريئاً على سفك الدماء وارتكاب المحظورات ، واستحسان القبائح ؛ وقُتل وعمره أربع وثلاثون سنة وتسعة أشهر وعشرون يوما ، منها مدة خلافته تسع وعشرون سنة وثمانية أشهر ونصف ؛ وما زال محجوراً عليه حتى قتل الأفضل .

وكان يركب للنزهة دائماً عند ما استبد فى يومى السبت والثلاثاء ، ويتحول فى أيام النيل بحرمه إلى اللؤلؤة على الخليج ، واختص بغلاميه : برغش وهزار الملوك .

الملحق الخامس

ذكر الأمير حسن بن الخليفة الحافظ

(عن الخطط ، ج ٣ ص ٢٧ — ٢٩)

(٢٧) ولما مات الوزير يانس تولى الخليفة الحافظ الأمور بنفسه ولم يستوزر أحداً ، وأحسن السيرة ، فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عهد إلى ولده سليمان — وكان أسن أولاده وأحبهم إليه — وأقامه مقام الوزير ، فمات بعد شهرين من ولاية العهد ، فجعل مكانه أخاه حيدرة فى ولاية العهد ، ونصبه للنظر فى المظالم ، فشقّ ذلك على أخيه الأمير حسن ، وكان كثير المال متسع الحال له عدة بلاد ومواشى وحاشية وديوان مفرد ، فسعى فى نقض ذلك بأن أوقع الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية[١] ، وكانت الريحانية قوية الشوكة مهابة مخوفة الجانب ، فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين ، وصاح الجند : « يا حسن يا منصور ، يا للحسينية » ، والتقى الفريقان فقتل بينهما ما يزيد على خمسة آلاف نفس ، فكانت هذه الوقعة أول مصائب الدولة الفاطمية من فقد رجالها ونقص عساكرها ، فلم يبق من

---

(١) انظر تفصيل الحديث عن هاتين الطائفتين فى : (المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٢ ، ١٩ — ٢٠) .

الطائفة الريحانية إلا من نجا بنفسه من ناحية المقس ، وألقى نفسه فى بحر النيل .

واستظهر الأمير حسن وقام بالأمر ، وانضم إليه أوباش الناس ودعارهم ، ففرق فيهم الزرد ، وسماهم صبيان الزرد ، وجعلهم خاصته ، فاحتفوا به وصاروا لا يفارقونه ، فإن ركب أحاطوا به ، وإن نزل لازموا داره ، فقامت قيامة الناس منهم ، وشرع فى تتبع الأكابر فقبض على ابن العساف وقتله ، وقصد أباه الخليفة الحافظ وأخاه حيدرة بالضرر حتى خافا منه وتغيبا ، فجد فى طلب أخيه حيدرة ، وهتك بأوباشه الذين اختارهم (٢٨) حرمة القصر ، وخرق ناموسه وسلطهم يفتشون القصر فى طلب الخليفة الحافظ وابنه حيدرة ، واشتد بأسهم ، وحسّنوا له كل رذيلة وجرأوه على الأذى ، فلم يجد الحافظ بداً من مداراة حسن وتلافى أمره عساه ينصلح ، وكتب سجلاً بولايته العهد وأرسله إليه ، فقرئ على الناس فما زاده ذلك إلا جراءة عليه وإفسادا له ، وشدَّد فى التضييق على أبيه وأخذ بأنفاسه ، فبعث حينئذ الخليفة بالأستاذ ابن إسعاف إلى بلاد الصعيد ليجمع من يقدر عليه من الريحانية ، فمضى واستصرخ الناس لنصرة الخليفة على ولده حسن ، وجمع أمماً لا يحصيها إلا الله ، وسار بهم ، فبلغ ذلك حسناً ، فزجَّ عسكرا للقاء إسعاف فالتقيا ، وكانت بينهما وقعة هبت فيها ريح سوداء على عسكر إسعاف حتى هزمتهم ، وركبهم عسكر حسن فلم ينج منهم إلا قليل وغرق أكثرهم فى البحر ، وأخذ إسعاف أسيراً ، فحُمل إلى القاهرة على جمل وفى رأسه طرطور لبد أحمر ، فلما وصل بين القصرين رشق بالنشاب حتى هلك ، ورمى من القصر الغربى

بأستاذ آخر فقتل، وقتل الأمير شرف الدين، فاشتد ذلك على الحافظ، وخاف على نفسه، فكتب ورقة وكاد ابنه بأن ألقى إليه تلك الورقة وفيها :

« يا ولدى : أنت على كل حال ولدى، ولو عمل كل منا لصاحبه ما يكره الآخر ما أراد أن يعيبه مكروه، ولا يحملنى قلبي وقد انتهى الأمر إلى أمراء الدولة وهم فلان وفلان، وقد شددت وطائك عليهم وخافوك، وهم معولون على قتلك، فخذ حذرك يا ولدى » .

فعند ما وقف حسن على الورقة غضب ولم يتأن، و بعث إلى أولئك، فلما صاروا إليه أمر صبيان الزرد بقتلهم، فقتلوا عن آخرهم، وكانوا عدة من أعيان الأمراء، وأحاط بدورهم، وأخذ سائر ما فيها، فاشتدت المصيبة، وعظمت الرزية، وتخوف من بقى من الجند ونفروا منه، فإنه كان جريئاً مفسداً، شديد الفحص عن أموال الناس والاستقصاء لأخبارهم، يريد إقلاب الدولة وتغييرها ليقدم أوباشه، وأ كثر من مصادرة الناس، وقتل قاضى القضاة أبا الثريا نجم لأنه كان من خواص أبيه، وقتل جماعة من الأعيان، ورد القضاء لابن ميسر؛ وتفاقم أمره وعظم خطبه. واشتدت الوحشة بينه و بين الأمراء والأجناد، وهمُّوا بخلع الحافظ ومحاربة ابنه حسن، وصاروا يداً واحدة، واجتمعوا بين القصرين — وهم عشرة آلاف ما بين فارس وراجل — ، وسيَّروا إلى الحافظ يشكون ما هم فيه من البلاء مع ابنه حسن، و يطلبون منه أن يزيله من ولاية العهد، فعجز حسن عن مقاومتهم، فإنه لم يبق معه سوى الراجل من الطائفة الجيوشية، ومن يقول بقولهم من الغر الغرباء، فتحيَّر وخاف على نفسه، فالتجأ إلى القصر، وصار إلى أبيه

الحافظ ، فما هو إلا أن تمكن منه أبوه ، فقبض عليه وقيّده ، و بعث إلى الأمراء يخبرهم بذلك ، فأجمعوا على قتله ، فرد عليهم أنه قد صرفه عنهم ، ولا يمكنه أبداً من التصرف ، ووعدهم بالزيادة فى الأرزاق والإقطاعات ، وأن يكفوا عن طلب قتله ، فألحوا فى قتله ، وقالوا : « إما نحن و إما هو » .

واشتد طلبهم إياه حتى أحضروا الأحطاب والنيران ليحرقوا القصر ، و بالغوا فى (٢٩) التجرى على الخليفة ، فلم يجد بداً من إجابتهم إلى قتله ، وسألهم أن يمهلوه ثلاثا ، فأناخوا بين القصرين ، وأقاموا على حالهم حتى تنقضى الثلاث ، فما وسع الحافظ إلا أن استدعى طبيبيه ، وهما : أبو منصور اليهودى ، وابن قرفة النصرانى ؛ وبدأ بأبى منصور وفاوضه فى عمله سقية قاتلة ، فامتنع من ذلك ، وحلف بالتوراة أنه لا يعرف عمل شىء من ذلك ، فتركه ، وأحضر ابن قرفة وكلمه فى هذا ، فقال : « الساعة ، ولا يتقطع منها جسده ، بل تفيض النفس لا غير » . فأحضر السقية من يومه ، فبعثها إلى حسن مع عدة من الصقالبة ، وما زالوا يكرهونه على شربها حتى فعل ، ومات فى العشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، فبعث الحافظ إلى القوم سراً يقول : « قد كان ما أردتم فامضوا إلى دوركم » . فقالوا : « لا بد أن يشاهده منا من نثق به » .. وندبوا منهم أميراً معروفاً بالجراءة والشر يقال له « المعظم جلال الدين محمد — ويعرف بجلب راغب الآمرى — » فدخل إلى القصر وصار جنب حسن فإذا به قد سجى بثوب ، فكشف عن وجهه ، وأخرج من وسطة آلة من حديد ، وغرزه بها فى عدة مواضع من بدنه إلى أن تيقن أنه قد مات ، وعاد إلى القوم

وأخبرهم فتفرقوا ، وعند ما سكنت الدهماء ، حقد الحافظ لابن قرفة ، وقتله بخزانة البنود ، وأنعم بجميع ما كان له على أبى منصور اليهودى ، وجعله رئيس الأطباء ؛ فهذا ما كان من خبر يانس ، وكيفية موته ، وخبر حسن والخبر عن قتله .

الملحق السادس

ذكر مقتل الخليفة الظاهر

(عن: الخطط، ج ٣، ص ٤٦ — ٤٨)

(٤٦) وكان من خبر الظافر أنه لما مات الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن (٤٧) الأمير أبى القاسم محمد بن المستنصر فى ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بويع ابنه أبو المنصور إسماعيل، ولقب بالظافر بأمر الله، بوصية من أبيه له بالخلافة، وقام بتدبير الوزارة الأمير نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال، فلم يرض الأمير المظفر على بن السلار — والى الإسكندرية والبحيرة يومئذ — بوزارة ابن مصال، وحشد وسار إلى القاهرة، ففر ابن مصال، واستقر ابن السلاَّر فى الوزارة، وتلقب بالعادل، فجهز العساكر لمحاربة ابن مصال، فحاربته وقُتل، فقوى [ابن السلار] واستوحش منه الظافر، وخاف منه ابن السلار، واحترز منه على نفسه، وجعل له رجالاً يمشون فى ركابه بالزرد والخوذ، وعددهم ستمائة رجل بالنوبة، ونقل جلوس الظافر من القاعة إلى الإيوان فى البراح والسعة، حتى إذا دخل للخدمة يكون أصحابه الزرد معه، ثم تأكدت النفرة بينهما، فقبض على صبيان الخاص وقتل أكثرهم، وفرق باقيهم، وكانوا خمسمائة رجل؛ وما زال الأمر على ذلك إلى

أن قتله ربيبه عباس بن تميم بيد ولده نصر واستقر بعده فى وزارة الظافر.

وكان بين ناصر الدين نصر بن عباس الوزير و بين الظافر مودة أكيدة ومخالطة ، بحيث كان الظافر يشتغل به عن كل أحد ، ويخرج من قصره إلى دار نصر بن عباس — التى هى اليوم المدرسة السيوفية[(١)] — فخاف عباس من جراءة ابنه ، وخشى أن يحمله الظافر على قتله فيقتله كما قتل الوزير على بن السلاَّر زوج جدته أم عباس ، فنهاه عن ذلك ، وألحف فى تأنيبه وأفرط فى لومه ، لأن الأمراء كانوا مستوحشين من عباس وكارهين منه تقريبه أسامة بن منقذ ، لما علموه من أنه هو الذى حسَّن لعباس قتل ابن السلاَّر[(٢)] — كما هو مذكور فى خبره — وهموا بقتله ، وتحدثوا مع الخليفة الظافر فى ذلك ، فبلغ أسامة ما هم عليه وكان غريباً فى الدولة ، فأخذ يغرى الوزير عباس بن تميم بابنه نصر ، ويبالغ فى تقبيح مخالطته للظافر ، إلى أن قال له مرة . « كيف تصبر على ما يقول الناس فى حق ولدك من أن الخليفة يفعل به ما يفعل بالنساء ؟ » فأثر ذلك فى قلب ابن عباس ، واتفق أن الظافر أنعم بمدينة قليوب على نصر بن عباس ، فلما حضر إلى أبيه وأعلمه — وأسامة حاضر — فقال له : « يا ناصر الدين : ما هى بمهرك غالية » ، يعرض له بالفحش ، فأخذ عباس من ذلك ما أخذه ، وتحدث مع

---

(١) انظر أخبارها فى : (المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ١٩٦) .

(٢) انظر أخبار هذا النزاع فى تفصيل فى ترجمة ابن السلار (ابن خلكان ، الوفيات ، ج ٢ ، ص ٧٦ — ٧٧ ؛ الدكتور حسن ابراهيم حسن ، الفاطميون فى مصر ، ص ٢٩٦ وما بعدها ؛ أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار) .

أسامة — لثقته به — فى كيفية الخلاص من هذا ، فأشار عليه بقتل الظافر إذا جاء إلى دار نصر على عادته فى الليل ؛ فأمره بمفاوضة ابنه نصر فى ذلك ، فاغتنمها أسامة(١) ، وما زال بنصر يشنع عليه ويحرضه على قتل الظافر حتى وعده بذلك .

فلما كان ليلة الخميس آخر المحرم من سنة تسع وأربعين وخمسمائة خرج الظافر من قصره متنكراً ومعه خادمان كما هى عادته ، ومشى إلى دار نصر ابن عباس ، فإذا به قد أعد له قوما ، فعندما صار فى داخل داره وثبوا عليه وقتلوه هو وأحد الخادمين ، وتوارى عنهم الخادم الآخر ، ولحق بعد ذلك بالقصر ، ثم دفنوا الظافر والخادم تحت الأرض فى الموضع الذى فيه الآن المسجد .

وكان سنه يوم قتل إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ونصف ، منها فى الخلافة بعد أبيه أربع سنين وثمانية أشهر تنقص خمسة أيام ، وكان محكوما عليه فى خلافته .

وفى أيامه ملك الفرنج مدينة عسقلان ، وظهر الوهن فى الدولة ، وكان كثير اللهو واللعب ، وهو الذى أنشأ الجامع المعروف بجامع الفاكهيين(٢) .

وبلغ أهل القصر ما عمله نصر بن عباس من قتل الظافر ، فكاتبوا

---

(١) للتعريف بأسامة وحياته انظر الكتاب الذى ظهر حديثاً بعنوان « أسامة بن منقذ » للأستاذ محمد حسين ، وما به من مراجع .

(٢) هذا الجامع أسسه الخليفة الظافر الفاطمى وكان يسمى باسمه ، ثم سمى بجامع الفاكهيين ، وقد ذكر المرحوم محمد بك رمزى أنه هو المسمى اليوم بجامع الفاكهانى . انظر أخباره فى : (المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٨٠ — ٨١ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٩٠ ، هامش ٢) .

طلائع بن رزيك[١] — وكان على الأشمونين — و بعثوا إليه بشعور النساء يستصرخون به على عباس وابنه ، فقدم بالجموع ، وفر عباس وأسامة ونصر ، ودخل طلائع وعليه ثياب سود ، وأعلامه و بنوده كلها سود ، وشعور النساء التى أُرسلت إليه من القصر على الرماح ، فكان فألاً عجيبا ، فإنه بعد خمس عشرة سنة دخلت أعلام بنى العباس السود من بغداد إلى القاهرة ، لما مات العاضد ، واستبد صلاح الدين بملك ديار مصر .

وكان أول ما بدأ به طـلائع أن مضى ماشياً إلى دار نصر ، وأخرج الظافر والخادم ، وغسلهما وكفنهما ، وحمل الظافر فى تابوت مغشى ، ومشى طلائع حافيا والناس كلهم حتى وصلوا إلى القصر ، فصلى عليه ابنه الخليفة الفائز ، ودفن فى تربة القصر .

---

(١) انظر ترجمته التفصيلية فى : (المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٨١ — ٨٣) .

الملحق السابع

زوجات على بن أبى طالب

وأبناؤه من كل منهن

على بن أبى طالب

الزوجة	الأبناء	
+ فاطمة	الحسن *	
	الحسين *	
+ خولة بنت قيس ابن جعفر الحنفى	محمد الأكبر بن الحنفية (أبو القاسم) *	
+ أم البنين بنت المحل بن الديان بن حرام الكلابى	العباس الأكبر *	قتلوا مع الحسين فى وقعة الطف
	عبد الله	
	عثمان الأكبر	
	جعفر الأكبر	

+ أم حبيبة بنت ربيعة الثعلبي	—	عمر الأصغر*
+ ليلى بنت مسعود ابن خالد التميمي	—	عبد الرحمن (أبو بكر) عبيد الله
+ أسماء بنت عميس الخثعمية	—	يحيي عون
+ أمامة بنت أبي العاص (أمها زينب بنت الرسول)	—	محمد الأصغر
+ أم ولد	—	جعفر الأصغر
+ أم ولد	—	محمد الأوسط عباس الأصغر
+ ؟	—	عمر الأصغر عثمان الأصغر

(*) هذه العلامة وضعت أمام الأبناء الذين أعقبوا ، أما الباقون من ولد علي فلم يعقبوا .

الملحق الثامن

بنات على

رقية : أمها الصهباء أم حبيبة بنت ربيعة التغلبي فهى أخت عمر الأصغر.

أم الحسن
رملة الكبرى
أم كلثوم
} من أم سعد ابنة عروة بن مسعود الثقفية

أم هانىء
ميمونة
زينب الصغرى
رملة الصغرى
أم كلثوم الصغرى
فاطمة
أمامة
خديجة
أم الكرام
أم سلمة
أم جعفر
جمانة
نفيسة
} من أمهات أولاد

بنت صغيرة (؟) : من مخبئه بنت امرىء القيس بن عدى الكلبية.

الملحق الثالث عشر

وزراء الفاطميين

العزيز بالله :

أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود ابن كلس اليهودى (أسلم فى ١٨ سعبان ٣٥٦) .

شوال ٣٧٣ (٩٨٤) جبر بن القاسم .

المحرم ٣٧٤ (٩٨٤) ابن كلّس — للمرة الثانية — (ت ذوالحجة ٣٨٠ — ٩٩١) .

المحرم ٣٨١ (٩٩١) أبو الحسن على بن عمر العدّاس .

المحرم ٣٨٣ (٩٩٣) أبو الفضل جعفر بن الفرات .

٣٨٤ (٩٩٤) أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن بازيار الموصلى .

٣٨٥ (٩٩٥) أبو محمد بن عمّار .

٣٨٥ الفضل بن الصالح ((لبضعة أيام)) .

ذو القعدة ٣٨٥ عيسى بن نسطوروس — النصرانى — (حتى رمضان ٣٨٦) .

الحاكم بأمر الله :

رمضان ٣٨٦ (٩٩٦) الأستاذ أبو الفتوح برجوان الصقلبى (قتل ٢٦ ربيع الآخر ٣٩٠) .

ربيع الآخر	٣٩٠ (١٠٠٠)	أبو العلاء الفهد بن إبراهيم (قتل ٨ جادى الآخرة ٣٩٣) .
جادى الآخرة	٣٩٣ (١٠٠٣)	أبو الحسن على بن عمّار العدّاس — للمرة الثانية — (لمدة شهر وقتل رجب ٣٩٣)
شعبان ٣٩٣	(١٠٠٣)	أبو الحسن على بن الحسين المغربى (قتل ذو الحجة ٤٠٠) .
١٩ ربيع أول	٤٠٣ (١٠١٢)	الحسين بن طاهر الوزان — أمين الأمناء — (قتل جادى الآخرة ٤٠٥) .
جادى الآخرة	٤٠٥ (١٠١٤)	عبد الرحمن بن أبى السيد (قتل بعد ٦٢ يوما) .
شعبان ٤٠٥		الفضل بن جعفر بن الفرات (قتل بعد ٥ أيام) .
شعبان ٤٠٥		أبو الحسن على بن جعفر بن فلاح — قطب الدين ، سيف الدولة ، ذو الرئاستين —

الظاهر :

ذو الحجة	٤١١ (١٠٢١)	أبو الحسن عمّار بن محمد .
ربيع الأول	٤١٢ (١٠٢١)	أبو الفتوح موسى بن الحسين — بدر الدولة — (عزل ثم قتل ٢٠ شوال ٤١٣) .
المحرم ٤١٣	(١٠٢٢)	أبو الفتح مسعود بن طاهر الوزان — شمس الملوك المكين — .
—		أبو محمد الحسن بن صالح الروذبارى .
٤١٨	(١٠٢٧)	أبو القاسم أحمد بن على الجرجرائى — نجيب الدولة —

المستنصر :

شعبان ٤٢٧	(١٠٣٦)	الجرجرائى .

رمضان ٤٣٦ (١٠٤٥)	ابن الانبارى (قتل ٥ المحرم ٤٤٠) .
٤٤٠ (١٠٤٨)	أبو منصور (أو نصر) صدقة بن يوسف الفلاحى — يهودى أسلم — (قتل) .
٤٤٠	أبو البركات الحسين (أو الحسن) بن عماد الدولة محمد .
شوال ٤٤١ (١٠٥٠)	أبو الفضل سعيد بن مسعود .
المحرم ٤٤٢ (١٠٥٠)	أبو محمد الحسن (أو الحسين) بن على بن عبد الرحمن اليازورى .
المحرم ٤٥٠ (١٠٥٨)	أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلى .
٢٥ ربيع الآخر ٤٥٠	أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن المغربى .
٩ رمضان ٤٥٢ (١٠٦٠)	البابلى (للمرة الثانية) .

[وتبعه عدد كبير من الوزراء كانوا يمكثون أياما]

٢٨ جمادى الأولى ٤٦٦ (١٠٧٤)	أبو نجم بدر الجمالى أمير الجيوش (مملوك جمال الدين بن عمّار ، ت ربيع الأول ٤٨٧) .
ربيع الأول ٤٨٧ (١٠٩٤)	أبو القاسم شاهنشاه الأفضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش (ت رمضان ٥١٥) .

المستعلى :

ذو الحجة ٤٨٧ (١٠٩٤)	الأفضل (مستمر) .
	شرف المعالى بن الأفضل .

الآمر :

صفر ٤٩٥ (١١٠١)	شرف المعالى (مستمر ، قتل ٢٣ رمضان ٥١٥) .

١ ذو القعدة ٥١٥ (١١٢١) أبو عبد الله محمد المأمون بن فاتك بن مختار البطائحى (صلب ٤ رمضان ٥١٩).

[٥١٩ إلى ٥٢٥ بلا وزراء]

الحافظ :

المحرم ٥٢٥ (١١٣٠) أبو على أحمد بن الأفضل (قتل ١٦ المحرم ٥٢٦).

المحرم ٥٢٦ (١١٣١) يانس (مملوك أرمنى ، سم ٢٦ ذو الحجة ٥٢٦).

ذو الحجة ٥٢٦ (١١٣٢) أبو على الحسن بن الحافظ (ولى العهد ووزير أبيه).

٥٢٨ (١١٣٣ — ١١٣٤) أبو ربيع سليمان (ابن الحافظ ، مات بعد شهرين).

١١ جمادى الآخرة ٥٢٩ (١١٣٥) أبو المظفر بهرام تاج الملوك سيف الإسلام (نصرانى أرمنى ، اختاره الجنود).

١٢ جمادى الأولى ٥٣١ (١١٣٧) رضوان بن ولخشى (فر ١٤ شوال ٥٣٣).

[٥٣٣ إلى ٥٤٤ بدون وزراء]

الظافر :

رجب ٥٤٤ (١١٤٩) أبو الفتح نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال اللكّى (ت ذو القعدة ٥٤٤).

١٥ شعبان ٥٤٤ أبو الحسن على بن السلاّر — الملك العادل سيف الدين — (قتله خلفه عباس ٦ المحرم ٥٤٨).

المحرم ٥٤٨ (١١٥٣) العباس بن أبى الفتوح بن تميم الأفضل ركن الدين.

الفائز :

١٩ ربيع الأول ٤٥٩ (١١٥٤) الملك الصالح طلائع ، أبو الغارات بن رزّيك (ت ١٩ رمضان ٥٥٦) .

العاضد :

رجب ٥٥٥ (١١٦٠) أبو شجاع العادل محيي الدين رزّيك بن طلائع .

٢٢ المحرم ٥٥٨ (١١٦٣) أبو شجاع شاور بن مجير .

رمضان ٥٥٨ (١١٦٣) أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوّار اللخمى (ت رمضان ٥٥٩) .

أول رجب ٥٦٠ (١١٦٥) شاور (للمرة الثانية) .

٥٦٣ (١١٦٨) أسد الدين شيركوه (ت ٢٢ جادى الآخرة ٥٦٤) .

جادى الآخرة ٥٦٤ (١١٦٩) صلاح الدين يوسف بن أيوب .

[المحرم ٥٦٧ وفاة العاضد وانتقال الملك إلى صلاح الدين]

الفهارس

١ – فهرس موضوعات الكتاب

الصفحات

الصفحات

الملاحق

الصفحات

٢ — فهرس الأعلام

٣ — فهرس الجماعات والشعوب والقبائل والدول .. إلخ

٤ — فهرس البلدان والمواقع والأنهار والجبال والمساجد والمدارس والدور والقصور والأسواق والسجون .. إلخ .

٥ — فهرس الأديان والفرق والمذاهب والملل والنحل .

٦ — فهرس المصطلحات التاريخية من دواوين ووظائف وملابس وأسلحة وسفن ونقود وموازين ومكاييل ... إلخ

٧ — فهرس أسماء الكتب المذكورة فى متن الكتاب

تصويبات

الصفحة	السطر	الصيغة المراد إثباتها
٥	١٥	ابن الـكلبى
٧	١٦	مع
١٧	١٦	قد
١٧	٢٢	القداح
٢٦	٥	نقلها
٢٩	٢٢	ابن النديم
٣٠	١٦	آرامية
٤٨	٢٠	أبا الخطاب
٤٨	٢١	أباالظبيان وأبا إسماعيل
١٠٢	٢٣	الدكتور
١٠٤	١٩	خزر
١٠٩	١٩	يغير
١١٠	١٥	قسطيلية
١١١	١٠	ورقادة (٣)
١١١	١١	فغضب (يحذف الرقم)
١٤٨	٨	وأبو الطيب
١٥٨	١٠	القصر
١٦١	٢٥	au.
١٦٧	٦	قتلغ
١٦٧	٨	الأرغلى
١٧١	٩	قتلغ

الصفحة	السطر	الصيغة المراد إثباتها
١٧٢	٥	غلة
١٨٦	١١	الفسطاط
١٩٦	٢	سبعة عشر
٢٠١	١٩	القضاة
٢٠٥	٦	أسرار
٢٠٦	١٧	الأذان
٢١٧	٤	بجمع
٢١٩	٤	وأطرق
٢٢٠	٦	حبالا
٢٢١	٦	سنه
٢٢٢	٧	النساء
٢٢٩	٩	الحسن
٢٤٠	٨	بغداد
٢٤١	١٥	أطال
٢٤١	١٧	أبرز لك
٢٤٩	١٣	فجبي
٢٥٩	٣	لبمنظر
٢٨٨	١٨	المقريزى
٢٩٠	١٤	شيركوه (بدلا من شاور)
٢٩٧	٥	العباسة
٣٣٦	١٠،٥	الوزان

للنـــاشر

ا — تأليفاً

١ — رفاعة الطهطاوى (زعيم النهضة الفكرية فى عصر محمد على) ، مجموعة أعلام الإسلام ، نوفمبر ١٩٤٥ .

٢ — مصر والشام بين دولتين (قصة تاريخية تصف الأحداث فى القطرين الشقيقين بين سنتى ٥٥٨ ، ٥٦٩ إبان انحلال الدولة الفاطمية وقيام دولة بنى أيوب) دار الفكر العربى ، ١٩٤٧ .

٣ — تاريخ الترجمة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر (بحث أجيز لدرجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة فاروق الأول ، ونال جائزة البحث الأدبى لسنة ١٩٤٦ من مجمع فؤاد الأول للغة العربية) لم يطبع بعد .

٤ — معجم السفن العربية — لم يطبع بعد .

ب — نشراً : مكتبة المقريزى الصغيرة

١ — إغاثة الأمة بكشف الغمة ، بالاشتراك مع الدكتور محمد مصطفى زيادة ، مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٠ .

٢ — نحل عبر النحل ، مكتبة الخانجى ، ١٩٤٦ .

٣ — اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٨ .

٤ — الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك (يظهر قريبا) .

---

٥ — مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب للمؤرخ الفيلسوف جمال الدين بن واصل (أكبر موسوعة تاريخية تؤرخ لدولة بنى أيوب منذ قيامها إلى زوالها كتبها المؤرخ المعاصر ابن واصل ، ينشر نشرا دقيقا محققا مقارنا بالأصول التاريخية الأخرى مع دراسة طويلة تفصيلية للمؤلف ، والكتاب يظهر قريبا فى نحو ٥ مجلدات كبيرة) .

مكتبة المقريزى الصغيرة

مجموعة من الكتب الصغيرة فيها قبس من كل علم :

أدب ، اجتماع ، اقتصاد ، تاريخ ، تراجم ، جغرافيا ، حديث ، فقه طب ، حيوان ، نبات . . . إلخ . . إلخ .

يقدمها الدكتور

جمال الدين الشيال

مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

بعد نشرها نشراً علمياً دقيقاً مع المقارنة والضبط والشرح والتحقيق والتعليق .

ظهر منها الكتاب الأول : « نَحْل عِبَر النحل » .

والكتاب الثانى : « اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا » .

والكتاب الثالث : « الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك » يظهر قريبا .

